

التيئيس



تأليف
أفلاطون
ترجمة
الأب هؤاد جرجي بربارة

الشيء يتس

الشيئيتس

تأليف : أفلاطون

ترجمة: الأب فؤاد جرجي بربارة

شبكة كتب الشيعة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٣م

PLATON
oeuvres complètes
Tome VIII – 2 partie
THÈÈTÈTE

Texte établi et traduit

Par
A. Diès

صدرت الطبعة الأولى
ضمن منشورات وزارة الثقافة
دمشق - ١٩٧١

التثبيّتس / تأليف أفلاطون؛ ترجمة فؤاد جرجي بربارة . - ط ٢ . -
دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣ . - ٢٣٦ ص؛ ٢٤ سم

صدرت الطبعة الأولى عن وزارة الثقافة ١٩٧١ .

١ - ١٨٤ أ ف ل ث ٢ - العنوان ٣ - أفلاطون
مكتبة الأسد

منابع الفكر

وزيرة الثقافة

الدكتورة لبنانة مشوح

عندما أدرك العرب أن المعرفة متعددة المشارب متنوّعة الروافد، وأن الحضارة تراكمية لا تكتفي بذاتها ولا تفتني بتقوقعها، ولا يبنى صرحها بحجارة من لون واحد... عندما أدركوا أهمية ما أنتجته شعوب تميّزت قبلهم من علوم وفنون وفكر وآداب، تحرّكوا بفضول نهم للكشف عن كنوز المعرفة الدفينة، فانكبوا على ترجمة المخطوطات النادرة من السريانية واليونانية واللاتينية والفارسية في مشروع منظّم محدّد الأهداف واضح المقاصد دقيق المعالم سليم الأدوات، هيّئت له سبل النجاح كافة، فجيء بأهم المخطوطات في مختلف العلوم، واستقدم فحول المترجمين عن السريانية واليونانية والفارسية، فكان أن ترجموا عن الإغريق أعظم مؤلفاتهم وتعرّفوا من خلالها على عاداتهم وأخلاقهم وسنن حياتهم في الحرب والسياسة وشؤون الحياة كافة، فأضافوا أهمّ لبنة إلى صرح حضارتهم التي هضمت تلك المعارف وطوّرتها لتفيد منها الحضارة الإنسانية برمتها. ولعلّ هذا المشروع التنويري الفريد من نوعه في التاريخ هو الذي جعل من عصر المأمون العصر الذهبي للدولة الإسلامية التي امتد نفوذها من بغداد إلى الأندلس، وجعل من «دار الحكمة» أول جامعة حقيقية في التاريخ.

من أواخر القرن التاسع وحتى القرن الثالث عشر، كانت الترجمة نبعاً رقراقاً غدّت بمياهاها الدافقة شرايين الحضارة العربية، وأسست لفكر ملتزم بالمنهجية العلمية القائمة على المحاكمة والبرهان. بدأت حركة الترجمة بأن استدعى أبو جعفر المنصور طبيباً فارسياً من جنديسابور هو جورجيس بن بختيشوغ، وكان رئيساً لأول بیمارستان ومدرسة للطب في التاريخ بالمعنى المعروف آنذاك. وعندما وصل بن يختيشوغ بغداد مع طاقمه كاملاً، بدأت أولى مراحل حركة الترجمة، التي تطورت فيما بعد إلى تأسيس بيت الحكمة. وما «خزانة الحكمة» إلا النواة الأولى التي أسسها الخليفة العباسي هارون الرشيد، وهي خزانة لمخطوطات يونانية في الطب والفلسفة والكيمياء المترجمة إلى السريانية، ومخطوطات في علوم الهندسة والحركات والموسيقى والفلك أو علم النجوم مما حمله الرشيد معه من سائر بلاد الروم أثناء حملاته على مدن آسيا الصغرى كأنقرة وعمورية. وتولى النسطوري يوحنا بن ماسويه مهمة ترجمتها، إلى جانب الطبيب جورجيس بن يختيشوغ ثم أولاده؛ ولاحقاً طبيب المأمون العالم والمترجم حنين بن اسحق أبو زيد بن إسحق العبادي. الذي تولى رئاسة بيت الحكمة، فتحول بفضل إلى أشبه بدار نشر حديثة تتولى أمور الترجمة والتأليف والنسخ. وقد ترجم ابن إسحق كتاباً في الأدوية هو «المادة الطبية» *Materia medica* لديسقوريدس *Discorides* كان له أثر مهم في علوم الصيدلة العربية، كما ترجم وألف أكثر من مائة مخطوطة أهمها (الأسئلة الطبية) *Questions Medicinae* وهو كتاب وضع على شكل أسئلة وأجوبة. مما جعل المستشرقين المنصفين أمثال المستشرق الفرنسي لاكلارك يعدّ حنين بن اسحق أعظم شخصية علمية ظهرت في القرن التاسع الميلادي.

لا شك في أن ترجمة المخطوطات العلمية كان بداية انطلاق الإبداع العربي في شتى ميادين العلوم كالطب والصيدلة والكيمياء والرياضيات

والهندسة والفلك. ولا يقل أهمية عنها ترجمة المخطوطات الفلسفية التي طوّرت الفكر وسلّحته بمنهجية النقد العقلاني، فانتشرت المناظرات العقلية والمجادلات التي أدّت إلى تحوّل العقل العربي في اتجاه المنطق الحرّ.

وعلى خطا الأولين، وللعودة لأحد أهم منابع الفكر الفلسفي، ارتأت الهيئة العامة السورية للكتاب، ضمن الخطة الوطنية للترجمة التي أطلقتها وزارة الثقافة في آذار ٢٠١٣، أن تعيد طباعة مجموعة من أعظم كتب الفلسفة اليونانية التي تصدّت وزارة الثقافة لترجمتها في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، ولعلّ درّتها «دستور الأثينيين» للمعلّم أرسطو، و«الثييتيوس» لأفلاطون، قام بتعريبهما بلغة سلسلة أنيقة علم من أعلام العربية لغةً وفكراً، وأحد رواد نهضتها المتأخرين، الأب فؤاد جرجي بربارة.

إن إعادة طباعة بعض من هذه الروائع إنما هو اعتراف بفضل من سبقنا إلى ترجمتها ضمن مشروع ترجمة رائد بالغ الأهمية، وهو تنويه بالقيمة المعرفية لتلك المؤلفات، خاصة في الأزمنة الصعبة، عندما تعصف المحن بالشعوب. فتهتّر القيم، وتختل موازين الفكر، وتغيم المفاهيم، وتحجّب سحبُ الشك شمسَ الحقيقة.

نعيش في عصر انتفت فيه الحدود، وتدافعت الأفكار، وتوالدت المفاهيم والمصطلحات وتداخلت إلى حد الإبهام، فضاعت في ضبابية غير بريئة أحياناً، حتى غرّب الظاهر عن الجوهر، وبات الدّالّ مجافياً للمدلول، والمعاني مناقضة للألفاظ، والشعار يُخفي نقيضه، والحقيقة في مهبّ رياح النفعية. فما أحوّجنا للعودة إلى منابع الفكر الفلسفي وانتهاج نهج المعلّم الأول أرسطو في حمل النفس على سبر أغوارها واكتشاف الحقيقة الكامنة فيها، وصولاً للخصب الفكري القائم على المحاكمة والبرهان، والجمال الأزلي في تلاقي الأضداد وتناغمها، والخلاص بالعلم الذي يُنضجُ العقولَ

وينيرُها بضياءِ الحكمة، لتشقَّ حُجَبَ الظلام، وتسَلِّمَ من السقوط في مهاوي الجهالة.

يعلِّمنا أفلاطون في حواريات سقراط أن الخير في الحركة، وأن الموت في السكون والجمود والثبات على القديم. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال التكرار للماضي واحتقاره ومناصبته العدا، بل قراءته قراءة نقدية واستجلاء مواطن القوة فيه للبناء عليها، ومواطن الضعف لتحليلها وتبيان أسبابها لتفاديها.

ويزيد أفلاطون فيقول على لسان معلِّمه: «للمحركة قوة الفعل كما أن لها قوة الانفعال، ومن احتكاك النقيضين يولد المحسوس والإحساس بتنوع صنوفهما وألوانهما».

لعلنا، عند قراءتنا لفلسفة الإغريق، نمعن الفكر في ذاك الاعتراف بمشروعية الاختلاف وسلامة التباين، لا بل بحتمية هذا الاختلاف وضرورة التمايز كدليل وجود وتأکید كيان، وما التطابق إلا انصهار في الآخر وغياب فيه. وما هو سقراط ينطق بحكمة لو استوعبتها الأذهان وتمثلتها القلوب، لسكنَ السلامُ النفوس، وانتفتت العصبية، وزال الغبن والإقصاء، وغاب التنافر والتناحر. يقول المعلِّم العظيم حامل السراج المنير لسبيل الحقيقة الكامنة في النفوس:

«لو كان ما نقيس به ذاتنا أو ما نلامسه كبيراً أو أبيض أو حاراً، ووقع هو نفسه على آخر دون أن يتحوَّل، لما أمسى هذا الآخر آخراً».

حق الاختلاف هذا ومشروعيته الطبيعية، لا بل وحتميته، هي أساس فكر الحوار الإنساني المحصَّن ضد الخلاف والتنافر والانزلاق إلى الفتن، المؤدي إلى سبل التسامح والتوافق والتلاقي وتقبُّل الآخر وإنصافه.

مقدمة الهيئة العامة السورية للكتاب

جعل أفلاطون من عالم الرياضيات ثيئيتيتوس^(*) محاوراً أساسياً لسقراط، (٤٧٠ - ٣٩٩) في هذا الكتاب المهم الذي ألفه أفلاطون (٤٢٨ - ٣٤٨) ما بين ٣٩٢ و٣٩٠ ق.م.، وبعيد موت سقراط بسنوات قليلة. وإلى جانب هذين المحاورين، هناك شخصيات ثانوية، وهي إفلكليدس المغاري (الذي دوّن ما رواه له سقراط)، والذي راح يقرأ لصديقه الفيلسوف تربيئون وترك - بعد مقدمة مسرحية موجزة - سقراط يتكلم بصيغة الأنا مع المهندس ثيودوروس القيرواني (وهو صديق بروتاغوراس، زعيم السفسطائيين)، الذي رأى شبهاً بين سقراط وThيئيتيتوس: أنف أفطس وعينان جاحظتان.

وتدور هذه الحوارية حول مسألة العلم (Επιστήμη). ولا يُقصد بالعلم هنا الفيزياء والكيمياء والعلوم البحتة، بل المعرفة، أو نظرية المعرفة (الإبيستيمولوجيا)، وهي من المقولات الرئيسية في الفلسفة. ما هو العلم؟

- العلم هو الإحساس (ويتناقش سقراط وThيئيتيتوس مطولاً حول هذا الإسناد)؛ العلم هو الرأي السديد؛ العلم هو الرأي السديد الذي يدعمه البرهان. ويتصدى سقراط لمقولة السفسطائيين حول كل معرفة. ويرى أن

(*) أثر الأب هؤاد بربارة أن ينقل أسماء العلم اليونانية، حسب اللفظ اليوناني الأصل، دون التأثر بالنقل الأوروبي لها والذي انتشر في اللغة العربية؟ نحافظنا على طريقته في منته، مع أنها تشكّل أحياناً صعوبة في القراءة.

الإدراك نسبي. ويختتم أفلاطون حواريته هذه بالقول: "إن كان إدراك المعقولة وإردافها بالرأي القويم، يأمر بالمعرفة وليس باستهداف الفارق المميّز في الظن والرأي، فهذا الأمر قد يكون وجهاً لذيذاً مستطاباً في أجمل وأبهى قول في العلم". ويكرر أفلاطون مقولة سقراط القائلة بأن الفلسفة عنده هي فن التوليد (أو القباله)، وهو فن ورثه عن أمّه، ولكنه نقله من التوليد البيولوجي إلى التوليد الفكري أي توليد الأفكار والمقولات: "أما فن التوليد هذا فقد أحظانا به الله أنا وأمّي. فهي للنساء وأنا للشبان النبلاء منهم وكل ذي بهاء" (انظر نهاية الحوارية).

لا أريد هنا أن أتعدى على ما قاله الأستاذ: أ. ديس (A. Diès) في تقديم "التيثيتيتوس"، وهو من أهم الاختصاصيين في الفلسفة الأفلاطونية. بل أريد أن أنوّه بالترجمة الدقيقة والناصعة التي قدّمها الأب فؤاد بربارة - وهي من اليونانية مباشرة - لهذا الكتاب؛ وتفخر وزارة الثقافة بأنها تبنت في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، وبفضل الأستاذ أنطون مقدسي الذي كان مدير التأليف والترجمة في الوزارة لعقود طويلة، ترجمة مجموعة من كتب الفلسفة الإغريقية التي أنجزها بهمة جبارة الأب فؤاد بربارة. ويسعد الوزارة، بعد أربعة عقود من صدور هذه الترجمة، أن تعيد طباعتها، رغبة منها في الحفاظ على هذا الكنز الذي قدّمه الأب بربارة للقراء العرب ولعشاق الفلسفة، بلغة عربية ناصعة وبهية.

دمشق في ٢٨ أيار ٢٠١٣

د جمال شحيّد

الفصل الأول

المطلع والتواريخ

المطلب الأول: المطلع

إن الثييتس حوار يُقرأ لا يُروى. والمحادثة التي يروي، دارت قبيل محاكمة سقراط بقليل، بين الفيلسوف وثئودرس القيرواني، وقد كان يعلم الهندسة آنذاك في أثينا، وثييتس الشاب أحد تلاميذ ثئودرس.

وقد سرد سقراط حديثه لإفكليدس المغاري. فسجله هذا الأخير عن ظهر قلبه، واستفاد من تعريجه على أثينا، ليستوضح كل مرة النقاط الغامضة من ذكرياته. وعند عودته ما فتئ يدأب على تنقيحها وإكمال ما فاتته منها، حتى استعاد في النهاية، بكل دقة وأمانة، حوار سقراط مع ثئودرس وثييتس.

أعاد إنشاء الحوار لا الرواية التي رواها له سقراط عن ذاك الحوار. ذلك أن تدوين صيغ الرواية كان من شأنه أن يعقّد مجرى الحوار. ولذا رأى إفكليدس أن يحذفها. وقد سنحت له الفرصة أن يقرأ اليوم لصديقه تربيّسين، محادثة سقراط وثييتس، بعد أن نقلها على هذا الوجه في صيغة حوار مباشر، وقد سمع تربيّسين صاحبه إفكليدس يذكرها مرارا أمامه، وخامرته دوماً فكرة التماس الاطلاع عليها.

وفي الواقع مرّ ثثيتس ببلدة ميغرا، فيما كان يُحمل من كورنثس إلى أثينا، وقد ألمّ به إعياء شديد مما أثخن من جراح في المعمة، ومن الداء المتفشّي في المعسكر.

فالصديقان يستريحان ويستمتعان بالحوار، يقرأه لهما رفيق افكليدس. ولسوف يجدان هكذا في ثثيتس الشاب محاور سقراط، تلك السجية الرائعة، وسرعان ما استشفها الفيلسوف، وتلك المواعيد الزاهرة، وقد حققها اكتمال العمل في كثير من الاعتزاز والفخر.

المطلب الثاني: التواريخ

إن النقاش الذي أثاره مطلع الحوار يرتبط ارتباطاً مباشراً بزمن تدبيجه وتأليفه.

١ - فإلى أية معركة يلمّح مطلع الثثيتس؟ إذ لم يقع في حياة أفلاطون بجوار كورنثس إلا معركتان: موقعة نميئا، في أوائل حرب كورنثس إبان شهر حزيران أو تموز من سنة ٣٩٤، واشتباكات سنة ٣٦٩ في البرزخ، عندما أرسلت أثينا جميع كتائب مشاتها بقيادة إفكراتس، لتناصر اسبرطة على أهل ثيبه (ثيفي). فاتسلر Zeller دافع بحزم عن التاريخ الأول^(١). وعده كامبل أكثر التواريخ أرجحية، دون رفض "تاريخ آخر محتمل، قد يقع بين عام ٣٩٠ وعام ٣٨٧. وهي حدود حرب كورنثس القصوى"^(٢). وكان مؤنك Munk في سنة ١٨٥٧ أول من افترض تاريخ سنة ٣٦٩، وجاراه في ذلك اويبرويغ Ueberweg وميير Ed. Meyer وريتير C. Ritter في مصنفه أفلاطون (١٩١٠)، وأخيراً جاره أيضاً منذ عهد قريب فون فلاموفيتس (١٩١٩) U. von Wilamowitz.

(١) فلسفة اليونان ٢م ج ١، طبعة الحاشية الأولى من صفحة ٤٠٦.

(٢) ثثيتس أفلاطون ١٨٨٣، المقدمة صفحة ٦٢.

٢ - وكامبل Campbell، على قبوله سنة ٢٩٤ كتاريخ للموقعة التي يشير إليها مطلع الحوار، وشأنه في ذلك شأن اتسلر، بعيد عن التفكير بأن تأليف الحوار ومطلعه يقع بين سنة ٣٩٢ و٣٩٠. إذ كان يعدُّ التثيتتس متأخراً عن تلك الحقبة، وأنه في شيء من الصحة قد تلا الجمهورية. غير أن اتسلر ومعه شولتس Schultess وسيوزمل يعارضون من يحسبون أن الحوار قد أُلِف بعد سنة ٣٦٩ بتساؤلهم: كيف يستطيع تربسين أن يلتمس من افكليدس رواية حوار دار قبل ثلاثين عاماً؟

والحال أن تربسين لا يطلب رواية، فهو يعرف أن افكليدس قد سجل الحوار. وهذا التسجيل بالذات، يدل على أن المطلع قد دُبَّج فترة طويلة بعد تأليف الحوار المفترض بين سقراط وثثيتتس. وفي الواقع، إذا كان أفلاطون قد عزم على نقل هذا الحوار بواسطة افكليدس، فقد كان يحتمل أن يكون نقله سردياً مباشراً لو حصل هذا السرد بضعة أعوام بعد موت سقراط. وما كان من مانع بين سنة ٣٩٢ وسنة ٣٩٠، ليمنع افكليدس من أن يروي شفويّاً اللقاء بين سقراط وثثيتتس. وتخيل حوار سجله افكليدس يخلو عندئذ من أية جدوى.

ولكن، في مقابل ذلك، إذا فُرض أن رواية الأحاديث بين سقراط وثثيتتس كان من شأنها أن تبلغ القارئ عقب ثلاثين عاماً، ففي هذا الاحتمال لا يُترك لأفلاطون الخيار إلا بين وسيلتي نقل: فإما رواية يتناقلها وسطاء كثيرون، كرواية البرمنيذس، وإما قراءة، بعد ثلاثين عاماً، لتسجيل دُون حالاً بعد المحادثة. ولقد رأينا كم من العبارات المعقّدة اضطرَّ البرمنيذس إلى استخدامها، كي لا يفقد القارئ ترابط سلسلة الوسطاء. وإذا ما شاء المرء أن يتخلّص من تلك الملابس وتداخلها بعضها ببعض، وجب في حال قيام وسيط وحيد، تأمين وجه صحة نقل بعيد هذا البعد، وإثبات أمانته. وعلى هذا النحو نفهم جيداً تسجيلاً دُون حالاً بعد رواية سقراط، كما نفهم إدمان افكليدس على التنقيح وكأن سقراط يملّي عليه مباشرة.

فالمطلع، على ما هو الآن بين أيدينا، لا يفهم إذن فهماً كاملاً، إلا إذا كُتب في عهد متأخر. وتعليل التسجيل في صيغة حوار مباشر، لا يقبله العقل تمام القبول إلا بعد البرمنيذس. وإذا تفرض الضرورة تدبيج المطلع بعد إحدى معركتي كورنشس فلا يمكن أن يكون قد حصل ذاك التدبيج إلا بعد سنة ٣٦٩.

٣ - ولكن ألم يُضَفَ المطلع إلى الحوار إضافة لاحقة؟ ألم يؤلف الثيتيتس أولاً كحوار تمثيلي لا غير؟ إنه احتمال اعتراض عليه مبدئياً. غير أن فرضية كهذه لا يمكن أن تُركّز على ما ذكره الشارح المغفل من صياغة للمطلع تخالف الصياغة الحالية. هذا وإن الشارح يُعد تلك الصيغة مدسوسة لأنها في الواقع تعادل تقريباً الصيغة الحاضرة. وقد انطوت هي أيضاً على ذكر صريح لتسجيل الحوار، إذ ابتدأت بهذه الكلمات: "يا فتى أتأتينا بالحوار المتعلق بثيتيتس؟". ويبدو أن المعلم الصغير كاتب هذا الشرح المشار إليه، لم يبن عملياً على وجود صيغة ثانية للمطلع، ما افترضه من صياغة أخرى للحوار بصورة تمثيلية مجردة. ولم يخلط هذا الخلط المنطقي سوى بعض الشراح المعاصرين، ومن جملتهم مع الأسف أبيلت Apelt.

وتدبيج المطلع هذا في صيغتين، وإن فرضناه صحيحاً، ليس له في ذاته ما يوحي أو يثبت فرضية حوار تمثيلي مجرد، قد أضيف إليه كتوطئة إهداؤه إلى افكليذس. ولا يشفع بهذه الفرضية، سوى مظهر الحوار، وهو يتعاقب بعد الإهداء، مستقلاً قائماً في ذاته، وقابلاً أن يُعزل عزلاً تاماً.

غير أن مظهر الحوار وقابليته الانعزال عن تمهيده، يفهم فهماً مماثلاً إذا أدخلناه هو والمطلع في مخطط تأليف واحد، سواء صيغ المطلع حالاً بعد الحوار أم صيغ حتى قبل كتابة الحوار.

(١) الشروحات المغفلة لثيتيتس أفلاطون (Diels Schubart)، ص ٤.

(٢) حوار الثيتيتس لأفلاطون (١٩١١) ص ١٤٨، تعليق أبيلت O. Apelt.

وعلى كل حال، في أية حقبة نفرض تأليف هذا الحوار التمثيلي المحض؟ إن جعلناه بعد البرمينيذس، فنحن لا نفوه إلا بهذه البداهة، وهي أن أفلاطون قد فكّر ربما بالمشكلة وبنى مناقشته لها، قبل أن يتصوّر تفاصيل إطارها. وإن جعلناه قبل البرمينيذس، فلا بدّ لنا من الافتراض أن التلميح إلى لقاء برمينيذس وسقراط قد أقحم بعد صوغ الحوار. إلا أن الأدلة الإنشائية، وهي لا تقل أرجحية عن هذا الافتراض، تمنعنا من إرجاع الحوار التمثيلي في صيفته الإنشائية الحاضرة إلى فترة طويلة تسبق البرمينيذس. أما فرضية حوار قد دبّجه الفيلسوف على طراز إنشائي يختلف عن طراز الثيتتس الحالي، فهي لا تُفسّر في ذاتها ولا تُفسّر أيّ صعوبة. فالأفضل إذن أن نتبنى الثيتتس الذي أرادَه أفلاطون.

وفي هذه الحال، ما هدف الإهداء إلى افكليذس؟ لاسيما وأنه يقتضي التسجيل المباشر، تجنباً لرواية تجربة بعد مرور ثلاثين عاماً على المحادثة؟ كما يقتضي تسجيلاً في صيغة حوار تمثيلي محض، تلافياً للتعابير الروائية،

(١) أن تمنعنا الأدلة الإنشائية من إنزال الثيتتس في فئة من مؤلفات أفلاطون تسبق البرمينيذس بكثير، فتلك إحدى النتائج التي جدّدها ورسخها تحقيق قسطنطين رتر O. Ritter في حقبة تأليف فيذرِس Die Abfassungszeit des Phaidros, Philologus, Bd 73, Heft 3 avril 1915. P. 321- 373. فمن وجهة النظر الإنشائية يحسب رتر أن تحديد الفئة الوسطى من مؤلفات أفلاطون الذي أثبتته كامبل يزداد مع الأيام حدة و يقيناً. ففي السلسلة المتكونة من أحورة الجمهورية وفيذرِس وثيتتس وبرمينيذس، لا تكفي الأدلة الإنشائية وحدها في حدّ ذاتها، لتفصل في مسألة موقع الفيذرِس من الثيتتس والبرمينيذس لا غير. وأنا أخالف رتر وأجعل البرمينيذس قبل الثيتتس. وقد أرّحت عندما رأيته في مقاله (س ٢٥٥ وما يلي) يقبل الأسباب الداخلية التي علّلتُ بها في مقالي "التحوير والتطوير الأفلاطوني" أسبقية الفيذرُس على الثيتتس. Annales de l'Institut Supérieur de Philosophie de Louvain, II, 1913. P. 267- 308 في مقاله الأخير هذا (ص ٢٧٢) ولا في كتابه أفلاطون (١ س ٢٤٨ ومايلي)، يقبل فرضية تدبّيجين لحوار الثيتتس.

حتى المباشرة منها، خصوصاً بعد أن استغنى عنها استغناء تاماً الجزء الأخير من البرمليدس؟ يحق لنا تماماً مع فيلاموفتز U. von Wliamowitz أن نعتقد أن انكليدس قد حيى في الواقع تثيتس الجريح وعاله كصديق عندما مرّ به لدى عودته من الجبهة. ولكن الإهداء إلى مؤسس المدرسة الميغارية، وهو خليل قديم، يبغى الفيلسوف أن لا يقحمه بين خصوم يمتّون من جهة أو أخرى إلى تلك المدرسة، هذا الإهداء لا ينطوي على شيء يثير دهشتنا عقب البرمليدس، وفيه زاد أفلاطون عن نفسه، وصارع اليسار الزينئي "من الميغارية، وفيه تماهر أفلاطون أيضاً كي يحطّ من قدر زينّ ويتبنى من يزعم الثيتس أن يعدّه عمدة الوحدة الإليثائية العليا: "لأن برمليدس هو واحد" (٢).

(١) أفلاطون، الطبعة الأولى، ١٩١٩، المجلد الأول، س ١١.

(٢) الثيتس ١٨٣ e.

الفصل الثاني

المدخل إلى النقاش حول العلم

المطلب الأول : حوار ثنيتتس وحوار خرميذس

إن مقدمة الثنيتتس (d1٤٣ - d1٥١) لا تصحّ فيها مقابلة كمقابلتها بمقدمة الخرميذس^١. فتقديم خرميذس البهيّ الطلعة، يقابل تقديم ثنيتتس الشاب، ذاك الفتى الذي لم يحرز من الحسن سوى جمال الروح. وإزاء دور طبيب لا يعتني بالجسم ما لم يعتن بالنفس، وهو قناع يتوارى وراءه سقراط كي لا يذعر دعة خرميذس، بل يحمله في تودة إلى نقاش فلسفي، هناك في الثنيتتس، دور سقراط القائم بمهمة توليد العقول. فهو يشجّع ثنيتتس على الإعراب تدريجياً عن أفكار تمتلئ بها نفسه. وتجاه محاولات ينشط لها خرميذس الشاب بلا جدوى لتحديد الحكمة، قبل أن يتردّى في إحدى قضايا اكرتيّس، نجد مساعي ثنيتتس المتلمّس سبيله، والعارض سلسلة من العبارات المتعثرة قبل تنبئه إلى مثل "القوى" في الرياضيات وهو ثمرة تعليم أستاذه ثئوذرس، وبلوغه تحديداً يعبر عن قضية ابرتغورس بالذات.

(١) الخرميذس d1٥٣ - d١٦١، طبعة أ. اكرواز A. Croiset مصنفات أفلاطون، المجلد ٢، س٥٢ - ٦٢. وهذا الواقع لا يعارض واقعاً آخر هو أن الثنيتتس قد ألّف في عهد متأخر، إلا في نظر نقّاد، كل حقبة من الفكر الأفلاطوني، لا بل ضمن كل حقبة، كل حوار يؤلّف شبه وعاء مغلق. إن أفلاطون قد عاود قراءة تأليفه. وهو الذي لا ينقطع فنه عن تحوير وتطوير فكر غيره ومنهجه، لم يتقاض عن تحوير فكره الذاتي وتطويره. والكراتلس سوف يثبت لنا ذلك فيما يتعلق بالثنيتتس، بانتظار أن يثبت لنا أيضاً بشأن السفسستي.

وفي كلتا الحالتين، تتعاقب تفاصيل المشهد في حلبة الرياضة، وخلال المحاورين نرى في المؤخرة، جمهوراً من الشبان يضيف الحياة على الحوارين. ولكن وإن تماثل إطارهما وتقابلت أوضاعهما العامة، فالفكر أسمى في الثيتس وتعاريج النقاش الافتتاحي فيه دون تلك لينا وسلاسة، ولهجة المحادثة أيضاً تبدت تلك بصفقتها التعليمية وجفافها. وبدل سقراط عائد من بُدَياً، ما برح في شرح الشباب، يضاهاى اكرتيس عنفواناً ويجاري أرهف المغرمين، لدينا هنا سقراط قد شاخ، يتحدث إلى عجوز آخر. وهذا العجوز أستاذ يصف تلميذه برقة، ولكن أقواله ولهجته أقوال ولهجة أستاذ.

المطلب الثاني : صورة ثيتس

إن صورة ثيتس كما يصفها لنا الحوار نموذج ورمز. فأفلاطون في رسمه لها لا يبرح يعلم، وقد استمد عناصرها مما خط لنا هذا الباب السادس من الجمهورية عن طبيعة الفيلسوف المثلى.

إنها توازن موفق نادر بين الروح النشيط للعب، وبين الروح المتد، "المتراخي المتثاقل بنسيانه". وفي هذا المقام نلاحظ أن التقابل بين الجمهورية والثيتس دقيق وغالباً حريفي.

فثيتس صنو فني لسقراط. وهو نموذج يحتذى يقدمه المعلم لطلاب أكاديميته الأحداث، ورمز الفيلسوف الصحيح. كما أنه أيضاً رمز الرجل الذي يجسم الفلسفة في نظر أفلاطون.

ولقد رأينا في البرميندس سقراطاً شاباً تثيره نشوة الجدل، يداني سلفاً ذاك التلميذ المطلع حديثاً على فن المنطق، الذي سوف يصفه الفيلسوف: إن تداخل الواحد والكثرة المدهش يستحث نشاط نقده، ولا يجد راحة أو يستكين ما لم يُبد له المرء حتى في الصور اللامحسوسة، ما هنالك من تشابك في المتناقضات. وهو أيضاً لا يحلم إلا باجتماع الجميع، أحداثاً وكهولاً إلى تلك السدود المنطقية المغلقة وهو أول من يرتبك ويتعثر فيها.

(١) الجمهورية ٥٠٣ d-c ولسوف نجد هذا التقابل في شرح الذاكرة شرحاً عضوياً (الثيتس ١٩٤ a ومايلي). وأرسطو في كتابه الذاكرة ٤٥٠ b سوف يستفيد من هذا التقابل.

(٢) الفيلسوف ١٥ e - ١٦ a. قابل بما ورد في الجمهورية ٥٣٩ b.

أما هنا، فلدينا سقراط شاب، من طراز موغل في الصناعة صناعة المنطق، وإن صحَّ قولنا، أشد وأوفى تقيداً بنصوص كتابية: إنه طالب الفلسفة، وقد تتقف ثقافة متقنة بشتّى العلوم التمهيدية الموصوفة في الجمهورية، يباشر دراسة مشاكل العلم العامة، بإشراف معلّم حاذق وتوجيهه السديد .

فكلّما توغل أفلاطون في مشروع تجميعه أو تركيبه لخلاصة نقدية، وفي استعراضه التاريخي للأنظمة والمذاهب العلمية الغابرة، يبدو أن شخصية سقراط التي عرف، تتقلّص بفضل تحرّي الفيلسوف، أمام سقراط آخر، لا يستطيع إلا أن يتصوره أقرب بعمره إلى ذلك الماضي البعيد . فكأن سقراط أفلاطون يتجه نحو الأزواج. وفي هذا المقام، لدينا ثيتيتس هو خَلْقاً و خَلْقاً صورة سقراط. وفي الثيتيتس والسفسستي ولاسيما السياسي، نجد محاوراً شاباً يحمل اسم سقراط، هو أيضاً صورة لسقراط الحقيقي، وقد كان عليه في حوار "الفيلسوف" حيث اكتمل الأزواج، أن يقوم بدور المجيب على أسئلة سقراط الشيخ.

المطلب الثالث : شخصية ثيتيتس التاريخية

لقد حرص أفلاطون بكل احتراز على أن لا يجعل من ثيتيتس حوار تلميذاً لسقراط. إنه تلميذ ثئودرس وكان هذا الأخير يعلم في مدينة القيروان حيث زاره أفلاطون، على قول ديجينيس اللائرتي^١.

ويمثّل لنا في الحوار وكأنه صديق لسقراط ولابروتغورس معاً، يكن المودة لذكرى هذا الأخير أكثر مما يستطيع الذود عن تعليمه. لأنه عدل عن الجدل وتجريده ومال إلى الرياضيات وهو لا يزال غضاً . وفي لائحة إيفذمُس، يأتي ذكره كرياضي بعد ذكر هبكراتس الخيُسي. وهذه البيئة العلمية بالإضافة إلى دراساته، حملت البعض على عدّة من اتباع بثغورس. وفي الواقع قد حُشر بمثابة بثغوري في لائحة يامفلخُس، (ر ص ٢٦٧). فعلى كل حال إنه انطلق من الاكتشاف البثغوري القائل بأن قطر المضلع وضلع المربع غير قابلين للقياس، ليدرس الجذور من الثلاثة والخمسة، حتى السابعة عشرة. ولقد

(١) راجع ديجينيس اللائرتي، طبعة كوبه Cobet، ٣، ٦.

بناها، يؤكد لنا أفلاطون، أمام تلميذه ثييتس. ويعتقد أن ذاك التعليم قد
القي في أثينا، كما يُفرض أن ثوذرس قد أقام فيها.

والمراجع المختلفة التي تبلورت في سويذس، وقد جرفت في جريانها
ذكريات لم تفهم من حوار أفلاطون، قد ضاعفت شخص ثييتس، تلميذ
ثوذرس، وتلميذته لسقراط وأفلاطون: "إن ثييتس الأثيني، تلميذ سقراط، هو
فلكي وفيلسوف علم في هراكلية. وهو أول من بنى مجسمات (أفلاطون)
الخمسة، كما يدعونها، ولقد عاش إلى ما بعد حرب البلبونسس. وثييتس
الآخر، من هراكلية البونطس، هو فيلسوف من مستمعي أفلاطون".

ولكن لا يمكن أن نقبل بأن ثييتس تتلمذ لأفلاطون. غير أنه بعد تعليمه
في هراكلية، قد استطاع أن يعود إلى أثينا، ويعلم الرياضيات في الأكاديمية،
ويحمل عند النقلة، لقب مستمع لأفلاطون، في عين الظروف التي حمله فيها
إيفذكس. هذه هي "التركيبة" التي خلصت إليها إيفا ساخس. وهي من ناحية
أخرى، بغية ضبط ما يوفر لنا سويذس من تاريخ مبهم، تقبل التوقيت الذي
يفترضه حوارنا، وتعيد مولد ثييتس إلى حوالي سنة ٤١٥. ويحتمل أن لا يكون
أفلاطون قد تساءل، عندما تصور ذاك اللقاء، هل كان ثييتس عام ٣٩٩ في
عمر يمكنه من الاطلاع بعبء مثل تلك المحادثة التي دارت بينه وبين سقراط.
أما موت ثييتس سنة ٣٦٩، فهو افتراض أكثر من محتمل، يفرضه
حوارنا فرضاً. ونحن مضطرون أن نحسب أنه كان آنذاك قد بلغ كمال
النضج، إذ خلف من بعده مآثر ضخمة قيّمة.

(١) انظر نصوص سويذس هذه في مصنف إيفا ساخس، ثييتس الأثيني الرياضي،
(برلين ١٩١٤) ص ١٠. وكلمة أفلاطون الموضوعة بين هلالين في النص أعلاه، إضافة
اعتمدت إيفا ساخس Eva Sachs في زيادتها على التعليق الأول في شرح الباب الثالث
عشر من كتاب العناصر لافكليدس: "الأوجه الخمسة التي يقال عنها أوجه أفلاطون
.Euclidis Elementa, ed. Heeberg. V, (1888). P. 654

ولقد أقحم أبروكلس Proclus في شرحه عناصر افكليدس "لائحة رياضيين، أعدّها إيفدْمُس، وأحصى فيها تثيتتس إلى جانب لئوذامس الثاسُسي وأرخيتس الترنتي بين العلماء الذين زادوا عدد النظريات، وألّفوا منها مجموعة ذات صبغة علمية أفضل".

ورأينا أن سويدس يقول عنه أنه أول من بنى المجسمات الخمسة أي متعددات الأوجه المنتظمة الخمسة. ودمج هذه المعلومات المأخوذة عن سويدس، ومطلع الحوار (c ١٤٧ - b ١٤٨) الذي يمثل لنا أفلاطون فيه "تثيتتس يرتقي وهو بعد شاب فتى، إلى فكرة عامة هي فكرة خطأ هو جذر مربع لا يقاس لسطح جذري"، بهذا الدمج قبل تانري Tannery الاعتقاد "بأن تثيتتس هو مؤسس نظرية المقادير غير القابلة القياس، كما عُرِضت في الباب العاشر من عناصر إفكليدس، ولكن بتعبير قد بُدِّل بعض التبديل".

ومن جهة أخرى، قد حسب تانري صَفْوَة الباب الثالث عشر من عناصر إفكليدس مستمداً لا من إيفدكسُس، بل من تثيتتس. وخلص إلى النتيجة التالية "وهي أن المرء يحصل هكذا على مجموعة من المآثر العلمية، تكفي لرفع تثيتتس إلى المرتبة المرموقة التي وضعت فيها خلاصة ابروكلس التاريخية وإن لم تضاه تلك المآثر بأهميتها أعمال إيفدكسُس".

والأبحاث الحديثة عن تاريخ الرياضيات قد أثبتت كلها حكم تانري. لا بل أن زُيِّن Zuthen نسب إلى تثيتتس الباب السابع والثامن من عناصر افكليدس. أخيراً، هولتش هو أول من لفت الأنظار إلى التعليق رقم ١ على الباب الثالث عشر من كتاب افكليدس حيث ورد ما نصه: "في هذا الباب، ١٣، تُركب المجسمات الخمسة المنسوبة إلى أفلاطون. فهي ليست منه. وإنما ثلاثة

(١) ابروكلس في "شرح عناصر أفكليدس"، أفردلاين Friedlein ١٨٧٣، ص ١٦، ٦٦. الترجمة في النص هي من تانري في مصنّفه: الهندسة اليونانية ص ٦٨.

(٢) "الهندسة اليونانية" ص ١٠٠. راجع أيضاً في مسألة الخطوط الصماء عرضاً واضحاً جداً لدى ميلو "فلاسفة الإغريق المهندسون"، ص ١٥٩ - ١٦٤، وما يلي:

G. Milhaud, Les Philosophes Géomètres de la Grèce, 1900.

(٣) زُيِّن: تكوين مصنّفات افكليدس الرياضية (في بيانات ندوة العلوم الدانمركية، عام ١٩١٠، ص ٣٩٥ ومايلي)، لدى إيفا ساخس، في كتابها أعلاه ص ١٣.

من تلك الأشكال الخمسة مصدرها البثغوريون أي المكعب والهرم وذو الأوجه
الأثني عشر. أما الثماني الأوجه وذو الوجوه العشرين فهما من ثنيتتس.
وتسميتها "بالمجسمات الأفلاطونية" قد نجمت عن ذكر أفلاطون لها في حوار
التيمنس. وتصدر اسم افكليدس في مطلع الباب الحاضر، لأن افكليدس هو
الذي كتب هذا الجزء أيضاً بصورة عناصر".

ولقد أبرز القسط الأرجح الأوفر الذي أسهم به ثنيتتس في تأسيس
نظرية الكميات الصماء، تألف جديد وتوافق صميم بين تعليق ابروكلس على
الجملة التاسعة في الباب العاشر من عناصر افكليدس وبين النص العربي
لشرح بابس كتاب إفكليدس وبين الدراسة الأرسية المنحولة المتعلقة
بالخطوط التي لا تقبل فصماً.

أخيراً مؤرخة ثنيتتس الأنسة إيفا ساخس، وهي من أحدث مؤرخيه
تمكنت أن تصرّح وتؤكد أن ثنيتتس لم يكن فقط مؤسس نظرية الكميات
الصماء، بل أبداع أيضاً علم قياس المجسمات. وهذا العلم، حينما انصرف
أفلاطون إلى تدبيج الباب السادس من جمهوريته، كان يعد في طور ولادته.

هذا وليس في وسعي إلا أن أدع الحكم في مسائل تأريخ الرياضيات، وأسس
تلك المسائل، لأناس أوفر مني تضلعاً فيها. ولكن رأينا أن البرهنة، وظاهرها جدليّ
بحت، في القسم الثاني من البرميندس، مستوحاة غالباً من مشاغل رياضية. ولعل
السفستي لا يخلو هو أيضاً تاماً منها. لأنه يعترف للاوجود، وذاك لأول مرة،
بواقعية يُبنى عليها التمييز بين الموجودات، كما تبني عليها معقولة علاقتها، مع
أنه ينعت اللاوجود باللامعقولة، وفي الثنيتتس، يجر التحديد الثالث للعلم إلى
مساجلة موضوع النقاش فيها يدور أيضاً حول التعارض بين "اللامعقول" الذي لا

(١) هولتش لدى Pauly- Wissowa- Kroll في مقاله افكليدس، عامود ١٠٢٢. وهابيرج
ينسب هذا التعليق إلى بابس. Pappos راجع له في ذلك كتاب Norden- Gercke.

Einleitung in die Altertumswissenschaft, II, 427.

(٢) إن النص العربي لشرح بابس قد نقله ويكه Woepke إلى اللغة الفرنسية، في مذكرة
رفعت إلى ندوة العلوم الباريسية، م١٤، ١٨٥٦.

Eva Sachs, Die fünf Platonischen Körper, Berlin, 1917, p88 sq. (٣)

يُعرَف، مع أنه أساس الأشياء الواقعية، وبين الكل الذي يمكن في النهاية "التعبير عنه، في حين أ، ذاك اللامعقول هو من الكل عنصره الخفي الضروري. ومن منتهى الغرابة أن لا يكون أفلاطون قد رأى وأراد هذا التقابل المتواتر. وسواء صدرت رغبة أفلاطون في خلق الاتصال التعبيري والإنشائي بين مسائل متباينة، عن مهارة أدبية أم بالأحرى عن مقدرة تجميع وتأليف واستيعاب لدى عقل، يعد مشكلة المعرفة واحدة وحدة ذاتية في كل مجالات البحث، فالفيلسوف في الحقيقة قد ربط محتوى هذه التمثيلية الفلسفية الخاص، بشخص واكتشافات من أهديت إليه هذه التمثيلية لإحياء ذكره الطيب.

المطلب الرابع : القبالة أي فن التوليد

إن فن أفلاطون في إعادة الاتصال، وعلمه بالمحافظة على التوازن بين مختلف أقسام مجموعة واسعة، يثبتان لنا أيضاً في ربط ذاك العرض العريض الدائر حول التوليد بمتن الحوار. وأقوال سقراط الأخيرة تستعيد من ذاك العرض أفكاره الرئيسية في تلخيص حي، لتكمل تطويق ذاك النقاش المتراخي الأطراف، بمفهوم عن العلم رمزه فن التوليد.

فسقراط مولدُ الأرواح، ومهمته لا تبغي إيلاج حقيقة متكاملة من الخارج في النفس، بل حمل هذه النفس على اكتشاف الحقيقة الماثلة فيها أصلاً، سقراطنا هذا يمثّل ههنا أمامنا مثولاً بارزاً أخذاً، وكأنه صنوّ ونقيض وإجابة مسبقة على كل "العقول المذهلة الحاضرة والغابرة"، يدخل أصحابها حلبة النقاش الواحد تلو الآخر ليقدم كل منهم حلّه لمشكلة العلم.

ووصف التوليد هذا يستجمع ويكتّف سلسلة برمتها من الشذرات المبعثرة في سياق الحوارات السابقة. وقد أشار كامبل إلى أقسامها المختلفة:

(١) إن فلامفيتس في مصنفه أفلاطون، المجلد الأول ص ٥٠٩، يحب أن النقاش الفلسفي

في الحوار، لا يمت بأية صلة إلى شخص ودراسات تثبتتس التاريخي. انظر U.V.

Wilamowitz, Platon, Bd. I, p.509.

(٢) كامبل، في كتابه المذكور أعلاه، ص ٣٠، ٨.

ولكن كلمة "توليد" وما يواكبها من تعابير تتعلق بوظيفة "القابلة" تبرز في هذا المقام لأول مرة. غير أن خطاب ذيوتمس كان قد بينَّ غريزة كائنة في كل حياة، تدفع إلى إنجاب حياة، فتبلغ هدفها الأسمى في الخصب العقلي وتصدر الحقيقة والفضيلة عند اقترانها بالجمال الأزلي. وكانت الجمهورية قد وصفت اندفاع الحب التدريجي، في صعوده المتواصل، حتى الاقتران "بالموجود في وجوده، واكتماله بمولد العقل والحقيقة". والجمهورية أيضاً قد سبقت وأعلنت أن التعليم في حقيقته ليس إيلاج معرفة ما في النفس، غريبة عنها، وإنما إعادة توجيه الروح، توجيهاً هو إقصاء عن منطقة الظل حيث الصيرورة المضطربة، وردّ إلى خطّ النور حيث تتألق صورة الخير.

وأخيراً سبق فيدرس وعارض كل ضروب الخطابة الماهرة المتشعبة أفانينها، بتعليم يَبْذُر في الأرواح أفكاراً تلبث حيّة وتعرف كيف تذود عن نفسها. فتوليد الثّيتتس لا يجمّع عبثاً في هذا المقام كل تلك الذكريات، ولا يحدونا دون جدوى، قبل المناقشات حول العلم، إلى استشفاف ما يعالج المينن والفيذن من شؤون التذكر. وأفلاطون يعلم أن نتيجة تلك المناقشات حول العلم ستكون سلبية محضة. وقد أرادها سلبية. إذ لا يمكن أن يُحدد العلم أكثر مما يحدد الوجود، في فلسفة ليس العلم الصحيح فيها سوى تماسّ العقل والوجود، ولا يتولّد العقل فيها بتعبير صحيح إلا عن طريق هذا التماس أو الاتصال وبواسطته. غير أن المرء يستطيع أن يصف أساليب "قيادة النفس" هذه، الدائبة على توجيه الروح إلى اتصال بالوجود، لا ينفكّ يمعن في أعماق الوجود، بعد تطهرها من كل رُبُطها بما ليس إلا ظل الوجود أو تزييفاً له.

(١) المأدبة، ٢٠٦ وما يلي.

(٢) الجمهورية، الباب ٦، b٤٩٠ وما يلي.

(٣) الجمهورية، ب٦، b٥١٨.

(٤) فيدرس e٢٧٧ - b٢٧٨.

الفصل الثالث

النقاش حول العلم

إن أقسام النقاش الكبرى تبديها لنا تحاديد العلم الثلاثة:

- العلم هو الإحساس (e151 - b187).

- العلم هو الرأي الصحيح (b187 - d201).

- العلم هو الرأي الصحيح يدعمه البرهان (e201 - a210).

المطلب الأول : تحديد أول للعلم

البحث الأول: عرض التحديد

إن مناقشة التحديد الأول هي أوفر من غيرها حيوية بكثير وأغزر مادة. فهي تستوعب ستاً وثلاثين صفحة من طبعة هنري إيتين، في حين أن مناقشة التحديدين الآخرين تستوعب أربع عشرة صفحة في الواحد منهما وتسع صفحات فقط في الآخر. وهي بالطبع تنقسم إلى قسمين، الواحد للعرض (e151 - e160) والثاني للنقد (a162 - b187) يفصل بينهما مشهد عارض صغير (a161 - c162) يحاول فيه سقراط أن يجرّ ثؤذرس إلى النقاش.

أما العرض فيُبسّط على ثلاث مراحل. لأن جواب ثنيتتس القائل بأن الإحساس هو العلم يتفق في الواقع على التوالي مع:

١ - قضية ابروتغورس المدّعي أن الإنسان هو معيار كل شيء (e101 - c102). وهذه القضية تُبسّط انطلاقاً من تعابير الكراتلُس (e286 - a286)، وتناقش بناء على براهين تثار في حوارنا الحاضر. غير أن الكراتلُس اقتصر على تفسير عبارة "الإنسان مقياس" بالتعبير عن قيمة الرأي أو الظن والوهم كقيمة فردية مطلقة. ما يبدو للمرء هو في الواقع على ما يبدو له. وفي هذا المقام "الظهور" ينطبق على "الشعور". وفي كل المجال الحسيّ، الحس وهو والتصور الإيجابي الذي يترجمه تلقائياً واحد، يوصف بأنه علم، وعلم ذو عصمة.

٢ - قضية، ليس تعليم ابروتغورس العلني سوى صيغة ظاهرية عنها، وهي القضية القائلة: لا شيء يوجد، كل شيء في صيرورة (a102 - c100) فالانتقال والاحتكاك هما جوهر الصيرورة الوحيد وجوهر الوجود الظاهر. فمن توالد النار والحرارة، وهما ينبوع الحياة ومصدرها، إلى صحة الجسد والتقدّم العقلي، إلى التوازن لدى الأحياء فتحول الطبيعة الأزلي، وقد رمز إليه هومرس "بسلسلة ذهبية"، كل هذه التقلّبات تسفر، من وراء الوجود الظاهر، عن تواصل الصيرورة الدائمة الحركة. وتطبيق هذه القضية على نظرية المعرفة يعني نسبية الإحساس. فاللون مثلاً لا يمتلكه لا الفاعل الذي يحصره في مكان، ولا المفعول حيث يحشره الفاعل. فاللون في جوهره ليس سوى التقاء وتقاطع غير مستقر، أصيل في فرديته بين حركتين ليس الفاعل والمفعول سوى نقطتي انطلاق موقّت لهما.

(١) إن منطق الحس العام في إدراكه الأمور يتعثر سريعاً أمام استغلال الصيرورة غير المستقرة، استغلال مشاحنة. فمثل الأكعاب أو مثل صلات العمل المتقلّبة، وصلات القامة والحجم، يردّنا إلى مهاجمات ومشاحنات البرميندس وريما الفيزن أيضاً. ولا بد هنا من ملاحظة طلائع الاستطراد الكبير حول الفيلسوف، وهي طلائع مقصودة متعمّدة كل التعمّد. وقائدة الاستطراد هذا البارزة أوفر بروز هي متعة التفرّغ: أنهم ينعمون بفرغ موفور إلى حد كبير (e104). واستغراب ثنيتتس وكلام سقراط عن الإعجاب الفضولي، مصدر المعرفة، يتيح فترة استراحة قبل العرض =

٣ - صيغة النسبية المطلقة التي تتخذها قضية الحركة لدى "كاملي الاطلاع". فغير المطلعين هم واقعيون من النوع الغليظ، لا يتعرفون من الوجود إلا على ما تراه عيونهم وتضمه أذرعهم. في حين أن العمل والتوالد وكل ما لا يُنظر، خال من الوجود. ولا بد من تذكر أن ضرورة البراكسيس أي الأعمال هي طبقاً لتعليم الكراتلس (٤٣٨٦ ومايلي)، صورة معينة من الموجودات، وأن تعيين طبائع الأفعال الأصيل الدائم يُبنى على تعيين كل من طبائع الموجودات وصورها المستقر الخاص، وعلى قيمة الصور في ذاتها ومثالياتها وأزليتها (٢٨٩). وليست سلسلة التوالد، في هذه المقطوعة التذكيرية من الثيتتس، سوى تلك الأفعال في صيغة المجهول. وكلمة جسم لا تظهر في هذا المقام. ففي السفستي فقط، يحدد "أبناء الأرض" بدافع طبيعي الحقيقة الواقعية كجسم: لأن التعارض "جسماني لا جسماني" يغدو ضرورياً، ليمهد السبيل تحديد الوجود على أنه بالضبط فعل وانفعال. أما في الثيتتس، فغير المطلعين يتشبثون بمذهب الحسية الجامدة الكثيفة، لعجزهم عن فهم ما للحركة الشاملة من أسرار عميقة.

بيد أن المطلعين المرهفي الذهن، يحوّلون إلى نظرات ما ورائية الأساطير القديمة المتعلقة بنشأة الكون وسلاسل توالده. لا يلاحظ في البدء سوى الحركة. فهناك صيغتان كبيرتان يتعاقب ازدواجهما إلى ما لانهاية. ويمكن القول إنهما ذكر وأنثى متعارضان، قوة الواحد الفاعلة تلقى قوة الآخر المنفعلة. واحتكاك الاثنين الواحد بالآخر يوّلّد مزدوجاً آخر يشبه الأول بلا نهايته ولا انقضاءه: إنه المحسوس والإحساس. وهذه الفسائل أو الفروع المزدوجة، تتميز في قسم منها بأسماء لا نهاية لتتووعها، وفي القسم الآخر تبقى كثرة لا نهاية لها ولا اسم، وشأنها في ذلك شأن فروع السلالات الهسيذية.

= الثالث. ولكن العجب العجيب "ثَقَمَاس" وإريس ساعية الآلهة، والتحدث عن سلاسل التوالد، كل هذا أشبه بتواشيح أولية تسبق تلك المعزوفة العظمى وكأنها تحدثنا عن نشأة الكون.

(١) إن لفظة احتكاك قد استعملت لأول مرة في صدد الكلام عن النار (١٥٣a) لتصل هذا العرض الثالث بالتالي.

فلدينا إذن حركة أولى يركزها بطؤها بالذات، وعملها المتواتر على منفعل واحد، خاضع مدة طويلة لاتصالاتها، يجعل منها والددة ولدنا بعد ذلك، بسبب التلاعب الجريء بفعل "حمل"، العبور من فكرة الحمل إلى فكر الانتقال. والنتاج المتولد، من حيث هو نتاج مولود، يحمله الانتقال وهو حركة أسرع في ذاتها.

وقد سبق الكراتلس (٢٤١٢) وأقرّ مبدأ تمييز السرعة في حركة الموجود الأساسية. فلقاء إشتين من تلك "الحركات الوثيدة"، كالعين وشيء آخر معين، يولّد البياض والرؤية في آن واحد. ولكن نقل ذاك البياض وتلك الرؤية، وهما حركتان لا كيفيتان أو فعل مستقر، لا يكتمل إلا عندما تأتي الرؤية وتطبق على العين لا لتحولها بعد إلى رؤية، بل إلى عين رائية، وعندما يأتي البياض وينطبق على ما ندعوه موضوعاً لا ليحوّله بعد إلى بياض، بل ليجعله أبيض. وذاك الأبيض، أي خشباً أبيض أو حجراً أبيض.

فلا ركائز تلك العلاقة، علاقة "الفعل والانفعال" ولا معناها شيء ثابت. إذ ليس من فاعل في ذاته، بل في علاقته فقط وإبان علاقته بمنفعل. وإذا كان اتجاه العلاقة بين حدين معطين لا يمكن أن يقال عنه إنه قابل للقلب فهو يصبح كذلك على الأقل عندما يتغير أحد الحدين. فالحامل البادي هنا فاعلاً وهناك منفعلاً، ليس "موجوداً" يستطيع أساسه أن يحمل على التوالي علاقات متعارضة. إنه لا يوجد مطلقاً، بل يصير بلا انقطاع لا نهاية مائجة بتلك العلاقات المتضادة. والكلام الذي يبغي التعبير تعبيراً صحيحاً عن ذاك الجريان المتواتر، خليك بأن يوفّق إلى نبذ لفظة "موجود" نبذاً تاماً.

وهكذا لا ينحل العضو فقط والصفة إلى لعبة علاقات، بل الركائز أيضاً الناشئة عن ظواهر الوقائع المشخصة تلك، كالإنسان والحجر وما إلى ذلك. وفي حين أن غير المطلعين لا يرون سوى الشيء وينفون العلاقة، يفصم المطلعون الشيء ويحوّلونه إلى مجرى من العلاقات، يتغيّر اتجاهها نفسه دون ما انقطاع.

وسواء ألقى أفلاطون هذه القضية مكتملة، أم بناها هو، أم ساعد على بنائها في الصيغة الصارمة الانضباط، فهو على كل حال يبسطها بارتياح

ظاهر. وسوف يتذكرها فيما بعد، ويعرف أن يستثمرها في التيمُس مثلاً، ليطبّقها على نظريته في الرؤية.

وبعد ذلك تذكير عابر بالتوليد (d - c107). ثم يُبرز أفلاطون مزايا القضية التي يجابه بها ما يثيره الطعام من اعتراضات على عصمة الإحساس، كالأحلام والمرض والجنون وكل أوهام الحواس فيجب أن لا يقال إن إحساسين متناقضين لا يستطيعان أن يصحّا في فرد واحد. فليس هناك فرد أو حامل واحد، ولكن هنالك في كل فرد، سلسلة لا متناهية من الأفراد لا تثبت إلا بالعلاقة مع الشيء وإبان تلك العلاقة. فالفاعل أو الحامل وموضوعه لا وجود لهما إلا في تلك العلاقة المتبادلة والضرورة التي تشدّ الواحد إلى الآخر، لا تشدّهما إلى شيء آخر، لا بل لا تشدّ أحدهما حتى إلى ذاته (c - b160). ويُختتم هذا العرض في أقسامه الثلاثة بالتوحيد مرة أخيرة بين عبارات هراكلتس وابروتغورس وثيثيتس: الجريان الأكمل، والإنسان معيار، والإحساس علم (e160).

البحث الثاني: مناقشة التحديد:

إن النقد أوسع من العرض بكثير. فهو يقسم إلى أربع محاولات متتابعة، يقسم بينها بانتظام واف فواصل راحة بين مشهد وآخر. وفي نهاية الاستراحة السابقة تبئنا كلمة ينطق بها سقراط أن تلك المحاولات لن تحرز مصدراً واحداً ولن تتمتع بقيمة واحدة: "ولا برهان واحد يصدر عني. كل مهمتي هي أن أتقبّل ما تستبطله حكمة الغير".

١ - المحاولة الأولى (c161 - c168):

إن المحاولات الأولى قوامها براهين شعبية أو مماحكات، هي وجوه مختلفة مردّها إلى عبارة مزمنة أن تلعب دوراً كبيراً في هذا الحوار، وهذه العبارة هي السؤال التالي:

(١) التيمُس b٤٥ - a٤٦. راجع لبيير النظريات اليونانية في المعرفة البدائية س٤٤ ومايلي: J-I. Bear, Greek theories of elementary cognition. Oxford. 1906.

أيمكن أن لا يعرف المرء ما يعرف؟ والإجابة على السؤال هي الدفاع الكبير عن ابروتغورس (١٦٦ - ١٦٨). أجل، في وسع امرئ واحد أن يعرف ولا يعرف شيئاً واحداً. لأن الانطباع الحاضر يغير في الواقع كل المغايرة ذكرى انطباع غابر. لاسيما وإن الفاعل لا يبقى أبداً عين ذاته: إنه لا نهاية متعاقبة ينشئها أفراد مختلفون وبالنظر إلى هؤلاء الأفراد المتعاقبين كل إحساس فردي هو إحساس صحيح في فرديته. وهذا لا يهدم الفوارق بين الناس. لأنه إن لم يكن من فوارق في الحقيقة، فهناك فوارق قيم. فحال فكرة أو حال نبتة ليس أوفر واقعية من حال فكرة أو نبتة أخرى. إنه أوفر عافية وفائدة للصحة فقط. والحكيم، فلاحاً كان أم طبيباً أم خطيباً، هو من يعرف تحويل الحالات، ومن يعرف قلب الحالات، وإحلال استعدادات وأحاسيس وآراء منقذة محل استعدادات وأحاسيس وخيمة. لأن المزيد من صحة رأي، للدولة أو للمواطن على السواء، لا يعني سوى مزيد من القيمة.

ونظرية قلب وتحويل الحالات هذه تبرز في هذا المقام بمثابة صدى مباشر لأسلوب الزرّاع والأطباء وممارستهم النيرة. وإرگسيمخُس المأدبة له نظرية مماثلة في مهمة الطبيب: عليه أولاً أن يشخّص ثم أن يحوّل ويقلب. وما على المرء إلا أن يتصفّح معجم ليطره، ليتبين دور التحويل والقلب أي التحويل المعاكس، في ممارسة الأطباء وفي كتاباتهم. وصاحب "نظام

(١) إن البراهين الشعبية تستهدف ثوذرس مباشرة. إن كان كل إنسان معياراً، فلم لا نعدّ الخُوص معياراً؟ وإن كان كل فرد مقياس الحقيقة، فما فائدة التعليم؟ إذ تمسي الخطابة ويصبح الجدل مهزلة سواء بسواء. ثم كم هو صفيق زعم المساواة بين جميع الناس، والمعادلة بين الرعاع والآلهة. وإذ ينسحب ثوذرس من النقاش، ينبري ابروتغورس نفسه ليجيب "بدفاع" هزيل. إن مثل هذه البراهين تقحم الآلهة في الموضوع. وهو لا يعالج لا بالقول ولا بالكتابة مسألة وجودهم أو لا وجودهم. وأساس قضيتهم احتمال يشبه الحقيقة: فعل ثوذرس وثيتيتس قد يتطلب تدقيقاً أشد (١٦٢) أما البراهين التالية فهي تتصف بأنها صادرة عن مشاجرين ممتهين: فهم لغة أجنبية، وقراءة أحرف مجهولة. ثم مثل الإنسان الذي يغمض عينيه ويتذكر ما رأى، أو الإنسان الذي تغلق إحدى عينيه، فيرى إذن ولا يرى.

(2) المأدبة d١٨٦ حيث يقول: المشخّص ο διαγινωσχων والمبدّل οι μεταβαλλειν ποιων.

المعالجة في الأمراض المتفاقمة" لا يفتأ يناوئ بعض الاتجاهات في تفهم "التبديل أو التحويل" المفروض على الطبيب أن يحققه. ولكن يُحتمل أن يكون أفلاطون قد استثمر الأدب الطبي أقل بكثير من استثماره مصنفات أدعياء الحكمة والطب. فدفاع ابروتغورس مصدره الأرجح كتابات ابروتغورس نفسه. وهذا الدفاع يُختم بتحريض على ممارسة النقاش الجدلي باستقامة أوفر، إن ابتغى المرء من الذين تدحض آراؤهم أن يعودوا باللائمة على أنفسهم لا على الذي يوجه المناقشة. وفي هذا التحريض تلميح مباشر إلى "دفاع سقراط" (c 143 - d)، وتدليل سريع على نتائج الدحض الشافية، سوف يفيد منه فائدة عريضة حوار السفستي (230).

٢- المحاولة الثانية (a170 - b172 ثم d177 - c179)

إن المحاولة الثانية تناقش قضية "الإنسان معيار". ويدور النقاش لا حول صحة كل إحساس صحة مطلقة، بل حول صحة كل رأي صحة مطلقة. إن الرأي (أو الزعم أو الظن) هو الذي يأتي في الطليعة.

أ - الاعتقاد السائد هو أن الحكمة فكرة صائبة صحيحة، وإن الجهل رأي كاذب. فقبول قضية الإنسان معيار هو القول إذن بأن رأيي صائب في نظري، وكاذب أي خاطئ في نظر الآخرين (e170).

ب - وإن اعتقد الجمهور الكبير، بناء على مبدأ ابروتغورس، عكس ما يرتئي هو، فحقيقته لا توجد عدداً من المرات يوازي عدد ما يتفوق به معارضوه على مناصريه.

ج - وابرتغورس يعترف بمبدئه إن رأي معارضي رأيه هو الصحيح. فهم يحسبون رأيه خاطئاً، ورأيهم صائباً. فحقيقة ابروتغورس ليست صحيحة صادقة، لا للآخرين ولا له بذاته (c171). وطلب التمييز بين الحكماء، المردد في هذا المقام ما ورد في المحاولة الأولى، قد نصّ عليه عند الكراتلس (d - c286).

(١) راجع هبو كراتس في لبيته ٢ ص ٢٨٩، ٣٠٣. ثم كل المصنّف من ص ٢١٤ إلى ص ٢٧٧.

(٢) رَمجلة اشتقاق اللغة، م ٣٧، ١، ص ٦٨، Revue de Philologie.

(٣) راجع أيضاً حوار ابروتغورس b236.

أما البرهان الأخير، فقد قال لنا عنه سَكستوس في الباب السابع من رده على الرياضيين ٣٨٩ - ٣٩١، إنه مشترك بين أفلاطون ودموكرتس "في اعتراضاتهما على ابروتغورس". ومن جانب آخر، يحدثنا ابلوترخس في رده على كولوتس ٤، ص ١١٠٨ "عن اعتراضات كثيرة مقنعة" كتبها دموكرتس لمناوأة ابروتغورس وقد سبق "إفثيذمس" أفلاطون وقال (٢٨٦c): إذا كابر امرؤ وادعى مع ابروتغورس، استحالة النطق بالخطأ فمعنى ذلك: "إنه في حال صرع الآخرين جميعاً، يصرع هو أيضاً نفسه". هذا وإن أفلاطون يترك لنا المجال لمعرفة ما لهذا الدحض من مراجع متنوعة. وافترض كون دموكرتس، في هذا الحوار وفي حوار إفثيذمس، أحد تلك المصادر غير المباشرة، ليس أمراً غير معقول في ذاته ١. إلا أن الدحض لا يُعد قيماً في كل أجزائه على السواء. وما قد يحتفظ به المرء منه، بموافقة الجميع، هو أن هنالك أناساً حكماً وأناساً غير حكماً، وأن كل امرئ ليس طبيب ذاته، وأن ما تقره كل دولة من عدل إذا كان عدلاً لها، فكل ما تقره وما تحسبه نافعا لها، لن يكون بالضرورة مفيداً ونافعاً (١٧٢b).

وعندما يُبَاشِر البرهان المتعلق "بالمستقبل"، نرى أن أمرين هما التنبه إلى طول النقاش، وملاحظة يديها تُؤذرس بأن المتحاورين لهم "متسع من الفراغ"، يدخلان استطراداً طويلاً موضوعه الفيلسوف حين يواجه علماء هذا العالم (١٧٢c - ١٧٧c). وتهكّمت كلكتيس في حوار غرغيس، وازدراؤه حياة الفلاسفة العاجزة العقيمة (٤٨٢c - ٤٨٦d)، تتحول هنا إلى مدائح وتقاريظ تشيد بحياة الفلسفة. وهذا المديح وذاك الهجاء يتعارضان من حوار إلى حوار ويتقابلان تقريباً بطول المادة. ولكننا نكاد نوفق إلى العثور على كل تلك العناصر، المتجمعة في تقابل الثيتيتس، مبعثرة في الجمهورية: فمن ارتباك الفيلسوف، المثير البسمات في قصور العدل وغيرها من المحافل العامة (٥١٧d)، إلى تسامي فكرة عن نطاق الدولة الضيق (٤٩٦b)، إلى مرأى النفوس

(١) راجع لابروشار، دراساته في الفلسفة القديمة والحديثة، ص ٣٢ و ٣٣، ابروتغورس

ودموكرتس: V. Brochard, Etudes de Philosophie ancienne et moderne, Paris, 1912.

(٢) الثيتيتس ١٧٢c.

الهزيلة المحدودية القعداء، وقد شابهها ارتياد العلوم والمناهج المنحطة (ed٤٩٥)، إلى تضارب النموذجين في الفيلسوف (٥٠٠ e-d).

ويُحتمل أن تكون اختبارات أفلاطون الشخصية هي التي غدت مصدر الأفكار، المنبثقة عنها أوجه التعارض هذه بين الحكيم الأصيل والمهرة من أبناء العالم. إلا أن المنطلق التاريخي هو دوماً وأبداً إخفاق سقراط في محاكمته هذا، وليس من العدل في شيء قول من يدعي أن الفاصل المنوه إليه في هذا المقام، لا يصيب كل هدفه، لأن أفلاطون تريث إلى نهاية الحوار، ليطلعنا على شكوى ملتوس. فمنذ أسطر الحوار الأولى، تخيم فكرة حتف سقراط القريب على هذه المحادثة الفلسفية الحرة، بين سقراط وثيثيتس، دون أن تشوش صفاءها أو تقلق هدوء التفرغ لها. إلا أن فلامفئس على حق عندما يخمن أن حوار الفيلسوف كان في إمكانه أن ينجز ما باشره فاصل الثيتيتس هذا، من صورة للحكيم. ويتاح ربما لنا أن نفكر أن ذاك الحوار، وفيه يكون سقراط قد أتى غداة المحاكمة وعرض علينا تحديد الفيلسوف، قد يشغل لو وُجد، منزلة رديف لحوار فيذن، على الصعيد الجديد، صعيد الرباعيات المؤلفة من أربعة حوارات.

وما كان للمتجاوزين أن يواصلوا مناقشتهم دون تلخيص وجيز لما ورد في أوائلها. إنه لا يمكن لأحد بعد الآن أن يؤكد أن كل رأي فردي هو صحيح خصوصاً بالنظر إلى المستقبل. كل إنسان له في ذاته محكّ للموجود. ولكن ما سيصير وما سيحدث، لا يحكم فيه إلا صاحب الاختصاص نظير الطبيب والموسيقي والطاهي أو أمثال ابروتغورس معلّمي "الإقناع القضائي". فلا يبقى إذن سوى الانطباع الفردي الحالي، مصدر الأحاسيس والآراء. ولا يكاد ذاك الانطباع يتكون، حتى لا يعود للمرء عليه من ممسك. فيجب إذن أن نجري فحصنا على هذا الوجود، وهو وجود يفلت منا باستمرار.

(١) يجد فلامفئس إن ذكرى محاكمة سقراط "يُقَدَّف بها فجأة في سياق الحديث. وأنه لم يقل من جهة أخرى متى تجري تلك المحاكمة". U.von Wilamowitz Platon. Bd II, p.231 ولكن راجع حوار ثيتيتس ١٤٢ c.

(٢) الموضوع عينه، ص ٢٣٥.

٣- المحاولة الثالثة (c١٧٩ - b١٨٤)

إن محاولة النقد الثالثة موضوعها قضية الحركة الشاملة. وهي فرصة مؤاتية لموازاة تاريخية عريضة:

أ - إن أشد دعاة هذه القضية تمسكاً بها هم أتباع هراكلتس. وقد راح هرمجينس يتململ من إعراض اكراتلس عن إعطاء جواب شاف، ومن اكتفائه باستخدام السخرية كأسلوب وحيد في المناقشة (a٣٨٤). وسقراط الحوار عينه، حوار اكراتلس، ما برح يربط فلسفة الحركة تلك، وقد قبل بها "أكثر حكماء العصر" (b٤٤١)، بالأساطير القديمة المعالجة نشأة الكون. فريئاً واخرونس والأقيانس وتثيس هذه الآلهة العظيمة الأولى، كانت ينابيع هذا السيلان الشامل الأسطوري والشعراء الأولون المتغنّون به كانوا هومرس وهسيئدس وأورفيئس (b٤٠٢ - c). والفلاسفة دعاة هذا الجريان، وصفهم أفلاطون وكأنهم مزجّون في ذاك "الإعصار"، حيث يقذفون بالموجودات (c٤٣٩). وهو يجمّع هنا، في ملخص هذه المحاولة الثالثة الثري، تلك العبارات المبعثرة ونقاش الكراتلس المتعرج.

ب - وضد هذه الحركة الجوهرية، وقد انحاز إليها أناس لم يحرزوا في أفكارهم من الاستقرار أكثر مما يسبغون على الموجودات، هبّ ميلسُس وبرمينيذس. وفي اعتقادهما "أن الكل واحد، مستقر في ذاته، لم يحرز فراغاً يتحرّك فيه". وكأن هذا التوازي يمهّد الطريق لنقاش جامع. إلا أن سياق الحديث يبدي لنا فوراً أن ذاك التقابل لا غاية له في هذا المقام إلا تتمّة الإطار التاريخي، والتأكيد على نقاط الارتباط في المناقشة القائمة، بين الماضي والمستقبل. ونقاش الإلثائية لم يهمل وإنما أرجئ ليبسط في السفستي. فلا تدحض هنا إلا قضية الحركة.

(١) راجع الأسطورة اليونانية، تأليف الأب فؤاد جرجي بريارة، طبعة وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٦، المقدمة في الشعراء المذكورين، والفصل الثاني من الباب الأول في الآلهة الأولين.

فالحركة إما تغيرُ وإما تنقل. والحال أنه عندما يقال: أن كل شيء يتحرك، وعندما يفهم المرء بذلك، الإقصاء عن الوجود لكل ما يمكن أن يجمده على وجه من الوجوه، يضطر عندئذ أن يقول: إن كل شيء يتحرك في آن واحد بهذين الضربين من الحركة. لأن الوجود الذي ينتقل دون أن يتغير ويتبدل، يحتفظ في صميم ذاته بشيء من الاستقرار، فالتغير لا بد له إذن من أن يكون على قدر من الشمول والتواصل يضاهي مقدار التنقل.

والحال أن المرء، يستطيع المثابرة على القول إن ما يجري ويسيل أو يتعاقب، يسيل ويتعاقب وهو كذا أو كذا. ولكن كل كيفية، ألواناً كانت أم شيئاً آخر، إذا ما جرفتها الحركة ولم تنقطع عن الجري والهروب، لم يبق شيء في أي مكان. وفي الحامل أو الفاعل، إذا ما انفصم هو نفسه إلى ما لا نهاية من الوجدانات المتعاقبة الآنية، لا يبقى لأي إحساس متسع من الوقت كاف ليضع نفسه أو يتكوّن، قبل أن يكون قد سبق وغدا إحساساً آخر. فزعم الإحساس علماً هو العدول عن الكلام. وهذا العدول من جهة أخرى هو الملاذ الأخير. لأن القول بأن "الشيء هكذا" أو "ما هكذا"، يعادل إقرار حال، حيث لا يوجد سوى الجريان. ومن الممكن أن تعبّر كلمة مبهمة مثل "حتى ولا هكذا" عن ذاك اللاتعيين الأساسي.

وقبل المحاولة الرابعة، يعترض فاضل قصير (e183 - b184). إن سقراط لا ينزل عند رغبة تثبتس، ولا يناقش قضية برميندس، لأن برميندس جليل رهيب أكثر من جميع دعاة الوحدة الجامدة. هذه هي الذكري المنطبعة في نفس سقراط، على أثر حديث تبادله وهو شاب، مع برميندس في شيخوخته. وإذا ما رام المرء أن يغوص في تلك "الأعماق السحيقة"، فقد يتعرّض لأن يفوته فهم حرفها وخصوصاً معناها. وإذا نوقشت القضية، فقد يواجه المتحاورون "سيلاً من البراهين الصاخبة الهدارة" يمكن أن تغور فيه المسألة الحاضرة، المعقدة هي نفسه إلى حد كبير. ولم يكن في وسع أديب أن يذكر تذكيراً أفضل "بخضم البراهين" الواردة في البرميندس، ولا بعسر تلك البرهنة الجدلية.

٤- المحاولة الرابعة والأخيرة (b1٨٤ - e١٨٦)

يُمهّد لهذه المحاولة أيضاً، باسترجاع، ذكر التوليد. وعلى هذا النحو، يزيد أفلاطون من عدد الخيوط، الرابطة بهذا النقاش السلبي جملة، إذا لم نقل تحديده الوضعي للعلم، فعلى الأقل نظرتة إلى الحقيقة القابعة في النفس.

وفي هذا المقام بالضبط، يدرك شيء ما إيجابي، بتأمل قدرة الروح التركيبية المنسّقة. فإحساساتنا لا تستقر فينا واحدة فواحدة، شأن جنود هومرس في حصانهم الخشبي. إن فينا مركزاً ليست حواسنا سوى أدوات أو أعضاء له، ومهمته أن يشعر بالأحاسيس المتفرقة، مما يبعث به كل عضو على انفراد، وأن يقابلها بعضها ببعض، وأن يستخلص منها صفاتها المشتركة. فالوجود واللاوجود والتشابه والتباين والهوية والفارق، والوحدة والتعددية، كل هذه الخصائص المشتركة ليس لها، كالمحسوسات، عضو خاص بها. فالنفس هي التي تدركها وتقابل بعضها ببعض، وتستخلص منها النتائج اللازمة. فالانطباعات مشتركة بين الإنسان والحيوان. أما "تعليل الانطباعات في صلتها بالوجود والمفيد" فلا ينشأ إلا في النفس.

هذا وجميع الناس ليسوا بقادرين عليه. إذ يلزمهم له الوقت والجهد "والتهذيب". ومعالجة المفيد تربط هذه المحاولة الرابعة بالمحاولتين الأوليين، ولا سيما بالبرهان المتعلق بالمستقبل. ومفهوم المفيد هذا وقد رُبط في المحاولة الثانية على الأقل مرة واحدة، بمفهوم عام هو مفهوم الخير (d ١٧٧). ومن ثمة، نرى سلسلة مضاعفة تعود إلى الظهور في هذا المقام تحت عنوان "الخصائص المشتركة"، بعد أن برزت في البرميندس تحت عنوان "الصور" فمن جهة مفاهيم القيم: كالجمال والقبح والخير والشر (الثيتيتس a ١٨٦ والبرميندس b ١٣٠). ومن جهة مفاهيم جدلية صرفة أو ماورائية: كالوجود والتشابه والتباين. فالنفس تتأمل مباشرة

(١) راجع في علاقات هذا المقطع من الثيتيتس بالنظرية الأرسطية حول "الإدراك المشترك"، لبير النظريات اليونانية حول المعرفة البدائية ص ٢٦٠ - ٢٦٣ J. Beare. Greek theories of elementary cognition. وموضوعات هذا الإدراك المشترك هي لدى أرسطو "موازية بالضبط خصائص أفلاطون المشتركة". ويمكن كل الإمكان أن يكون مقطع الثيتيتس "قد أوحى إلى أرسطو فكرة هذه القوة العقلية الخاصة" ص ٢٦٢.

مثل هذه "الخصائص المشتركة" وتقابلها بعضها ببعض في تحليلها. وتتساءل عن ماهيتها وعن علاقتها المتبادلة. وليست الانطباعات سوى فرصة تتيح مثل هذه المقابلة. فليس العلم إذن في تلك الانطباعات. لأن النفس لا تلامس فيها أبداً الوجود والحقيقة (d 186). ولا تلامسهما إلا في إدراك "الخصائص المشتركة"، وفي مقابلتها بعضها ببعض. لأنها عندئذ تعالج الحقائق الواقعية (أي الموجودات a 187) مباشرة. ولا يبقى على المرء إلا أن يعرف كيف تسمى عملية الروح هذه.

المطلب الثاني: تحديد ثان للعلم

البحث الأول: عرض التحديد

فإن عبّر تثبتت فوراً عن عمل الروح هذا بكلمة ارتأى، وحدد العلم عفوياً بأنه الرأي السديد الصحيح، فذاك أنه يرجع بالطبع إلى المعتقد السائد، وتعبيره هو منذ مطلع المحاولة الثانية: إن الحكمة هي الفكر الصحيح، وإن الجهل هو الظن الخاطئ (b 170). ومع أنه يجب في التحديد الحاضر، أن تكون علاقة الفكر والظن موضوع تحليل دقيق يضع لنظرية

(١) حتى لمن ينبغي أن يطالع في هذه الصفحة من التثيتس، حلاً نهائياً لمشكلة العلم، فهذا الحل لا ريب أن قول لوتسلاوسكي Lutoslawski التالي يعبر عنه تعبيراً مسرفاً بعض الإسراف في الخطأ. فقد زعم: "إن المعرفة لدى أفلاطون لا تُحسب بعد الآن مجرد حدس مُثل سابق وجودها، بل تُعد نتيجة عملية عقلية" (منطق أفلاطون ص 375). إلا أن هذه المثل أو الصور أو الحقائق السابقة الوجود لا تُدرك، طبقاً لتعليم الفيذن إلا بعملية العقل أو "تفكير الذهن" (a 79) τῆς διανοίας λογισμῶ والنفس في هذا المقام المشار إليه تعالج أيضاً حقائق أو واقعیات تكشفها بعد جهد جهيد، وتحاول أن تستشف علاقاتها المتبادلة. وهذه الصفحة من التثيتس لا توحى ولا تنفي التعبير الماورائي عن عملية الروح المتعلقة "بالخصائص المشتركة". ومن وجهة نظر أخرى، ليس وصف عملية الروح المباشرة حول الحقائق أو الواقعيات، مهما بلغ من العمق، سوى وسيلة. وقد برهن برهنة ذاتية على صعيد المعرفة، عما برهنت عنه المحاولة الثالثة برهنة موضوعية، على صعيد الوجود. وخلاصة هذه البرهنة وتلك أن الإحساس ليس العلم. إلا أنها لم تقف عند حدود الوجه البرهاني من المعرفة. وهذا ما مكن تثيتس الشاب من أن يترجم هذه "البرهنة" بكلمة δοξα أي الرأي والظن.

"القول" المنطقية أسسها النفسانية، فالظن في هذا المقام، لايزال يحتفظ بمعناه الأصل معنى معرفة تخمينية صرف. وفعل ارتأى المحدد ههنا لم يفك ارتباطه بفعل ظن وخمن المتكرر في القسم الأول. ونعبر عنه في الفرنسية بفعل حكم، لفقداننا الجرأة على العودة إلى معنى كلمة ظن وارتأى الأصل. وما من داع إلى العدول عن معنى الظن لكلمة دُوكَسَا.

وبهذا المعنى بالضبط سوف تؤخذ كلمة ارتأى، وما ينجم عنها صراحة في ذهن القضاة، كنتيجة لبلاغة الخطيب المرافع الإقناعية المحضة، لا الإطلاعية: إنه الرأي الناجم عن السماع، بديل العلم الناشئ عن الرؤية. وبما أن التحديد قد استمد من المعتقد العام فقط، فلا حاجة لدحضه إلى أدلة غير "الحس المشترك" والخبرة العامة (٢٠١ - c - b). ولا جدوى زائدة إذن من الاعتقاد بأن أفلاطون يحبو الاختبار في هذا المقام، قيمة مستجدة برمتها، أو حتى من القول مع أبَلْت Apelt، إن أفلاطون يناقض ههنا تدليله على أن العلم ليس الإحساس، أو على الأقل يتغاضى عن ذلك التدليل. وإن تراخى الفيلسوف في دحض التحديد الثاني الذي حُدد به العلم، فذلك أن هذا التحديد قليل العمق، وإنه في الحقيقة لم يُطرق إلا ليفسح المجال للتطرق إلى مشكلة الخطأ. إذ إن مناقشة هذه المشكلة هي في الواقع الموضوع الخاص المعالج في هذا الشطر الثاني. لأن من يعرف العلم بأنه الرأي السديد، مضطر على الأقل إلى التمكن من أن يقول ما هو قوام الرأي الخاطئ وكيف يحدث^٢.

(١) إن ارنو Arnaud في رسالته إلى الأب مرسين Mersenne يستمد من القديس أوغسطينوس تمييزه بين سَمِع واعتقد وظَنَّ أو ارتأى، ويستعمل هذا الفعل الأخير بمعناه المتعدّي. راجع مؤلفات ديكارث Adra- Tannery. Oeuvres de Descartes, I X, p. 168.

(٢) حوار الثيتيتس لأفلاطون ص ١٨٢ Apelt, Platons Dialog Theaetet

(٣) إن نفي تمكّن المرء من أن "يرتأى الخطأ" قد دخل ضمناً في قضية "الإنسان قياس كل شيء". والتعبير عن هذه القضية قد ورد في الشطر الأول عادة "على النحو الآتي: كل رأي فردي صحيح. وقد كان الكراتلس يعرف هذا النفي كنظرية شائعة عريقة في القدم (d٤٢٩)، وقد أسرع إلى استخدامها منذ مطلعته تمهيداً لقضية ابروتغورس (٣٨٥). واعتمدت هذه النظرية على المبدأ الساري: لا يستطيع المرء القول دون أن =

البحث الثاني: مناقشة التحديد

إن التقسيم في هذا الشطر من الحوار يشير إليه كل من وجهتي النظر المتعاقبتين اللتين يتوقف النقاش على معالجتتهما. في إمكان المرء أن يتأمل الخطأ في ما قد نسميه الفكرة النيرة: فلا بد من إهمال حادثة التعلم والنسيان، ومن ثمة ندع جانباً كل ما هو فكر متدنٍ أو مبهم، ونضع نصب أعيننا أن ليس من وسط بين أن يعرف المرء أو ألا يعرف.

وعندئذ على الصعيد الذاتي أولاً، لا يمكن المرء أن يخلط بين شيء يعرفه وشيء آخر يعرفه، ولا بين شيء يجهله وشيء آخر يجهله، ولا بين شيء يعرفه وشيء يجهله أو عكس ذلك (١٨٨ - c). وعلى الصعيد الموضوعي ثانياً، لا يمكن المرء أن يخلط الموجود لا بما ليس موجوداً، لأن التفكير بما

= يقول ما هو موجود (٤٢٩ - ٤٣١). وقد استخدم سفسستيو الإفتيذمس مبدأ المعارضة هذا بشكله: ١ - لا يستطيع المرء الكلام دون قول شيء معين، ومن ثمة شيء موجود، ومن يعبر عن الوجود أو الموجودات ينطق بالحقيقة.

٢ - ما ليس موجوداً لا يقدر أن يكون موضوع أي فعل، ومن ثمة لا يقدر أن يغدو موضوع أية جملة منطقية. ولم يكن سقراط يجيب آنئذ إلا باعتراض عد شعبياً في المحاولة الأولى (٤١١) من الثيتتس: وما الفائدة إذن من التعليم؟ (الافتيذمس ٢٨٤ - a٢٨٧). غير أن السفسستيين كانا قد أعطيا تعريفاً للعلم سوف يصحح هنا: المعرفة هي إحراز العلم (b٢٧٧). وأخيراً سؤالهم القائل: "هل يتعلم المرء ما يعرف أو ما لا يعرف" قد تضمن بذور الصعوبة الشهيرة وهي التي تتساءل: هل يستطيع المرء أن لا يعرف ما يعرف؟ وقد رأيناها تتكرر بصيغ شتى في المحاولة الأولى (١٦٣ - ١٦٦). إنها عين المصاعب نعثر عليها الآن، موضوعية كانت متعلقة بالوجود واللاوجود، أم ذاتية تمت إلى المعرفة واللامعرفة. غير أن صعاب اللاوجود لن تناقش مناقشة جذرية إلا في حوار السفسستي. ومع أن الثيتتس يجمع هذه المصاعب الموضوعية تجميعاً أكمل وأوضح مما فعل الأفتيذمس أو الكراتس، فالثيتتس يتوسّع خصوصاً في العقبات الذاتية. ودافع هذه المناقشة الطويلة ورائدها هو أبداً ودائماً التساؤل المشهور، أي قدر المرء أن يعرف ما لا يعرف، أو أن لا يعرف ما يعرف؟ وهذه المناظرة الدائرة في الثيتتس حول الخطأ والضلال تناولتها بالتمحيص مقالات وافرة. ولكن فحواها الجوهرية لم تستخلص بجلاء أوفر، ولا مداها المنطقي والماورائي حُدِّد باقتضاب أمتن، في دراسة من الدراسات تفوق أطروحة الأستاذ بروشار في كتابه عن الخطأ، ص ١٦ - ٢٠، Brochard, De l'Erreur, 2. éd., Paris, 1897.

ليس موجوداً هو الانقطاع عن التفكير تماماً، ولا بما هو موجود، لأن الخطأ أو الضلال في مثل هذه الحال يعادل في الظن إبدال وجود بوجود، وهو ما يسمى بالآلُوذُكْسِيَا أي الاعتقاد بشيء بدل آخر. لأن الفكر ليس في الواقع سوى حوار تحاور النفس فيه ذاتها أو تتناقش هي ذاتها مع ذاتها. وليس الرأي سوى إبداء حكم في هذا النقاش (a190). فإن حضر حدّان في الروح، ومثلاً معاً في حقل الشعور النير، وكنا موضوع نقاش ذهنها، ذاك النقاش الباطني، فالرأي الذي يفضي إليه ذاك النقاش لن يتمكن أبداً من أن يستبدل حداً بحد. وبأولى حجة إن لم يمثل في حقل الشعور سوى حد واحد. وبالتالي لا يمكننا أن نحدد الرأي الفاسد بأنه سوء فهم أو اعتقاد شيء بدل آخر، أو ظن غير ما يُقصد (d188 - e190).

ويستطيع المرء أيضاً أن يتأمل الخطأ في نفس عاد وأدخل عليها التذكّر والنسيان. وعندئذ له أن يتمثّل حفظ الذكرى عن طريق صورتين متاليتين.

١ - قطعة الشمع وانطباعاتها. وهذا التشبيه سوف يغدو في أدب علم النفس بضاعة رائجة. والمصنفات الأولى البالغة إلينا والمستفيدة من هذا التشبيه هي "في النفس" و"في الذاكرة" لأرسطو.

وما يثبت لنا أن هذا التصوير ضرب من الهجاء، هو تصادم المعارضات المتزايدة بين شيء نعرفه أو لا نعرفه، وبين الإحساس الحاضر والانطباع الناجم عنه، وبين الإحساس الملائم الانطباع أو غير الملائم الانطباع (١٩٣ - ١٩٤). ووصف القلوب الناعمة والقلوب الجافة والقلوب المنداة، لا يقل هجواً وسخرية عما تقدم، مع أن ألفة طويلة لمثل هذه الشروحات المادية تحجب عنا قليلاً هذا الهجاء (a194 - b195). وأفلاطون من جهة أخرى يؤكد لنا في صراحة مصدرها الغريب (c194). وما تتيح من مغنم قد يعود إلى تمكن المرء أن يقول إن الرأي الفاسد "لا يكمن لا في الإحساسات بعلاقاتها المتبادلة ولا

(١) نجد تطبيق نظرية الانطباعات على صفات الذاكرة، في كتاب الذاكرة b٤٤٩ - ٣٠ - a٤٥٠

٣٢. ونجد تشبيه الإحساس بتشبيهاً بسيطاً بطبعة الختم، في كتاب النفس ١٩٤٢٤.

في الأفكار، وإنما في تطابق الإحساس والفكر" (١٩٥٠). والمفروض عندئذ أن لا يتمكن المرء من الخلط بين أمرين يعرفهما الفكر فقط، إلا أن هذا ما يحصل بالضبط عندما يخطئ المرء في الأعداد.

٢ - طير الحمام وبيوتها. وبما أن المرء مضطر، حتى في اللحظة التي يبغي فيها تحديد العلم، ويجهل فيها ما هو العلم، أن يستخدم بلا انقطاع لفظة "العلم"، سيصحّح الفيلسوف التعبير العام المبتذل القائل: إن المعرفة هي إحراز العلم. وهذا التعبير هو الذي عمد إليه أهل السفسطة في الأفثيزمس، وربما لأنه كان التعبير الشائع. سوف يقول: إن المعرفة هي امتلاك العلم. إذ عندما يقتنيه المرء، يمتلكه ولكن على حال ذكريات ترفرف في الذاكرة وكأنها طير الحمام في بيتها. وعندما يروم المرء التقاطها لإحرازها، يخطئ لأنه يلتقط الذكرى في طيرانها، فيأخذ واحدة بدل أخرى.

بيد أن نتائج هذا الشرح وخيمة. فإن كان الضلال يتأتى عن إبدال علم بعلم، فمثول العلم في النفس يحدونا إلى الخطأ. وكما نتلافى أن تودي بنا نتيجة العلم إلى الجهل إن رمنا أن نضع في بيت الحمام، إلى جانب العلوم نقائض علوم، نزج بأنفسنا في طريق لا نهاية لها: لأن العلوم هذه ونقائضها تمسي موضوعات علوم جديدة، لا بد من تعقبها في بيوت حمام جديدة. وهكذا دواليك. هذا، ومن زاوية أخرى، إذا كانت خبرة المحاكم اليومية تبين أن الرأي الصائب ينشأ في النفس دونما علم، فالتحديد الثاني لا يستطيع الصمود.

المطلب الثالث : تحديد ثالث للعلم

البحث الأول: عرض التحديد

لم ينسَ أفلاطون أن يقول لنا إن أصداء المناظرات الفلسفية، كانت تبلغ معهد ثثيتس لتشوش فيه أحياناً أبحاثه الهندسية. وقد كان مطلعاً على

أسئلة سقراط المألوفة عن العلم، وحاول مراراً أن يجد لها حلاً بنفسه، وسمع حلولاً اقترحها غيره، ولم ترق له أبداً (e١٤٨). وبما أن التعريفات التي اقترحها في صيغة تردد وتحفظ لا تستقيم (b١٨٧)، فهو يقترح تعريفاً آخر تسترجعه ذاكرته: العلم هو الرأي الصحيح تشفعه الحجة.

وفي هذا المقام، يتوقّع من ألف مطالعة أفلاطون أو يكاد، أن يرى تثبيتاً ينظر إلى سقراط ويبتسم، كما كان خرميذس ينظر على اكرتيس. إذ لم يجهل أفلاطون بكم مقطع من حواراته قد يذكر هذا التعريف. إلا أنه يودّ التظاهر بجهل ذلك. والعبارات المناقشة هنا تداني أحياناً عباراته مدانة حملت الكثيرين من النقاد على الظن بأنها ترجيح لتلك. ولكنه يدمرها الواحدة تلو الأخرى بنشاط، دون أن يظهر عليه أبداً أنه يهاجم مبادئه الشخصية.

البحث الثاني: مناقشة التحديد

إن النظرية الخاصة المعروضة هنا تتعلّق في الواقع "بالحجة" أو التعليل بما هو شرح وتفسير تحليلي. ففي وسع المرء أن يقدم تعليلاً لكل يفككه إلى مقوماته الأولية. ولا يتمكن أحد أن يأتي بتعليل مماثل لتلك المقومات، إلا إذا نظر إليها هي أيضاً نظرتة إلى كليات، يعرف أن يعثر على جزئياتها المركبة. فإن كانت المقومات هي الأولى على الإطلاق فهي حينئذ الحد الذي يتوقف عنده كل تحليل. وهي معطاة في الواقع، وليست مصادرة أي مفترضة فقط، لأن الإحساس يدركها. وهي متميزة بعضها عن بعض، لأنها مسماة. واسمها سميتها الفارقة الوحيدة. ولا يلائمها أي تعيين منطقي، حتى تعيين الوجود. ومع أنها قابلة أن تُعرف، فهي لا تُعرف، وغير قابلة أن يعبر عنها بتعليل. لأن التعليل لا يتولّد إلا عن تماسك عدة أسماء. إنها عناصر وأحرف تتألف منها المركّبات أو المقاطع وهذه على عكس تلك، قابلة أن تعرف وأن يعبر عنها، والرأي السديد يعبر عن تعليلها.

لقد كان من السهل على أفلاطون أن يتلاعب بمعاني لفظة "لوغس" الكثيرة. وليس لدينا في الإفرنسية كلمة يمكن استخدامها لتأدية كل تلك المعاني وملاساتها، دون تمزيق تلك الكلمة تمزيقاً مفرطاً، إلا لفظة "عقل" بمعناها الأعم، على ما يستعملها الفلاسفة وخصوصاً رياضيو القرن السابع عشر. وجليّ أن كلمة "عقل" تعني في هذا المقام "الوجه الذي به شيء يحوي أشياء أخرى". وعند التبسط فيها وإعادة تنظيم مركبات الشيء عدداً وترتيباً، فهي عقل أيضاً أو تعريف، ودوماً "لوغس"؛ وبما أن هذه المركبات لا سمات لها سوى أسمائها، وليست سوى أسماء، فالعقل هو تداخل أسماء (b202). وهكذا تظلّ لغة الفلسفة ولغة الرياضيات متشابكتين في هذا العرض، وهو يتمثل العناصر خالية من العقل أو اللامعقوليات أي لا تعليل لها وصّاء $\alpha\lambda\omicron\gamma\alpha$ ، والمقاطع مزوّدة بتعليل قابل للبسط، وقابل إذن لأن يعبر عنه $\Pi\eta\tau\alpha\iota$.

ويصعب على المرء أن لا يذكر ههنا أن سقراط الكراتلس، سبق وعرض نظرية عن اللوغس، وعن المعرفة التي يمكن أن تُعرّف بها العناصر، تختلف اختلافاً تاماً. لقد بدأ ولا ريب (c385) وعدّ الاسم فقط بمثابة جزء أساسي من "اللوغس". لا بل اعترف لهذا العنصر بإمكانية صواب أو خطأ، من شأن حوار السفستي أن يرذله فيما بعد. ولكنه أحجم بعد ذلك (a425) عن هذا الموقف، وصحّح فكره وأكد أن "اللوغس" كعقل أو تحديد أو قول، مركّب لا من الاسم فقط، بل من الفعل أو المحمول أيضاً $\Pi\eta\mu\alpha$. وحوار السفستي سوف يستخدم "اللوغس" الحوار أو القول في هذه الصيغة ليبين إمكان الخطأ في الكلام.

ومن جهة أخرى رأى الفيلسوف إن الشرح بالعودة إلى أصول اللغة يرجع حتماً إلى أسماء هي بمثابة عناصر أسماء أخرى وعناصر القول، وهي غير قابلة أن تعد "مركبة" من أسماء أخرى (a422). ولكنه ما انفك يبحث عن شرح وتعليل لتلك الأسماء الأولى ويجده. ويحاول لذلك أن يفككها إلى عناصر جديدة

وأحرف. إلا أن هذه الأحرف، وهي العناصر الأخيرة التي لا تقبل التفكيك، انطوت هي أيضاً على قوة خاصة قابلة أن تعرف في كل حرف بمفرده. ولم يتوفر تعيينها إلا بحيلة أي باللجوء إلى قدرة المحاكاة الكامنة في الإشارات. فقدره هذه العناصر الأخيرة تأتيها إذن من طبيعتها، وهي طبيعة محاكاة. وكل حرف غدا في نظر أفلاطون وكأنه "محاكاة صوتية". وقد راح من ثمة يدرس بشيء من الدعاية الجادة دور الرء واللام والسين Pls (٤٢٢ - ٤٢٧).

وأخيراً يبدو جلياً أن المقاطع الصوتية، في عرضنا الحاضر، لا تقبل التعبير عنها، إلا إذا حوت تعليلاً مضبوطاً، تعليل علاقة "عدد بعدد". والحال أن العالم تثبتتس الذي تُدحض أمامه هذه النظرية، هو الذي أدخل على الرياضيات في عهد أفلاطون، الفكرة القائلة إن بعض الكميات غير القابلة قياساً، يمكن مع ذلك التعبير عنها. ولها علة دعاها القرن السابع عشر "صماء". وسواء عشر أفلاطون على العرض الحاضر لدى أنتستينيس أو أي كاتب آخر، أم بناه هو نفسه في شيء من التصرف، فعلى الأغلب أنه كان يعدّ النظرية المبسوطة عتيقة متخلفة في نظرتها إلى الكمية الصماء وفي نظرتها إلى علاقة العناصر بالمقطع الصوتي.

وأفلاطون يدحضها جملة ببرهان جدلي يعاود فيه تمايز البرميدس البارعة الدقيقة (١٤٥ - ١٤٧، b ١٥٧ - b ١٥٨) حول الكل كمجموع والكل

(١) طالع من الثببتس ١٤٧ - c ١٤٨، ثم قابل على سبيل المثال، التعليق على العبارة الثانية من الباب العاشر من عناصر إقليدس Euclidis elementa, Heiberg, v.p. 499-442 بكتاب Nouveaux Eléments de géométrie, Paris. Savreux, 1667. p. عناصر الهندسة الجديدة. 23. ولفظة أصمّ surdus يستخدمها جيرار الكريموني Gérard de Crémone، منذ أواخر القرن الثاني عشر. راجع بيير تانري في دائرة العلوم الرياضية، المجلد الأول، ص ١٢٨ ح Pierre Tannery, in, Encyclopédie des sciences mathématiques 1904. ، ١٩٠٤، ٢٢

كوحدة ناتجة، والجزء وجملة الأجزاء. وهذه التمايزات سترد مراراً في كتابات أرسطو وسوف يستغلها سَكْسْتُس أمْبِرِكُوس إلى حد الإسراف. فالمقطع الصوتي هو إما مجرد مجموع العناصر وإما صيغة فريدة ناجمة عن ضمها بعضها إلى بعض. فإذا كانت صيغة فريدة فلا بد أن تكون غير قابلة للتقسيم. ولن تكون إذن قابلة أن تُعرَف أكثر من العناصر هذا، وتدلنا الخبرة من وجهة أخرى، أن العناصر في الصرف والغناء وغيرهما من العلوم، تفرض أن يتعلمها المرء قبل المقاطع أو المركبات، وأن العنصر يقبل المعرفة أكثر من المركب (e٢٠٢ - c٢٠٦).

لكن النظرية التي تعرّف العلم بأنه رأي صائب مشفوع بتعليل، قد تغافلت عن قولها لنا ما تعني على وجه التدقيق بلفظة علة وتعليل. وهذه العلة أولاً لا يمكنها طبعاً أن تكون مجرد تعبير صوتي. إذ كل الذين يستطيعون النطق يتمكنون من التعبير عن رأيهم السديد. فإن كان هذا التعبير الصوتي البحث هو علة، وإن كان ضم هذه العلة إلى الرأي القويم يجعله علماً، فالرأي السديد لن يقبل أبداً الانفصال عن العلم.

وهذه العلة ثانياً لا يمكنها أن تكون استقراء كاملاً وتعداداً مضبوطاً للعناصر. لأن الطفل الذي يكتب اسماً كتابة صحيحة، لا يعرف الأحرف المركبة إلا معرفة رأي سديد إذ لم يحرز العلم بعد.

وهذه العلة ثالثاً لا يمكنها أن تكون الفارق المميز أو النوعي. لأن الرأي لا يكون قوياً إلا إذا رمى إلى ذاك الفارق المميز. وبالتالي لن تكون العلة الجديدة المضافة إلى الأولى سوى لغو وحشو. وإن رام المرء من العلة المضافة

(١) راجع في الحل الذي يقترحه افلاطون في هذا المقام، ما وراء الطبيعة لأرسطو a١٠٤٣، ٢٩ a١٠٤٤، ١٥. وفي القضايا المغلقة المتعلقة بالجزء والكل راجع الطبيعة ١١b١٨٥، والطوبىقا a١٥٠، ١٥ - ٢١ الخ. وسكستوس امبركوس، في كتابه ردّ على الرياضيين، ٩، ٣٣١ - ٣٥٨ وتعليقه على الطوبىقا ٣، ٩٨ - ١٠١ الخ.

إلى الرأي السديد أن لا تكون بعد رأياً، بل معرفة، يؤول ذلك إلى تحديد العلم
بالرأي القويم مضاف إليه علم الفارق. ونحتبس هكذا المحدد في المحدد.
ومن ثمة ليس العلم لا الإحساس ولا الرأي السديد، ولا الرأي السديد
مشفوعاً بالعلة تضاف إليه كفاءض. ويختتم سقراط حديثه بالتدليل على
فضل توليده، ثم يضرب له ولشؤذرس موعداً للغد. وأما الآن فهو مضطر أن
يمضي إلى الرواق الملكي، حيث ينتظره خصمه ميلتوس.

الفصل الرابع

مَشَاكِلُ الثَّيْتَسِ التَّارِيخِيَّةِ

المطلب الأول : تأليف الحوار

البحث الأول: التواريخ

لقد رأينا إلى الآن أن مطلع الحوار من جهة، وتاريخه المتأخر تفرضه الدلائل الإنشائية من جهة ثانية، أتاحا لنا أن نرجع بتأليف الثييتس إلى ما بعد سنة ٣٦٩ ق. م. ووجه تفهّمنا دلائل المطلع يسمح لنا ربما أن نستغل المعركة الدائرة بجوار كورنثس آنذاك، هذا الاستغلال التاريخي، مع ما أثار عليه كومبرتز Th. Gomperz من اعتراضات^(١). وموقفنا هذا يعطينا بالتالي من الارتقاء في المناقشات حول التلميح إلى التآبين الملكية المدبجة في عهد أفلاطون (١٧٤ - ١٧٥ د). وعلى كل حال، فالدراسات الحديثة الدائرة حول إسكراتس لم تبدل تاريخ ٣٧٠ ق. م. وهو حد أدنى لتآبين إلفغورس عيّنهُ العلماء. وهذا التآبين في زعم اسكراتس هو أول تآبين نثري أشيد فيه بمديح معاصر^(٢). وقد

(١) Th. Gomerz. Les Penseurs de la Grèce (trad. A. Reymond), II, p.577 note I.

(٢) غومبرتز في عين المصنف، مفكرو الإغريق. وإسكراتس، خطاب ٩، ٥٨ ومونشير في دائرة المعارف الملكية، مقال اسكراتس: Munsher, Isocrates in Real. Encycl. IX, 2(1916). co1. 2191.

أجاب أدِرُروب Drerup على الشكوك التي طرحها فون فلامفتس وتبناها من بعده ريدير H. Raeder بشأن صحة زعم اسكراتس. وتلميح الثيتيتس إلى تأبين ملوك لا يقدر من ثمة إلا أن يثبت النتائج المستخلصة من المطلع^(١). ومداعبة أناس يفاخرون بخمسة وعشرين جِداً (a - d ١٧٥) لا تتيح لأحد استغلالها استغلالاً تاريخياً. وروده Rohde لم يقتد به أحد، عندما حاول تفسيرها كإشارة خفية إلى أغيسلَس الاسبرطي (٣٧١ ق.م) أو إلى ابنه أرخيدَمُس (٣٦١ ق.م).

ولكن إذا قبلنا أن الثيتيتس متأخر عن سنة ٣٦٩ ق.م، يبقى علينا مع ذلك أن نعرف هل سبق أو عقبَ سفر أفلاطون الثاني إلى جزيرة صقلية (٣٦٧ ق.م). والمسألة، وإن حلَّها بعضهم أحياناً بصورة قاطعة، لا تقدر أن تُعدَّ حالياً وكأنها منهية. فإن فُرض أن الثيتيتس في صيغته الإنشائية الحاضرة قد دُبج بعد سنة ٣٦٩ ق.م بقليل، فليس هناك سبب جزري يحول دون أن يكون قد أنجز ونُشر فقط بعد سفر أفلاطون إلى صقلية^(٢).

البحث الثاني: طريقة التأليف

من الوجهة التمثيلية، لا يستطيع المرء أن يغالب تأثره من البون الكبير بين التحديد الأول والتحديدين الآخرين. وقد حدا هذا التفاوت بفون

(١) مؤلفات إسكراتس م ١، ص ١٤٣. E. Drerup, Isocratis opera 1.

(٢) إن الحالة النفسية التي يفترضها مقطع الثيتيتس (١٧٢ - ١٧٧ c) المتعلق بالفيلسوف وإعراضه عن الأمور الدنيا، قد فسره الشراح واستخدموه على أوجه متباينة جداً. فالتخاذل البادي فيه، ليس في نظر لوتسلاوسكي Lutoslawski سوى صدى إخفاق أفلاطون في جزيرة صقلية. أما في اعتقاد غومبرتس، فلم يكن في وسع الفيلسوف بعد هذه السفرة الثانية، أن يبدي للسياسة امتهاناً باهظاً إلى هذا الحد، دون أن يعرضه إقدامه المفرط السرعة على النيل من مشروعه الأخير والتجريح به، لِهْزء خصومه واستخفافهم له.

فلامفتس إلى الفرضية التالية. يقول هذا الشارح إن من المحتمل أن يكون الحوار قد بني أولاً برمته في خطوطه العريضة، طبقاً لمخطط وصيغة إنشائية، لا يبرح القسم الثاني منه يبيديهما لنا حتى الآن. فهناك في الواقع نقاش تعليمي مذهبي صرف. وهيئة الحوار أو صورته عميقة من الوجهة الفكرية، إلا أنها لا تفتأ تنتظر ما قد يؤتيها حيوية تحوّل المناقشة إلى حوار تمثيلي. وطبيعي أن يكون أفلاطون قد استطاع أو اضطر أن يبني مثل هذه الصور التمهيدية قبل أن يصوغها في صيغتها الأخيرة المعدة للجمهور. وطراً على الأثر موت ثييتس، فوّر للحوار أشخاصه وجماله التمثيلي في قسمه الأول برمته. إلا أن أفلاطون لم يحظَ بمتسع من الوقت لإنهاء هذه التحفة الأدبية. وإذ كانت الأحوال تستحثّه للمضي إلى صقلية، ترك القسم الثاني على حالته التخطيطية ونشر الحوار بجملته. فمن الوجهة التمثيلية قد يُحسب الحوار كاملاً لو أن الفيلسوف توقف منه عند مقطعه السابع والثمانين بعد المئة. ولكنه أحب ورام أن يعرض كل النقاش المتعلّق بالعلم.

لا مشاحة أن مثل هذه الفرضية جذّابة. إلا أن البعض قد حسبوا، لتحاليل وتعاليل مماثلة، إن البرميدس الحالي هو عمل غير مكتمل. مع أنه يتضح لنا جلياً أن أفلاطون قد ابتغاه على الوجه الذي بلغ به إلينا. ولقد رأينا أن القسم الثاني من الثييتس هو ربما في مقاطع عدة، ضرب من الصنعة.. ونعرف جيداً أن أفلاطون حبا المقطوعات الجدلية الصرف بمودة خاصة وبعض الإيثار. وتلك المقطوعات أيضاً هي من بعض الوجوه مآثر فنية. أخيراً لا بد من إبداء ملاحظة شكلية محضة. وهي أن الاستطراد الدائر حول الفيلسوف، يشطر مدى حوارنا الحاضر إلى شطرين يكادان يتعادلان تعادلاً تاماً: فهو يمتدّ في القسم الأول من الفقرة ١٤٨ إلى الفقرة ١٧٢ - وفي القسم الثاني من الفقرة ١٧٧ إلى الفقرة ٢١٠. فيبدو إذن أنه قد أنزل في الموضوع

المبتغى بالضبط ليخلق التوازن بين هاتين المسافتين من النص. وإذا دُبَّج في وقت أشرف فيه أفلاطون على إكمال القسم الأول من الوجهة الأدبية، فمفاد ذلك أن الفيلسوف لم ينو آنذاك أن يغيّر شيئاً في القسم الثاني. ولا نستطيع البتة أن نعرف هل محض الجمهور الذي ما انفك أفلاطون يكتب له، القسم الثاني من الثيتتس قدراً يوازي ما خصّ به القسم الأول، وهل لاقى في تلك المنازعات الجدلية قدراً من السحر الأخاذ يضاهي ما تلقى منه في المباراة الخطابية مع ابروتغورس.

المطلب الثاني : خلفية الثيتتس التاريخية

البحث الأول: التحديد الأول

١ - إن أفلاطون نفسه يقول لنا في وضوح إن العرض التعليمي هو بنیان أفلاطون، لا مجرد نقل لجهاز مذهبي قائم، وذلك عندما يعدد لنا في ختام كلامه قطع بنيانه المركبة: وهي الجريان المستمر لدى هوموس وهراكلتس وأتباعهما، وإنسان ابرتغورس معيار كل شيء، وما يدعي ثيتتس في هذا المقام من توحيد بين الإحساس والعلم. فأول مرحلة من العرض هي منذ الآن بنیان. و المرحلة الثانية، بالعبوة متواترة لدى أفلاطون، تفرض عند ابرتغورس تعليماً سرياً يوحد بين قضيته القائلة بأن الإنسان معيار كل شيء وبين القضية المؤكدة أن "كل شيء يتحول". وهي تسبق وتصور، في خطوطها العريضة، المنظومة التي تبنيها بإحكام المرحلة الثالثة. فمن ذكرى الأساطير عن نشأة الكون، إلى استقرئات الحس العام، الواردة من قبل في الكراتلس، حول تمايز السرعة، المنوطة بمفهوم الحركة، إلى التلاعب بعبارات ألفها قارئ أفلاطون، كل هذا قد استخدمه الفيلسوف لتشييد البناء الماورائي الذي ارتكزت عليه، في هذه المرحلة الثالثة، نظرية الإدراك النسبية. ومحاولة إسناد

اسم معين إلى نظرية بنيت على النحو المذكور آنفاً، يعني ضرباً من الإزهاق لها والتضييق عليها غير المشروع. فأفلاطون في هذا المقام، ينظم ميولاً وتيارات بقدر ما يجمع مذاهب وتعاليم، وربما أكثر. ومعرفة المفكرين أو الكتاب الذين استمد منهم عناصر هذا التأليف، ومعرفة مدى صياغة بعض تلك العناصر، ومدى بسطها في النظريات أو المحاولات التقريبية لبناء النظريات، التي ينقلها لنا الفيلسوف ببعض التصرف، هذه المعرفة بالذات هي المشكلة الحقيقية. وهي مشكلة تزداد صعوبتها، بمقدار ما تتعرض الموسوعات اللاحقة الباسطة لنا مثل هذه الخطوط في المذاهب القائمة على عهد أفلاطون، لأن تتلوّث هي نفسها بعرض الثيتتس.

أما غير المطلعين فمذهبهم الحسي الكثيف كثافة المادة، ينفي كل واقعية عن الأعمال، وعن صروف الصيرورة وهي وجه الأعمال المنفعل، وعن كل ما هو مغاير للواقع المرئي الملموس. وهذا المذهب قد بناه الفيلسوف في هذا المقام كمقابل لنسبية الظرفاء المتباهية بالعلم، ومنفر منها، وكأداة توازن لألعوبة الأفعال والانفعالات حيث يتوارى كل واقع مشخص. وإذا عبّرنا عن هذا المذهب الحسي السمج بنظرية منطقية أو جدلية، فهو يلاشي في الحوار أو القول كل فعل أو محمول، كما أن النسبية تقصي عنه كل فاعل أو موضوع. ومن ثمة يحق للمرء أن ينحل أنتستينس مذهباً حسياً مماثلاً، لأن هذا الفيلسوف ينفي الكيف أو الصفة المجردة

(١) إن الأسماء المقترحة متباينة كل البون: فقد عين ابروشار ابرتغورس، في دراساته عن الفلسفة القديمة والحديثة ص ٢٦ ومايلي. ونادى ريدير بأنتستينس كصاحب لهذه النظرية، في كتابه فلسفة أفلاطون ص ٢٧٢. ونسبها اشليير ماخر ودوملر واتسلر إلى اريستبس وأهل القيروان. وغالى في ذلك ناتورب في مجلة وثائق تاريخ الفلسفة، ٣، ١٨٩٠، ص ٣٤٧ - ٣٦٢.

(٢) وهذا ما وقع فعلاً لعرض الفلسفة القيروانية عند سكستوس امبركوس، في كتابه الرد على الرياضيين، Sextus Empiricus. adv. math., VII, 91.

ويردّ الواقع إلى الشيء، والقول إلى مجرد تجميع أسماء. إلا أن نحلاً محدوداً كهذا لا ينطبق على شمول ذلك الموقف، وهو موقف عفوي في المذهب الحسي الشائع لدى العامة.

٢ - في نقد التحديد الأول، إن براهين المشاحنة الواردة في المحاولة الأولى هي مستمدة ربما من أنتسيينس، وهو يخاصم في كتابه عن الحقيقة ابرتغورس في كتابه عن الموضوع نفسه وقد مر بنا أن بعض براهين المحاولة الثانية تساوي على الأقل براهين ذموكرتس. أما دفاع ابرتغورس، فهو في أغلب الظن من بنیان أفلاطون، وقد استمدّ عناصره من تعاليم السفسستي الشهير بالذات. والأبحاث الحديثة قد أبرزت في وضوح أوفر أمانة أفلاطون في تعبيره عن تلك النسبية المتجهة قبل كل شيء اتجاهاً عملياً.

(١) راجع في نفيه "صفة الحصان" سمبلتشيُس في تعليقه على مقولات أرسطو، ص ٢٠٨، ٢٩ - ٢٣، طبعة كليفلایش Kalbfleisch، وفي نفي الصفات الأخرى، صفحة ١٥٣.

(٢) قد سبق لبونتس ودوملر أن أبديا رأياً مماثلاً، وانضم إليهما ناتورب في مصنفه نظرية المثل لدى أفلاطون ص ١٠٤، P. Natorp, Platos Ideenlehre - راجع أيضاً ذيجيتس اللائرتي، الباب ٤، ١٦.

(٣) ادعى غومبرتس أن تأويل أفلاطون لمذهب ابرتغورس قد "ضلل التاريخ في الواقع" دون أن يعتمد أفلاطون ذلك. وفي نظر ابرتغورس ليس الإنسان الفردي هو المعيار، بل الإنسان على الإطلاق. فذاتية ابرتغورس هي مجرد وهم. راجع له في ذلك "مفكرو الإغريق" ١، ص ٤٧٧ - ٤٨٨. أما ناتورب ففي مجلة وثائق تاريخ الفلسفة م ٣ ص ٣٤٧ ومايلي - في مقاله، وفي مجلة فلولوجس م ٥٠ ص ٢٦٢ ومايلي، وفي كتابه نظرية المثل لدى أفلاطون، ص ١٠١ ومايلي، قد أقر ريبية ابرتغورس وصحة تأويل أفلاطون لمذهبه. واعتبر ابروشار في دراساته عن الفلسفة القديمة والحديثة ص ٢٤ - ٢٩، تعليم ابرتغورس كنسبية موضوعية أو واقعية. أما البحث الأكمل المتناول ابرتغورس بالدرس، فهو بحث هنريخ كومبرتس، في كتابه السفسستية والخطابة. Heinrich Gomperz, Sophistik und Rhetorik, Berlin 1912, p. 126- 278 هذا وإن موقف الذرائعية الحديثة من هذا النزاع لهو جدير بالاهتمام. وقد يعثر المرء لدى شيلر، في كتابه دراسات عن النظرة الإنسانية، ترجمة جانكليفيتش ١٩٠٩، الدرس الثاني: من أفلاطون إلى ابرتغورس ص ٢٨ - ٩٠، على ما له من نظرية بهذا الشأن، دافع عنها في-

البحث الثاني: التحديد الثاني

إن التحديد الثاني والأمثلة أو الصور المستخدمة لإيضاحه، ينسبها ناتورب جملة في شيء من اللامبالاة، إلى الفيلسوف أنتستينس، وكأنه لا بديل له^١. ولكن لا يدل شيء على أن أنتستينس كان حتماً صاحب وصف الذاكرة، ذاك الوصف "النفساني العضوي". وهو فصل من تاريخ علم النفس لابد من البحث عنه وتأليفه.

هذا، وقد يوفق المرء توفيقاً أعظم بكثير إلى العثور على مواده، في أبحاث المجموعة الهبكراتية، ولدى الفلاسفة المتقدمين على عهد سقراط، لأن تلك الأبحاث تستوحي أفكارهم. فتشبيه الإحساس بانطباع الخاتم في الشمع نلقاه هو عينه لدى ذموكرتس، وإن كان الهواء الوسيط بين العين والشيء، في نظره، هو قابل الانطباع وناقله^٢. وقطعة أخرى من التعليم الذي يجاربه أفلاطون، وهي تفسير صفات الذاكرة بتمازج الجفاف والرطوبة على أوجه مختلفة، تلك القطعة برمتها نعثر عليها في الفصل الخامس والثلاثين من الباب الأول من كتاب نظام العيش. والتقابل غالباً حري في بين البحث

= مقالاته السابقة المنشورة في المجلة الفصلية Quarterly Rewiew، شهر كانون الثاني ١٩٠٦، وفي مجلة العقل Mind م ١٧ ص ٦٢ ومايلي. فهو يقول: إن الدفاع عن ابرتغورس يحتوي تعليم ابرتغورس الصحيح، وهو تعليم يمت في الواقع إلى الذرائعية "ولكنه ولا ريب مقتضب جداً، وربما محور بعض التحوير في نقل أفلاطون له وإعادة سبكه إياه. وسبب ذاك التحوير الواضح الأساسي هو أن أفلاطون لم يفهم قطعاً ما هو قوام ذاك التعليم"، ص ٤٨.

(١) في كتابه نظرية المثل لدى أفلاطون، ص ١١٣. وأما كامبل فيبدو عليه في تعليقه على المقطع ١٩٤، إنه لا يرى محتملاً إمكان استعارة أفلاطون لوصفه الذاكرة حاشية ٨. هو الناقد الوحيد في الأغلب الذي فكر بيبثغورس بصدد صورة قطعة الشمع الوارد ذكرها في الثيتيتس.

(٢) ثوثفرستس، في الحس، ٥٠ ومايلي. راجع لديلز العهد المتقدم على سقراط، الطبعة

الثالثة، ٢ ص ٤٠ - ٤٢، Diels, Vorsokratiker, 3i éd.

الهكراتي وحوار الثيتتس. وأساس التعليم الذي يبني عليه الطبيب المقتبس المجمع، نصائح الهادفة إلى الصحة العقلية، وهو أساس يسيطر فيه، إلى جانب تأثير أميدكليس وانكسغورس، تأثير أرخيلؤس، يستغله أفلاطون عيناً، بالإضافة إلى صورة قطعة الشمع، وتفسير هومرس تفسيراً مجازياً، ليبني علم الذاكرة العضوي النفساني. وهو علم يسلي به قراءه.

وفي مقابل ذلك، قد دافع أنتستينس عن القضية القائلة باستحالة قول الخطأ. غير أن كامبل محق في بحثه عن أصل هذه السفسطة أو هذا الادعاء المغالط في المنطق الإلثاتي. وقد كاد هذا الادعاء أن يمسي عند أدعياء الحكمة موضوعاً شائعاً.

البحث الثالث التحديد الثالث

يحتمل أن يستهدف التحديد الثالث مباشرة انتستيتس أكثر من غيره، إذا فرض علينا أن نؤول شهادة أرسطو وكأنها تنسب إلى أنتستينس التمييز بين المقطع الصوتي القابل المعرفة وعنصره غير القابل المعرفة. ولكن يبدو أن

(١) ليتره، مصنفات هيكرايس، م٦ ص ٥١٣ - ٥٢٢.

(٢) C. Fredrich, Hippokratische Untersuchungen. 1899, p. 123- 141. -Zeller. Die Philosophie der Griechen. Teil I. H. 2. 6. éd. 1920, p. 875.

(٣) ما وراء الطبيعة لأرسطو، ٢٢ d ١٠٢٤ ومايلي. راجع لغومبرتس مفكرو الإغريق ص ٤٨٧ و ٢ ص ١٩٠ و ٥٩٤.

(٤) راجع مقدمته لحوار الثيتتس، ص ٤٠.

(٥) اتفق كل النقاد تقريباً على الاعتقاد بأن نظرية "المقطع الصوتي القابل المعرفة" والعنصر غير القابل المعرفة" هي نظرية أنتستينس. لأن أرسطو ينسب إلى مدرسة انتستينس هذا التعليم القائل: لا يستطيع المرء أن يعرف الماهية، لأن التعريف هو قول طويل، ويمكنه أن يقول ما هي صفة الشيء، وليس ما هو، (ما وراء الطبيعة ١٠٤٣ b ٢٣ ومايلي). وقد سبق أرسطو في الواقع وقال: إن المقطع الصوتي ليس مجرد حاصل العناصر (١٠٤٣ Ob). وهو يضيف (١٠٤٣ b ٢٧): إن الماهية قابلة =

أفلاطون - سواء فُرض علينا أن ننتحل أنتستينس أم غيره تحديد العلم
بالرأي السديد تشفعه العلة، وهو تحديد استخدمه أفلاطون مراراً - قد شاء
في هذا المقام أن يبعد تعابيره عن جوارات مشبوهة. ففي نظره، عنت العلة
برودها في تحديد مماثل، "العلة السببية أي التذكر".^١ والدحض المعروض
ههنا لا يصيب معنى كلمة علة، ويدع المجال حراً لتفسير العلم تفسيراً
أفلاطونياً بموضوعه الخاص وهو الواقع المعقول.

= نظير المركّب للتحديد، أما المركّب فليس قابلاً له. وكامبل (ص ٣٩ ومايلي)، وقد
جراه في الرأي برنت (الفلسفة اليونانية ١، ص ٢٥٢)، لا يرجع إلى أنتستينس من هذا
المقطع إلا العبارة المتعلقة بالتحديد أو التعريف، والقائلة إنه قول طويل. وهما
يفضلان أن يبحثا في البثغورية عن مصدر نظرية "العناصر والمقطع الصوتي. غير أن
كامبل يعتقد أن شطراً جوهرياً في النظرية، وهو أن المقطع الصوتي لا يقبل المعرفة
لأنه لا يقبل التحديد، صادر عن مفكر مغاري.

(١) مينن ٩٨. وبصدد علاقة انتقاد الثيتتس هذا بالتحديد أو التعاريف الأفلاطونية
للعلم، اسمح لنفسني بإحالة القارئ على مقالتي: الفكرة الأفلاطونية بصدد العلم، في
حوليات معهد لوفان الفلسفي العالي، ١٩١٤، ص ١٤٧ - ١٥٣ L'Idée platonicienne
de la Science, in Annales de l'institut supérieur de philosophie de Louvain, Paris,
Alcan, 1914.

الفصل الخامس

نص الثئيتتس

إن نص الثئيتتس في الطبعة الحاضرة قد أثبت طبقاً لمعطيات المخطوطات الأربعة التي سبقنا واستفدنا منها لإثبات نص البرمانيذس. وهذه المخطوطات هي التالية:

- ١ - البدلثانس ٣٩ أو الكلاركيانس B المنسوخ في القرن التاسع.
- ٢ - مخطوط البندقية T (في ملحق الفئة الرابعة رقم، من مكتبة القديس مرقس)، وقد نسخ حوالي ١١٠٠ عن المخطوط الباريصي A الكامل آنذاك.

وقد استخدمت لهذين المخطوطين، مقابلة طبعة بارنت م١. وهي مقابلة مباشرة أجريت للكلاركيانس، ومرتبطة بمقابلة شانتس الممتازة لمخطوط البندقية T.

- ٣ - مخطوط فيينا ٢١٧، وهو لا يرتقي إلى أبعد من القرن الرابع عشر، ولكنه يمثل نقلاً أسبق بكثير.

- ٤ - مخطوط فيينا W٥٤، وهو في الملحق الفلسفي اليوناني رقم ٧، ومحتمل أن يعود إلى القرن الثاني عشر. والثئيتتس، كالبرمانيذس والسفستي، من جملة الأحورة المنسوخة في هذا المخطوط نسخاً أصيلاً.

هذا، وإنني أجريت مقابليتي لمخطوطي Y و W مباشرة على ما في حوزة شركة غليوم بوده من صور شمسية وقراءة المخطوط W المباشرة حدثني أحياناً إلى إكمال وحتى إصلاح المقابلات السابقة. واعتقدت أن لا اضطرار إلى إبراز هذه الإصلاحات، لاسيما إذ كنت أجهل أي حد قد سبقت دراسات أخرى وأجرتها، وخصوصاً إذ لم أوفق إلى استخدام مباشر لمطالبات هينزل الأفلاطونية، طبعة برلين ١٩٠٦، Hensel, Vindiciai Platonicae, Berlin، وليس من الضروري اليوم تبرير استخدام المخطوط W، في طبعة لحوار الثيتيتس ولكن في غضون الرجوع إلى تجهيزنا العلمي، سيرى المطالع أن بعض القراءات الممتازة، بدل أن تستند مثلاً إلى تخمين لهيوسده Heusde أو افتراضات غيره، تلقى دعماً أفضل باعتماده على شهادة Y الوحيدة. وإن المخطوط Y، مع ما يشره من أخطاء باهظة، يحافظ وحده أحياناً على أثر النقل الصحيح.

وقد استخدمت بالطبع النقل غير المباشر قدر المستطاع:

١ - التعليق المغفل على الثيتيتس، المدوّن على البردي ٩٧٨٢. وقد نشره ديلز وشوبارت، في برلين ١٩٠٥ لدى وايدمان.

٢ - استشهادات بامفلخُس وإيفسيفيُس واكلمس الاسكندري وأثيئُس وأستفيئُس ومن إليهم.

ولم أحسبني دوماً مخولاً بتصحيح قراءات مخطوطاتنا بما توفر هذه الاستشهادات من قراءة. فاستفیش يقدم لنا نصاً كثير الشوائب أحياناً. ومن جهة أخرى، عندما يسقط اثنيئُس الكلمة الأخيرة من جملة يستشهد بها (a ١٧٦)، في استشهاد كيفه ويحوره كما يشاء كي يغدو منسجماً ونصه، يمكن الاعتقاد أنه عدّ تلك الكلمة مطلع الجملة التالية، وبالضبط في هذا المقام، أول كلمة من جواب ثوذرس. ومقال حديث لكورت آسبيرنش في مجلة فلولوجس م٧٧، عدد أيلول ١٩٢١ ص ٣١١ إلى ٣٦٣، بعنوان مختارات أثنيئُس في مآدبة

السفسستين وصحّتها، قد بيّن أن الإسقاط متواتر جداً في نص أثنيّس، وأنه إجمالاً في نظر اتسبيرنش مقصود يتعمّده المقتطف صاحب المختارات.

ولقد أفدت فائدة كبرى من طبعة كامبل التي دعاها ثييتس أفلاطون في نص مراجع وحواش بالإنكليزية، أوكسفورد ١٨٨٣، طبعة ثانية. واقتبست منها بعض إبدالات قيمة. أخذت عن مخطوطات BTYW، كما ساعدتني على تفهم النص جملة. وأفدت أيضاً من ترجمة ابلت وحواشيه: حوار ثييتس لأفلاطون، طبعة المكتبة الفلسفية م٨٢، لاسبغ، دُور، ١٩١١.

ومن ناحية أخرى، قد سهل علي أكثر بكثير أن أتبع عين القاعدة في هذا الحوار من أن أتبعها في البرميدس. وهذه القاعدة هي أن قراءة النص الواردة في التجهيز العلمي دون ذكر مخطوط ما، يفصلها عن بديلها نقطتان فقط، هي قراءة كل المخطوطات المنتمية إلى فئة BTYW ما عدا المخطوط الوحيد المذكور بعد البديل. وعندما يذكر مخطوطان بعد البديل المخالف، فذاك أن المخطوطين الآخرين يمثّلان قراءة النص. وقد عُنيّت بأن أعين في النص بجلاء موضع بداية ونهاية كل استشهاد يستشهد به ايفسيفيس أو استفيّس أو غيره تجنباً لتكرار هذه الأسماء في التجهيز العلمي، عندما تكون قراءة استفيّس مثلاً مطابقة للنص المستند إلى كل المخطوطات، ما عدا المخطوط الوحيد أو المخطوطين المذكورين بعد البديل المخالف.

وهنا استأذن قرائي في التعبير عن خالص شكري لحضرة السيد بديه Bidez، وقد تلطف وراجع عني طبعة جيفورد الموسوعة الإعداد الإنجيلي، وحقق في قراءات ايفسيفيس لنصوص الثييتس ونصوص السفسستي.

حُوار ثَنائِیْتُسْ

أشخاص الحوار

- في التمهيـد

إفكليـذس

تربـسـين

- في الحوار

سقراط

ثئودرس

ثئيتس

الثَّيْتَتُسْ

أو في العلم، نوع تنقيبي

أ - التوطئة

١ - ظروف الحوار وملابساته

- a142 إفكليدس: طويلة؟
أمن عهد قريب عدت من الحقول، يا تَرَبْسِينُ أم من فترة تَرَبْسِينُ: منذ فترة لا بأس بها وقد رحتُ أبحث عنك في الساحة العامة، وأدهش من نفسي إذ تعذّر وجودك عليّ.
إفكليدس: لا عجب في ذلك، لأنني لم أكن في المدينة.
تَرَبْسِينُ: فأين كنت إذن؟
إفكليدس: في نزولي إلى المرفأ، لقيتُ ثييتس في طريق عودته إلى أثينا، وقد حملوه من معسكر كُورنُثُس.
تربسين: حياً أم ميتاً؟
b إفكليدس: حياً، ولكن بجهد جاهد. لأن حاله سيئة بسبب بعض الجراح، وأكثر من ذلك، بسبب داء يقضي عليه، قد تفشّى في الجيش.
تَرَبْسِينُ: ألعله الزحار؟
إفكليدس: أجل
تَرَبْسِينُ: ما أروع هذا الرجل الذي تتكلم عنه، وقد ألمّ به الخطر!
إفكليدس: إنه لذو فضل، يا تَرَبْسِينُ. وقد سمعت في هذه اللحظة بالضبط، بعض الرجال يُطرون غاية الإطراء بلاءه في المعركة.

تَرْبِسَيْن:

ما من غرابة في الأمر. وما قد يحمل أكثر بكثير على الدهشة، هو أن لا يكون قد تصرّف هذا التصرّف. ولكن كيف يا ترى لم يتوقف ههنا في ميّغرا ليستريح؟

إفكليدس:

لقد كان دائماً في المسير إلى ذويه وبيته. وقد سألته أنا نفسي أن يتوقف، وأشارت عليه بذلك، فلم يشأ. وفيما كنت أواكبه، ثم في قفولي راجعاً، ساورتني الذكرى وعجبت من عرافة سقراط وتنبّئه عن أمور أخرى، ولا سيما قوله النبوي في هذا الرجل. إذ يبدو لي أن سقراط، قبيل وفاته بقليل، قد لاقى مرة ثيْتِس وهو لا يزال مراهقاً، فلازمه وتحدّث إليه واستطاب سجيّته جداً. وروى لي ذات يوم، وقد جئت إلى أثينا، ما دار بينهما من أحاديث، جديدة إلى منتهى الحدّ بالسماع، وقال لي: الضرورة تقضي بصورة حتمية أن يغدو هذا الفتى شهيراً، إذا ما بلغ أشدّه.

تَرْبِسَيْن:

وقد صدق، على ما يظهر، في أقواله. ولكن ما كانت يا ترى تلك الأحاديث؟ أيّ وسعك أن تسردها لي؟

إفكليدس:

كلا، بحق زَفُس، على الأقل عن ظهر قلبي. غير أنني سارعت، حال وصولي إلى البيت، ودوّنت ذكرياتي. ورحت فيما بعد أسترجع ذكرى (تلك الأحاديث) وأسجلها في فترات تفرّغي. وكل مرة كنت أعرجّ على أثينا، ما برحت أسأل سقراط عما فاتني ذكره منها. وعند بلوغي مقرّي هذا، كنت أنقطع إلى تنقيحها بحيث دوّنت الكلام كله تقريباً.

تَرْبِسَيْن:

هذا صحيح. وقد سمعتك تردّد ذلك من قبل. إلا أنني كلّما أزمعت أن ألتمس منك إطلاعي عليها، أرجأت ذلك إلى هذه اللحظة. ولكن ما المانع أن نتصفّحها الآن؟ فبي حاجة ملحة إلى الراحة، لأنني عائد من الحقول.

b

إِفْكَلِيدِس: وأنا أيضاً قد واكبت ثَيْتَيْتُس إلى مشارف إِرَنُوس. ولذا لن أفوت علي لذة الاستجمام. فلنعد إذن أدراجنا، وفيما نستريح، يقرأ لنا الغلام.
تَرْبِسِين: أصبت في كلامك.

٢- أسلوب تدوين الحوار

إِفْكَلِيدِس: دونك الكتيب ذاك، يا تَرْبِسِين. وقد دَوَّنتُ الحوار على النحو التالي، لا كأن سقراط يرويهِ لي، كما رواه، بل كأنه يخاطب من قال إنه خاطبهم. وقد قال لي: إنه تحاور والمهندس ثُوؤذُرُس والفتى ثَيْتَيْتُس. ففي تسجيلنا إذن، كي لا تكون عبارات السرد، المتخللة الأحاديث مصدر عقبات وتشويش فقد اقتلعناها من أصلها. وتلك العبارات هي التي قد يعتمد إليها سقراط نفسه عندما يقول مثلاً: "وأنا صرّحت" أو "وأنا زعمت". أو قد تُقال عن المجيب بأنه "وافق" أو "لم يعترف بالأمر". لذلك، دَوَّنتُ الكلام كأن سقراط يحاور مخاطبيه مباشرة.

تَرْبِسِين: ولم تقترف في ذلك منكرًا، يا إِفْكَلِيدِس...

إِفْكَلِيدِس: ألا يا غلام، خذ الكتيب واقراء؟

ب- مطلع الحوار بين سقراط وِثُوؤذُرُس وِثَيْتَيْتُس

١- صورة ثَيْتَيْتُس خَلَقًا وَخُلُقًا:

d سقراط: لو كنت أهتم اهتماماً أوفر، يا ثُوؤذُرُس، بأهل كيريتي أي (القيروان) لجعلتُ أسألك عنهم وعن أحوالهم، إن كان بعض الشبان هناك يصرفون عنايتهم إلى الهندسة أو فرع آخر من فروع الفلسفة. ولكن بما أنني أحب أولئك

حباً يَقلُّ عن محبتي لشبابنا، فانا أرغب رغبة أعظم في أن أعرف أياً منهم، تبدو عليه مخايل الشهرة. فانا شخصياً أبحث عن ذلك، وأسأل من الآخرين من أرى الشبان يميلون إلى صحبتهم. فأنت يخالطك وبحق، رهط منهم ليس بزهد. لأنك جدير بذلك لاعتبارات كثيرة ولا سيما الهندسة. فإن عثرتَ إذن على أحد يستحق الذكر، فقد استفهم عنه بسرور.

ثُوذُرس:

بكل تأكيد يا سقراط، أنا خليق جداً بأن أقول وأنت بأن تسمع، على أي مراهق من مواطنينا قد عثرتُ. ولو كان وسيماً، لخشيتُ كثيراً أن أتحدث عنه، لئلا يتخيل أحد، أنني واقع في هواه. ولكنه -لا تحنق عليّ- غير وسيم لا بل إنه يماثلك بفطس أنفه وعينييه الجاحظتين، وإن فقتَه أنت بهذين العيبين. فانا إذن دون خوف.

a 144

هذا واعلم جيداً أنني لم ألاحظ قط أحداً أثار إعجابي إلى هذا الحد بطيب سجيته، بين لفييف من عثرتُ عليهم من تلاميذ، وقد خالطتُ منهم جمهوراً كبيراً جداً. فسهولة الحفظ التي يعسرُ أن تحقق لآخر، وتفوقه بالوداعة، وعلاوة على ذلك، شجاعته التي لا يدانيها أحد، كل هذه المناقب ما كنت لأحسب أنها ممكنة أو أراها حاصلة في الواقع. لأن سريعي الخاطر نظراء، وذوي النباهة والذاكرة الطيبة، هم في الغالب شديداً الميل إلى نزوات الغضب، يثبون وثوباً ويجيشون كسفن لا وسق لها، وقد فُطروا على التهور الجنوني أكثر منهم على البسالة. ومن هم أوفر تودة، يعكفون على المعارف في شيء من التباطؤ وكثير من النسيان. أما

هذا الفتى، فيقبل على الدراسات والأبحاث بسهولة ورسوخ وجدوى، وفي دعة عظيمة، كالزيت يسيل سيلاً صامتاً. ويتحلى بهذه الصفات إلى درجة مذهلة، فيعجب المرء من أن غلاماً في هذا العمر ينجح في المعرفة كل هذا النجاح.

سقراط:

بشرى طيبة. وإنما ابن أي من المواطنين هو؟

ثُودُرس:

سمعت باسم أبيه ولكني لا أذكره. إلا أنه في وسط أولئك القادمين. فمنذ فترة، راح هو وزملاؤه هؤلاء يدلكون أجسامهم في الحلبة الخارجية. والآن بعد ذلك يبدو أنهم آتون إلى هنا. ولكن ترقب هل أنت تعرفه.

سقراط:

أعرفه. إنه ابن إيفُروُنيس السوني. وهو، يا عزيزي، رجل يشبه أتمّ الشبه هذا الغلام الذي تحدثني عنه. أضف أنه وجيه، وقد خلّف ثروة طائلة. إلا أنني لا أعرف اسم الغلام.

d ثُودُرس:

اسمه، يا سقراط، تئيتس. ويتهياً لي أن بعض الأوصياء قد بددوا ثروته. غير أنه، يا سقراط، في الأمور المالية ذو سماحة مدهشة.

سقراط:

إنك تتحدث عن فتى كريم المَحْتَد. فادعه ليجلس هنا بالقرب منا.

ثُودُرس:

أمراً وطاعة. يا تئيتس، هيا اقترب من سقراط.

(١) في إنشاء هذا الوصف، راجع في المقدمة ف٢ م٢. وِثْمِسْتِيسُ يقتدي فيه بأفلاطون، راجع Petau-Harduin 16 d-17. وإن تنظيم عقود الزواج في الشرائع a-٧٨٣ من شأنه أن يوفّر هذا التمازج الطيب بين السجايا والطباع.

٢ - التطرق إلى موضوع الحوار

سقراط: فعلاً، يا ثييتس، هذا ما أبغي بالضبط، كي أتفحص ذاتي وأتبيّن أي مُحياّ أحرزتُ. إذ يدّعي ثُودُرس أنني أملك وجهاً يماثل وجهك. ولكن إن امتلك كل منا قيثارة، وزعم صاحبنا أنها هي أيضاً موقعة الواحدة هل الأخرى منسجمة فيما بينها، أنصدّقه يا ترى فوراً، أم نتفحص هل يتكلم كموسيقي ومطرب؟

ثييتس: طبعاً نتفحص الأمر.

سقراط: فإن وجدنا إذن أنه عازف مطرب، وثقنا به. وإن وجدنا أنه ليس موسيقياً، لم نصدقه.

ثييتس: صحّ قولك.

١٤٥ a سقراط: وفي اعتقادي، لو كان يهمنّا الآن موضوع تشابه وجهينا، لفرض علينا أن نتقصّى هل يتكلم عنه كرسام أو لا.

ثييتس: هذا ما يبدو لي.

سقراط: فهل تُثوّدُرس إذن رسام كائنات حية؟

ثييتس: كلا. اللهم بمقدار ما أعرف عنه.

سقراط: أليس مهندساً أيضاً؟

ثييتس: بلى يا سقراط، وبكل تأكيد

سقراط: وهل هو فلكي وعالم رياضيات وموسيقي وضليع بكل ما يرتبط بالتربية؟

ثييتس: هذا ما أرى شخصياً.

سقراط:

فإن قال عنا إذن إننا متشابهان بقسم من جسمنا في معرض المدح أو القذح فلا يستحق تماماً أن نعيّره انتباهنا؟

b ثييتس:

ربما لا يستحق.

سقراط:

ولكن ما رأيك إن امتدح روح أحدنا نحن الاثنين، وأطرى فضيلتها أو حكمتها؟ ألا يجدر بالسامع أن يهب ليتفحص الممدوح، وبهذا الأخير أن يبدي ذاته وكامن أمره بنشاط؟
ثييتس: فعلاً بكل نشاط واهتمام يا سقراط.

سقراط:

فقد آن الأوان إذن، يا عزيزي ثييتس، لي ولك: لي أن أتقصّى حقيقتك، ولك أن تكشف عنها. واعرف جيداً أن ثُودُرس قد امتدح أمامي غرباء ومواطنيين كثيرين بيد أنه لم يمتدح أحد قط، كما امتدحك منذ لحظة.

c ثييتس:

أتمنى أن يؤول ذلك إلى خير، يا سقراط. ولكن احذر أن يكون قد قال ما قاله على سبيل الدعاية والمزاح.

سقراط:

ليس ذاك النهج منهج ثُودُرس. ألا يا صاح، لا ترفض ما اتفقنا عليه، متعللاً بأن صاحبنا يمزح، كي لا يُضطر إلى الشهادة. إذ لا أحد على الإطلاق يمكنه أن يتحامل عليه. بل تشجع واثبت على الاتفاق.

ثييتس:

لا بد لي من الامتثال، إن طاب لك الأمر.

سقراط:

فقل لي إذن، أنت تعلم لدى ثُودُرس بعض المبادئ الهندسية؟

(١) على النحو عينه، في حوار خرميذس d107 - a109، يلي وصف جمال خرميذس النابض حيوية، امتداح حكمته. وبغية التثبت من موضوعية هذا المديح، يباشر الفيلسوف تحديداً للحكمة والفتنة.

ثييتس: أجل.

d سقراط: وبعض المعارف الفلكية والموسيقية والحسابية؟

ثييتس: إني أبذل كل جهد لتحصيلها.

سقراط: وأنا أيضاً يا بني، أنشط إلى تحصيلها لديه ولدى غيره،

ممن أحسبهم مضطلعين على شيء منها. ومع أني أتقن

منها أموراً لا بأس بها، فأنا أحرار بشأن مشكلة صغيرة،

لا بد لي من البحث عنها معك ومع هؤلاء. فقل لي: أليس

التعليم هو أن يضحى المرء أحكم في ما يتعلّمه؟

ثييتس: وكيف لا؟

سقراط: وأعتقد جازماً أن الحكماء حكماء بالحكمة.

ثييتس: أجل.

e سقراط: وهل هذا يختلف في شيء عن العلم؟

ثييتس: وأي شيء هذا؟

سقراط: الحكمة. ألا يكون الناس حكماء بما يَعْلَمُونَهُ بالضبط؟

ثييتس: وما تقصد من ذلك؟

سقراط: العلم والحكمة إذن أمر واحد؟

ثييتس: أجل.

(١) يستخدم أفلاطون لفظة هَرْمَنِيَا أي انسجام الأنغام والألحان، ليعني بها النظرية الموسيقية، وقد كانت عندهم قسماً أساسياً من علم الرياضيات.

الفصل الأول

كيف نحدّد العلم

سقراط:

وهذا موضوع تساؤلي بالضبط وما أثار في أمره، ولا أستطيع أن أدركه بذاتي إدراكاً وافياً: ما عسى العلم أن يكون يا ترى. فهل نتمكن حقاً أن نقول ما هو؟ فيم تجيبون؟ وأيكم هو أول من ينبغي ليتكلم؟ فمن يخطئ ولا ينفك يخطئ يجلس حماراً، على حد قول الصبية اللاعبين بالكرة. وأما الذي يجول جولته بلا خطأ، فله أن يملك علينا وأن يفرض أيضاً أن نجيبه على ما يشاء.

لماذا تصمتون؟ فهل أبديت شيئاً من الخشونة الريفية، يا ثُودُرس بسبب ولعي بالمباحثة وفراط هذري، ولجاجتي في حمل جماعتنا على التنادم والتصادق والتجاوب^(١)؟

(١) للتعبير عن "التجاوب" العاطفي، يستخدم سقراط في هذا المقام لفظة متجاوب أو متوافق ποσηγορος. ذاك أنه يخاطب رياضياً، وإن هذه اللفظة تعني أيضاً في

ثييتس:

وكيف لا؟

b ثئوذرس:

عملك هذا، يا سقراط، هو أبعد ما يكون عن سماجة الريف. ولكن مَرُّ أحد هؤلاء الغلمان أن يجيبك. فأنا من جهتي لم آلف مثل هذا التنادم. ولست في عمر موافق لأعود وآلفه وأستأنسه. وهو يليق بهؤلاء، وقد يفيدون منه أكثر بكثير لأن الشبيبة تطمح في الحقيقة إلى التقدم في كل مجال. فكما باشرت، لا تحد عن ثييتس، بل اسأله.

سقراط:

تسمع ولا ريب، يا ثييتس ما يقول ثئوذرس. وفيما أعتقد لا تود أنت أن تخالفه. ولا يجوز لشاب أن يعصي رجلاً حكيماً يكلفه بمثل هذه المساجلات. فتشجع وأجبني جواباً حسناً: أي شيء قد يكون العلم في نظرك؟

ثييتس:

علي، يا سقراط، أن أذعن للأوامر، بما أنكم تصدرونها. وأنتم على كل حال، إن أخطأت في شيء، فسوف تصوبونه.

سقراط:

بكل تأكيد، اللهم إن تمكنا من ذلك.

ثييتس:

يتهيأ لي إذن أن الأمور التي يستطيع المرء أن يتلقنها من ثئوذرس هي علوم، كالهندسة وغيرها من المعارف مما أتيت على ذكره منذ لحظة. ثم فن صنع الأحذية وحرف العمال والصنائع الآخرين. فهذه جميعها جملة وفرادى ليست سوى علم.

d

في الرياضيات معنى الاتفاق في الشكل أو حاصل القسمة. رَ الجمهورية
٥٤٦b.

سقراط: إنك، يا عزيزي، قد طولبت بأمر واحد. وأنت تبذل في نبل وسماحة أموراً وافرة، وبدل الشيء البسيط أشياء موشاة.

ثييتس: وما تعني بقولك هذا يا سقراط؟
سقراط: ربما لا شيء. بيد أنني أبين لك ما يخطر ببالي. عندما تقول حرفة النعال، هل تعني شيئاً آخر سوى علم صناعة الأحذية؟
ثييتس: لا شيء آخر.

e سقراط: وعندما تقول مهنة النجارة، هل تعني شيئاً آخر سوى علم صناعة الأدوات الخشبية؟
ثييتس: وهنا أيضاً لا أعني شيئاً آخر.

سقراط: ففي الحالين إذن، ألا تحدد لكل من الحرفتين علم أي شيء هي؟
ثييتس: بلى.

سقراط: غير أن ما سئلت عنه يا ثييتس، لم يكُ هذا الأمر: ما هي موضوعات العلم، ولا كم هي العلوم^(١). لأننا بسؤالنا لم نبغ تعداد العلوم، وإنما رمنا أن نعرف عن العلم ما هو بذاته، أم أن قولي لا يعني شيئاً؟
a١٤٧ ثييتس: لا بل إنه صائب كل الإصابة.

(١) قابل هذه المحاولات التمهيدية بما يبتدئ به النقاش حول طبيعة الفضيلة في حوار مينن d٧١ - b٧٧: فمينن راح يفصل "تولاً من الفضائل" a٧٢، وثييتس جعل يعدد العلوم. فطلب إليهما سقراط، ليفهمهما ما هو التحديد، أن يحاولا ذلك على مثل من الأمثال. إلا أن الشكل واللون يحددهما سقراط في حوار مينن. وأما في حوارنا، فثييتس هو الذي يقدم القدرات كمثال ويحددها.

سقراط:

فابحث إذن عن هذا الأمر أيضاً. إن سأل أحدنا عن أمر ما من الأمور المبتذلة العادية، عن ماهية الطين مثلاً أي شيء هو، وأجبناه أن الطين طين الفخارين وطين طيّاني الأفران وطين صانعي الآجر، ألا نتعرّض في هذه الحال للضحك والسخرية؟

ثييتس:

ربما .

سقراط:

أولاً لأننا نتخيّل أن السائل يفهم شيئاً من جوابنا، عندما نقول طيناً، ونضيف إما طين صانعي الدمى وإما طين أي صنّاع آخرين. أم تعتقد أن أحداً يفهم شيئاً ذا اسم ما، إن لم يعرف ما هو؟

b

ثييتس:

كلا ولا في حال من الأحوال.

سقراط:

فلا يفهم إذن "علم الأحذية" من لا يعرف العلم.

ثييتس:

كلا إنه لا يفهم.

سقراط:

ومن يجهل العلم لا يفهم أيضاً صناعة الجلود، ولا أية مهنة أو حرفة أخرى.

ثييتس:

الأمر كما تقول.

c سقراط:

فمضحك إذن جواب من يُسأل عما هو العلم، عندما يجيب باسم إحدى المهن. إذ يجيب أن العلم علم حرفة ما، فيما لا يُسأل عن هذا.

ثييتس:

هذا ما يبدو.

سقراط:

وثانياً في حال أنه يتاح للمرء أن يجيب جواباً بسيطاً مقتضياً، يلفّ ويدور دوراناً لا نهاية له. ففي سؤالنا عن الطين مثلاً، تقضي البساطة والسهولة بأن نقول: إن الطين قد يكون تراباً ذائباً في الماء، وندع جانباً مسألة

طين أي شيء هو.

ثئيتس:

يظهر الآن سؤالك، يا سقراط، سهلاً، بعد هذا الإيضاح.

لا بل تكاد تسأل سؤالاً يماثل ما جال بخاطرنا ونحن

نتحاور منذ برهة، أنا وسميك هذا سقراط.

سقراط: وأي سؤال يا ثئيتس؟

المطلب الأول:

مثال الأعداد الصماء

ثئيتس:

لقد رسم لنا ثئودرس هذا بعض الأشكال المتعلقة بالقدرات،

وبيّن أن قدرة ثلاثة أقدام وقدرة خمسة أقدام ليست من

جهة الطول منتظمة متناسبة مع قدرة القدم الواحد. وقد

حلّها واحدة فواحدة إلى القدرة السابعة عشرة. غير أنه

توقف عند هذه الأخيرة لسبب ما. فداخلتنا الفكرة التالية،

وهي أن نحاول، بما أن القدرات قد بدت بلا حصرٍ كثرةً، أن

نضمّها إلى وحدة بها ندعوها جميعها.

سقراط:

وهل وجدتما شيئاً من هذا القبيل؟

ثئيتس:

يتهيأ لي ذلك ولكن تقصّ الأمر بنفسك.

سقراط:

تكلم.

ثئيتس:

لقد شطرنا العدد برمته إلى شطرين: والشطّر القادر أن

يساوي ذاته عدداً مساوياً من المرات، شبهناه من حيث

الهيئة بالمربع ودعونا مربعاً ومتساوي الأضلع.

سقراط:

أحسنّت.

ثئيتس:

والشطّر المتخلّل الشطر السابق، وإليه تنتمي الثلاثة

والخمسة وإليه يرجع كل عدد، لا يقدر أن يساوي ذاته

عدداً متساوياً من المرات، بل يغدو ضرب أكبر بأقل أو

ضرب أصغر بأكبر، عدنا وشبهناه، من حيث الشكل

بالمستطيل، ودعونه عددًا مستطيلًا، لأنه يُلفي نفسه
أبدًا أكبر وأصغر من حيث الأضلع، أي متفاوتها.
جميل جدًا. ولكن ماذا وجدتما بعد ذلك.

سقراط:

ومن الخطوط كل ما يربّع أضلعًا متساوية وعددًا
مسطحًا، عرفناه بأنه طول. وما يربع منها أضلعًا
متفاوتة الطول دعونه قدرة لأن هذه الخطوط لا
تساوي فيما بينها بالطول، بل تستطيع ذلك من جهة
الأعداد المسطحة. وقد وجدنا بصدد المجسمات شيئًا
آخر مماثلًا^(١).

ثييتس:

(١) ثييتس لا يبرح شابًا. واكتشافه ما كان ليعرض في هذه المحادثة بما
تفرضه دراسة رياضية من دقة مطلقة. ومع أن اللغة المستخدمة في هذا
المقام هي متفقة بالإجمال ولغة ايفكليدس، فالتعميم الذي تعبر عنه هو على
شيء من الاتساع. ففي نظر ثييتس العدد المربع الكامل هو متساوي
الأضلع: $2 \times 2 = 4$. وقدرته أي جذره لتناسبها المباشر مع الوحدة، تسمى
طولا بالمعنى الصحيح. وحاصل ضرب أي عاملين هو مختلف الطول $6 = 3 \times 2$.
وقدرته أي جذره لا تتناسب مباشرة لا مع قدرة أو جذر المربعات
الكاملة ولا مع المربعات ذاتها. ولكنها تتناسب وإياها بالقدرة فقط، لأن
المساحة التي يستطيعها جذر $\sqrt{6}$ ، أي المساحة الناجمة عن تربيع $\sqrt{6}$ ،
تتناسب عددا عدداً مع كل مربع كامل وكل جذر مربع كامل. وهذه القدرات
الأخيرة أو الجذور لأنها تتناسب بالقدرة تسمى قدرات بالمعنى الحصري.
وهكذا استطاع ثييتس أن يضبط في فئة واحدة ويضم في كلمة واحدة
القدرات التي هي طول والقدرات التي ليست سوى قدرات. ولغة الرياضيات
القديمة عندنا تتيح ترجمة حرفية، حيث نحن لم نجار المعنى إلى مجرد
مجاراة: كل الخطوط التي تربع فينشأ عنها عدد مختلف الطول، قد دعونها
قدرات، لأنها، وإن لم تتناسب والأول في الطول، فهي مع ذلك تتناسب
وإياها بالمساحات التي تقدرها". وإيفكليدس في الباب العاشر من كتابه
العناصر، يتكلم هو أيضاً دائماً عن الخط "القادر" مسطحاً معيناً. فيقول
" $\delta\upsilon\nu\alpha\tau\alpha\iota\ \tau\omicron\ \chi\omicron\rho\omicron\nu\ \iota\omicron\nu\ \eta\ \tau\alpha\iota\chi\omicron\rho\iota\omicron\nu\ \delta\upsilon\nu\alpha\mu\epsilon\nu\eta$ "
ذلك بما يلي: "يقال عن خط مستقيم إنه يقدر شكلاً من الأشكال عندما يعادل

سقراط:

أيها الغلمان، عملكم خير ما يصدر عن بشر. بحيث يبدو لي أن تُؤذَرُسُ لن يتعرضَ لتهمة شهادة الزور.

ثييتس:

الحق يقال، يا سقراط، إن ما تسأل عنه بصدد العلم، لن أستطيع الإجابة عليه، كما أجب بصدد الطول والقدرة. مع أنه يتهياً لي أنك تبحث عن شيء مماثل. بحيث يبدو من جديد أن تُؤذَرُسُ قد أخطأ في تقديره بشأني.

c سقراط:

ما بالك؟ إن راح يمدحك في مجال الركض، وزعم أنه لم يعثر قط على امرئ عداء نظيرك، ثم طفقت تعدو وغلبك في العدو أسرع عداء في شرح الشباب والقوة، فهل تحسب أن صديقنا هذا هو أقل صدقاً في ثأئه؟ كلا لست أحسب ذلك.

ثييتس:

وهل تعتقد أن العلم، على ما جعلتُ أفضله منذ لحظة، هو أمر طفيف يهون العثور عليه، وليس من الأمور الدقيقة السامية من كل وجه؟

سقراط:

بحق زفس، أنا أعتقد أنه من أسمى الأمور وأكثرها دقة. تشجع إذن واحزم أمرك، وأعتقد أن تُؤذَرُسُ يقول أمراً خطيراً. واجتهد بكل السبل أن تعلل الأمور الأخرى والعلم أيضاً، لتعرف ما عساه يكون.

ثييتس:

d سقراط:

إن أمر اجتهادي سينجلي لك يا سقراط.

ثييتس:

المربع المرسوم على ذاك الخط الشكل المشار إليه. فهكذا... خطان من الخطوط يكونان متناسبين في القدرة، عندما يقدر المربعان الناجمان عن ذينك الخطين، لا الخطان بالذات، أن يقاسا بعين المساحة "راجع في ذلك Henrion, Les quinze livres des Eléments Géométriques d'Euclide, Paris, 1532, p. 403-4. ويعارض هنريون الخطوط التي لا تتقابل إلا من حيث القدرة، بالخطوط المتقابلة بالطول. وكانوا يقولون منذ القرن السابع عشر إنها متناسبة طولاً.

سقراط:

فهيا إذن بما أنك منذ لحظة أحسنت في افتتاح الطريق،
وحاول أن تحاكي جوابك على مسألة القدرات، وكما
أحطت بها كلّها على كثرتها في نوع واحد، اسعَ على النحو
عينه أن تسمّي العلوم الكثيرة باسم واحد .

ثييتس:

ألا اعرفُ جيداً، يا سقراط، أنني باشرت مراراً البحث
عن هذا الموضوع، وقد سمعت ما تثيره بشأنه من مسائل
بيد أنني لا أستطيع أن أقنع نفسي بكفاية ما أقول فيه،
ولا أتمكن من سماع آخر يتحدث عن الموضوع بالتفصيل
والإمام اللذين تحض عليهما . أضف إلى ذلك أنني لا
أقدر على الخلاص من هذا الاهتمام.

المطلب الثاني

التوليد أو فن القبالة

سقراط:

ذاك أنك تعاني ألم المخاض، أيها العزيز ثييتس، لأنك
لست خاوياً بل حاملاً.

ثييتس:

لست أدري، يا سقراط، وإنما أعبر عن مشاعري.

a149 سقراط:

ثمّ يا خليلي المثير السخرية، ألم تسمع أنني ابن فينريتس،
تلك القابلة المهيبة والنبيلة جداً؟

ثييتس:

بلى، لقد سمعت بذلك.

سقراط:

ويا ترى، ألم تسمع أيضاً أنني أزاول عين المهنة؟

ثييتس:

ما سمعت قط هذا الأمر.

سقراط:

اعرفه إذن جيداً. ولكن لا تفشِ سري لدى الآخرين. إذ
يفوتهم أنني أملك هذا الفن. وهم لجهلهم هذا الأمر، لا

يرددونه عني، بل يتناقلون أنين مزعج جداً، وأني لا أنفك أوقع الناس في الحيرة. ألم يطرق مسامعك هذا الاتهام؟

ثييتس: بلى إني سمعت به.

سقراط: أأفسر لك إذن سببه؟

ثييتس: أنا مصغٍ بكل ارتياح.

سقراط: فكّر بكل ما يتعلق بالقابلات وبأوضاعهن، فيسهل عليك إدراك ما أبغي سهولة أوفى. وأنت تعلم ولا ريب أن القابلة لا تولّد غيرها، إلا بعد انقطاعها عن الحبل والولادة، وعجزها عنهما.

ثييتس: الأمر على ما تقول تماماً.

c سقراط: ويزعمون أن سببه أرتيميس، فهي على كونها لم تنجب، فقد قُسم لها أن تسهر على التوليد. وقد حرمت العواقر من مهمة التوليد، لأن الطبيعة البشرية أضعف من أن تمتن مهنة أمور لا خبرة لها فيها. وقد كلّفت به من يمنعهن عمر متقدّم عن الإنجاب، لتكرم فيهن مثالها.

ثييتس: هذا معقول.

سقراط: ومعقول إذن وحتميّ أيضاً أن تعرف القابلات أكثر من غيرهن، من حملن ومن لسن بحوامل.

ثييتس: بكل تأكيد.

d سقراط: وتستطيع القابلات وأيم الحق، بتقديم العقاقير وإنشاد التعاويذ، أن يهيّجن أوجاع الطلق، وأن يجعلنها أليّن وأنعم إن شئْن، وأن يهوّن الولادة على من تعسر عليهن، وأن يجهضن من لم يبرح جنينهن غضاً، إن رأين ذلك موافقاً.

ثييتس: في وسعهن ذلك كله.

سقراط:

وهل لاحظت اختصاصهن الخطير هذا يا ترى، وهو أنهنّ
وسيطات في غاية الدهاء، لنباهتهن الخارقة في معرفة
أي امرأة إذا اقترنت بأي رجل، تتجب خير البنين^(١)؟

ثييتس:

لا أعرف هذا الأمر تماماً.

e سقراط:

بل اعرف أنهن يفاخرن بهذا الأمر الأخير أكثر من
مفاخرتهن بقطع حبل السرّة وفي الواقع فكّر في الموضوع.
هل يعود إلى فن واحد تعهّد الأرض وجمع ثمارها، ثم
معرفة نوعية الأغراس الملائمة لها والبذار التي يجب أن
تلقى فيها، أم يعود ذلك إلى فنون مختلفة؟

ثييتس:

كلا، يعود ذلك إلى عين الفن.

سقراط:

وهل يعود، يا عزيزي، تمهيد كهذا للقران وقطف جناه
إلى امرأتين مختلفتين؟

ثييتس:

كلا، ليس هذا بمعقول.

سقراط:

فعلاً، غير معقول. وإنما بسبب مخالطة الرجل للمرأة،
تلك المخالطة الجائرة الفاجرة الخالية من اللباقة
والكياسة، والمعروفة باسم "القوادين"، تتهرّب القابلات
لوقارهن، من الوساطة الزوجية، إذ يخشين التعرّض
لتلك التهمة الشائنة بسبب هذه الوساطة. مع أنه يليق
بالقابلات وحدهن في الحقيقة، أن يتواسطن عقود
القران وساطة شديدة.

a150

(١) الوسيطة هي غالباً الساعةية إلى عقد الزواج. راجع تمثيلية الضباب لأرسنوفانس،
ش ٤٢.

ثييتس:

المسألة واضحة.

سقراط:

فمهمة القابلات إذن هي من الخطورة بهذا المقدار. بيد أنها دون مهمتي خطورة وقدرًا. إذ لا يتأتى للنساء أن يلدن تارة أشباحاً وتارة أبناء حقيقيين، ولا يحدث أن يكون تمييز مثل هذا الأمر عسيراً. لأنه لو كان يحدث مثل هذا، لأضحى أعظم عمل وأبهى شغل تتشاغل به القابلات تمييز الحقيقة من الباطل. أفلا تعتقد هذا الاعتقاد؟

ثييتس:

بلى، أعتقد هذا الاعتقاد.

سقراط:

إن لفني في التوليد من خصائص ما لفن تلك القابلات جملة. ولكنه يختلف عن فنه بآني أولّد الرجال لا النساء، وأنّي أراقب أرواحهم في الولادة لا الأجساد. وأعظم امتياز في فننا هو تمكنه من أن يمحص ويدقق على كل وجه، هل يخلف فكر الشاب شبحاً وبطلانا أو حقيقة راجحة خصبية. لاسيما وأن لي من العقم ما للقابلات^(١). فأنا لا أنجب حكمة ما عيرني به كثيرون حتى الآن، من أني أسائل الآخرين ولا أبدي رأياً في موضوع ما، لأنني لا أمتلك شيئاً من الحكمة، هو تعيير

c

(١) "يقول سقراط إن القابلات إذ يمتهن مهنة توليد غيرهن من النساء" يعرض هن عن مهنة الإنجاب. وإنه هو نفسه، في حبه الرجولي العقلاني، قد أعرض عن مقدرة الإيلاد، بسبب ما أولته الآلهة من لقب وشرف التوليد. فاكتمى أن يساعد الذين يلدون وبأن يوليهم إسعافه..." مونتينييه، في محاولاته ب٢، ف١٢.

صادق. وسبب ذلك هو أن الله يضطرني إلى توليد الآخرين، ويمنعني أنا ذاتي عن الإنجاب. فأنا إذن في ذاتي لست على شيء يذكر من الحكمة. وليس لي من استنباط بهذا الصدد، قد تولد من روحي بالذات.

أما الذين يخالطوني، فالبعض منهم يتكشف في الأوائل عن جهل عميق. إلا أنهم بأجمعهم، مع تمادي المجالسة، وبقدر ما يؤتيهم الله، يتقدمون في المعرفة تقدماً عجيباً، في نظرهم وفي نظر الآخرين. وجلي أنهم لا يتعلمون مني أبداً شيئاً ما، بل هم يجدون في ذواتهم معارف جميلة وافرة تتولد فيهم. وسبب توليدها هو الله وأنا بتوليدي والبرهان على ذلك مايلي:

لقد جهل هذا الأمر إلى الآن كثيرون، ونسبوه إلى أنفسهم وازدروني. وسواء عن قناعة شخصية أم عن دافع من غيرهم، فقد غادروني قبل الأوان، وبكروا في ذلك أكثر من اللازم. وبابتعادهم عني أسقطوا ما كانوا يحملون من استعدادات وأفكار طيبة، بسبب المخالطة والعشرة الرديئة. وما ساعدتهم بتوليدي على إنجابه أساؤوا تغذيته وأهلكوه، مفضلين بكثير الكذب والبهتان على الحقيقة. وبدوا في آخر المطاف لأنفسهم وللغير جهلة أغبياء. ومنهم أرسئدس بن لسيمخس وسواه رهط كبير.

أما الذين يعاودون الكرة، ويأتون ملتمسين صحبتي، ويبدون عجباً من ضروب الاعتذار، فالملاك أو الجنى ملازمي يصدني عن معاشرته بعضهم، ويسمح لي بمخالطة البعض الآخر. وهؤلاء يفلحون ويتقدمون من

إلا أن من يلزموني يعانون عين ما تعاني النساء عند الولادة. لا بل يأخذهم المخاض ويفيضون حيرة آناء الليل وآناء النهار، أكثر بكثير من الحوامل في وقت الولادة. وألم المخاض هذا يستطيع فتى أن يهتاجه أو يسكّنه. هذا وضع هؤلاء. أما البعض، يا تثيتس، فإذا اشتبهت بهم أنهم غير معاملين، وعرفت أنهم ليسوا بحاجة إلي، أتوسّط لهم لدى غيري في كثير من اللطف. ويعون الله، أحمّن في وفرة من الفراسة بمن يجب أن يقرنوا ليجنوا من معاشرتهم فائدة. وهكذا خطبت ود ابروذكس لكثيرين منهم. وعهدت بعدد وافر آخر إلى أناس حكماء إلهيين.

وقد أطلت عليك في تفصيل هذه الأمور، أيها الفاضل جداً، بسبب الاعتبار التالي: يتهياً لي، وهذا ما تعتقده أنت نفسك، أنك تتمخّض بما تحمل في داخلك. فهيا إذن واقصدي، قصدك ابن قابلة يمارس هو نفسه التوليد. وما أسألك عنه، اجتهد بأن تتمكن من الإجابة عليه بما بيّنت لك من دقة. وإن تفحصت بعضاً من أقوالك، واعتقدت أنه مجرد وهم لا واقع له، فاقتلعت وأطرحته، فلا تستأسد ولا تتوحّش نظير النساء اللاتي يلدن ولادة أولى، ويهتجن بشأن أطفالهن. إذ قد اتخذ مني هذا الموقف إلى الآن شبان كثيرون، يا خليلي العجيب. ومن ثمة أوشك بعضهم أن ينهشني حينما كنت أقتلع إحدى غباواته. وما حسبوا أنني أتصرف هذا التصرف عن نية

حسنة، إذ هم بعيدون عن معرفة هذا الواقع. وهو أنه ليس من إله ينوي الشر للبشر. ولا أنا أيضاً أفعل شيئاً من هذا بنية سيئة. غير أن الشرع الإلهي لا يسمح لي على وجه من الوجوه بأن أتغاضى عن الكذب والخطأ وأن ألاشي الحقيقة.

فعد إذن إلى المشكلة من أساسها، وحاول أن تقول لنا، يا ثييتس، ما هو العلم. ولا تقل أبداً إنك لا تستطيع ذلك. فإن شاء الله وآتاك عزيمة الرجال، تمكنت من ذلك.

الفصل الثاني

تحديد أول للعلم

العلم هو الإحساس

القسم الأول

العرض

e ثييتس: ولكن يا سقراط، بعد تحريضك هذا، قبيح من المرء أن لا ينشط ليقول ما لديه. فيبدو لي إذن أن من يعلم شيئاً يحس بهذا الذي يعلم. وعلى ما يتهيأ لي الآن، ليس العلم سوى الإحساس.

سقراط: جيد. ونبيل نطقت يا فتى. إذ يجب على من يرتئي رأياً أن يعبر عنه على هذا النحو. ولكن هيا بنا نتفحصه معاً، لنرى هل هو نتاج خصب أم هو فارغ هراء. أتقول: إن العلم هو الإحساس؟
أجل. ثييتس:

المطلب الأول

مقاربة أولى: في نظر ابروتغورس الإنسان معيار كل شيء

a152 سقراط: تكاد تقول، وأيم الحق، في العلم قولاً ليس بالمستهان، وقد راح ابروتغورس نفسه يردده، وجاهر على نحو آخر بعين الآراء. فالإنسان في زعمه "هو معيار كل الأشياء"

الموجودة منها هو معيار وجودها، وغير الموجودة هو معيار لا وجودها. فلا بد أنك قرأت له شيئاً من هذا؟
قرأت له ومرارا.

ثييتس:

سقراط: ألا يقول إذن شيئاً بهذا المعنى، وهو أن الأشياء هي على ما تبدو لي، تارة على هذا الشكل وطوراً على ذاك، وأنها أيضاً على ما تبدو لك، وأنت أنت تبدو لي إنساناً وأنا أيضاً أبدو لك إنساناً^(١)؟

b ثييتس: فعلاً إنه ليتكلم هكذا.

سقراط: وطبيعي أن لا يهذي إنسان حكيم فلنسر إذن في إثره، ولنسأل: كل مرة تهب الريح وهي واحدة بعينها، ألا يرتجف الواحد منها والآخر ينشرح؟ أو يرتجف الواحد بلين والآخر في عنف؟

ثييتس: بكل تأكيد.

سقراط: فالنسمة في ذاتها، القول عنها إذن في تلك الحال باردة أم غير باردة؟ أم ندعن لابروتغورس ونقول إنها باردة لمن يرتجف، وغير باردة لمن لا يرتجف؟

ثييتس: هذا معقول.

سقراط: ألا يبدو الهراء هكذا لكليهما؟

ثييتس: بلى.

سقراط: "وما يبدو" هو ما يشعر به؟

c ثييتس: إنه كذلك.

(١) هذا التعبير الأول عن قضية ابروتغورس يؤكد حقيقة الصورة $\eta \phi \alpha \nu \tau \alpha \sigma \iota \alpha$ في الإحساس، وهو يردد حرفياً عبارة الكراتلس الأول a. ٣٨٦.

سقراط:

فالظهور إذن والإحساس واحد في الأمور الحارة وكل ما إليها . إذ تكاد تكون لكل واحد على ما يشعر بها .

ثييتس:

يبدو أنها هكذا .

سقراط:

فالإحساس إذن بالوجود يحصل دائماً . ومن حيث هو علم فهو لا يخطئ أبداً .

ثييتس:

هذا ما يظهر...

المطلب الثاني

مقاربة ثانية الحركية الشاملة

سقراط:

هل كان إذن ابروتغورس، بحق ربّات الرقة، رجلاً كاملاً
الحكمة . فلم يكلمنا نحن الطغام والرعاع إلا بالغاز . فيما
راح يفصل الحقيقة الباطنية لتلاميذه في الخفاء ؟

d

ثييتس:

وما تعني بهذا الحديث يا سقراط ؟

سقراط:

سأفصل لك ذلك، وهو حديث لا يستهان به، ومفاده أن
لا شيء هو موجود بذاته وفي ذاته، وأنت لا تستطيع في
حال من الأحوال أن تعبّر عن شيء تعبيراً صحيحاً ولا أن
تبدي صفاته أية كانت . فإن قلته كبيراً، بدا صغيراً، وإن
قلته ثقيلاً ظهر خفيفاً . وقس على ذلك كل شيء .
باعتبار أن لا شيء واحد ولا متصف بصفة ما . وكل
تزعّم أنه موجود، ونحن نعبر عنه تعبيراً غير صحيح،
يصير ويتولّد عن التنقل والحركة والتمازج المتبادل بين

e

الأشياء. ولا يوجد شيء أبداً، بل يصير دوماً^(١) وكل الحكماء تبعاً ما خلا برميندس، قد اتفقوا حول هذا الموضوع، من ابروتغورس إلى هراكلتس إلى امبذكليس. كما اتفق حوله أقطاب كل لون من الشعر، كابيخرمُس في الأهزولة، وهومرُس في المأساة. وهو المتكلم عن: "المحيط علة نشوء الآلهة وأهمهم تئيس"،

قد قال إن جميع الأشياء تتولد عن الجريان وعن الحركة^(٢) أم تراه لا يقول هذا؟

ثييتس: أعتقد أنه يقول هذا القول.

١٥٣ a سقراط: فمن يستطيع إذن من بعد أن يقاوم جبهة بهذه الضخامة قائدها هومرُس، وأن يثير شكوكه وارتياباته في وجهها، دون أن يتعرض للسخرية؟

(١) أن موتينيه في محاولاته ينقل لنا ترجمة بلوترخس الحرة للأقوال الخمسة المنقوشة على هيكل دلفي Plutarchos. De E apud Delphos, XVIII: "لسنا على أي اتصال بالوجود. لأن كل طبيعة بشرية هي دوماً متوسطة بين الولادة والموت، فلا تبدي من ذاتها سوى مظهر غامض وخيال، وسوى ظن متقلقل وام. وإن اتفق لك أن يعلق فكرك بابتغاء فهم وجودها، فمثله مثل من يبغي القبض على الماء، وبقدر ما يتشدد في الضغط، يزيد في إطلاق ما يريد إحرازه وقبضه".

Montaigne, Essais. II, 12

(٢) إن اتجاه أقدم فكر إغريقي نحو الهيراكليتيية الشاملة لهو قضية عرضها أفلاطون لأول مرة في الكراتلس b٤٠١ - d٤٠٢. ويحتمل أن يكون قد بناها بعد استيحاء عناصرها من بعض شروحات رمزية لديوان هومرُس. والكراتلس c٤٠٢ - b لم يتكلم لا عن امبذكليس ولا عن ابيخرمُس. ولكنه ذكر هسيذس واستشهد بأوريفيس. وموتينيه كاتب الحكم عندنا في اقتدائه باستقاء الذنيدة وصبهن في برميل لا قاع له، يعلق قائلاً: "إن هومرُس جعل المحيط أبا الآلهة ومن تئيس أمهم، ليبين لنا أن جميع الأشياء في جريان وتحول وتبدل دائم".

ثييتس:

ليس الأمر بسهل، يا سقراط.

سقراط:

في الواقع ليس بسهل، يا ثييتس. لاسيما وإن الظاهرات التالية هي دلائل كافية على قولهم إذ ما يبدو ذا وجود أو ذا صيرورة، فالحركة هي التي تبديه. وما يبدو بلا وجود أو ماثلاً نحو الهلاك، فالسكينة هي التي توفره. لأن الحرارة والنار، وهما تلدان كل الأمور الأخرى وتسوسانها، تتولدان هما بالذات من التثقل والاحتكاك. وهذان الاثنان هما حركتان وهاتان الحركتان أليستا مولدتي النار؟

ثييتس:

إنهما فعلاً مولدتاها.

b سقراط:

وأكد أن جنس الأحياء يستمدّ منهما طبيعته.

ثييتس:

وكيف لا؟

سقراط:

وما بالك؟ ألا تهلك صحة الأجسام بسبب البلادة واعتزال العمل، وتسلم في الغالب بسبب التمارين الرياضية والحركة؟

ثييتس:

بلى.

سقراط:

وصحة النفس ألا تسلم هي أيضاً بالدرس والتأمل وتزداد فضلاً وتحصل المعارف، وبالخلود إلى السكينة، وهو اعتزال الدرس والتأمل، لا تتعلم شيئاً وما تعلمه تنساه؟

c

ثييتس:

بكل تأكيد.

سقراط:

فالخير إذن في النفس والجسد هو الحركة، وعكسه هو الركود والسكينة^(١).

(١) إن حوار أكرتلس d٤٠١ - e٤٣٦ يثبت عين القضية بشتى التفاصيل عن الأوضاع العلمية: ففي اعتقادي أن كل لفظة تعبّر عن الخير والمنفعة، تشمل فكرة الحركة... الخ.

ثيتتس:

هذا ما يبدو.

سقراط:

فأردفُ إذن وأقول لك إن ركود الهواء وهدوء البحر وكل ما إلى ذلك إجمالاً من سكينة يخلق العفونة والفساد ويهلك، وأن الأمور الأخرى المناقضة تحفظ وتخلّص. وعلاوة على هذا كله، أضيف لأضطرك إلى الموافقة وأبلغ بك ذروة البرهان، أن هومرس لا يعني شيئاً بسلسلته الذهبية عدا الشمس. ويبين أن جميع الأشياء لدى الآلهة والبشر توجد وتُحفظ، مادام الفلك في حركته والشمس في دورانها، وأن الفلك إذا توقف عن المسير وكأنه مقيد بأغلال، فجميع الأمور في تلك الحال تفسد، وتنقلب برمتها رأساً على عقب، كما يقال، في تشوش كامل^(١).

ثيتتس:

يتها لي، يا سقراط، أنه يبرهن عما تعرض بالضبط من قضايا.

سقراط:

فأحسب إذن، يا صاحبي الفاضل جداً، أنه يفكر على النحو التالي.

e

أولاً ما يتعلق بالعيون، فما تدعوه اللون الأبيض ليس شيئاً ما خارج عينيك ولا هو شيء ما في عينيك، ولا تُرتّب له محلاً ما. إذ قد ينزل في منزلة ما ونظام ما، ويرسخ، ولن يكون في صيرورة.

ثيتتس:

ولكن كيف يكون؟

سقراط:

فلنتبع برهاننا السابق، فارضين أن لا شيء هو ذاته

(١) طالع من الإلياذة، الباب الثامن، البيت الثامن عشر ومايلي. وفي ديمومة وضرورة دورة الصيرورة راجع فيذن b٧١، وفيذر س c٢٤٥.

واحد بذاته. ومن ثمة أن الأسود لنا والأبيض وأي لون آخر يظهر صائراً ما هو بفعل التقاء العيون بحركة الانتقال الملائمة، وما تزعم أنه لون معين لن يكون لا الملتقي ولا الملاقى، وإنما قد غدا شيئاً وسطاً خاصاً بكل لون. أم أنت تكابر في شدة أن كل لون يبدو للكلب ولأي حيوان آخر على ما يظهر لك بالضبط وببنفس الأوصاف؟

ثيتيتس:

بحق زفس ما كنت لأكابرا!

سقراط:

وماذا ترى، هل يظهر أمر لأي إنسان آخر مماثلاً لما يظهر لك؟ أتمسك بهذا الرأي في حزم، أم تتمسك في حزم أشد بكثير أن عين الشيء لا يظهر مماثلاً ذاته ولا لنفسك بالذات لأنك أنت بالذات لا تلبث أبداً مماثلاً ذاتك^(١)؟

b ثيتيتس:

هذا القول الأخير يتهياً لي أنه أكثر احتمالاً من ذاك.

سقراط:

فلو كان إذن ما نقيس به ذاتنا أو ما نلامسه، كبيراً أو أبيض أو حاراً، ووقع هو نفسه على آخر دون أن يتحول، لما أمسى آخر. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لو أن كل شيء يقاس به أو يلامس كان متصفاً بالصفات السالفة، ووقع عليه طارئ آخر أو منفعل بشيء ما، دون أن ينفع هو نفسه لما أصبح آخر. فنحن الآن يا عزيزي، مضطرون وإن في شيء من اليسر أن نتلفظ بأقوال

(١) "وفي النهاية ليس من وجود راسخ لا لذواتنا ولا لذوات الأشياء... وبالتالي لا يمكن أن تقوم أية علاقة ثابتة بين فرد وآخر، لأن مصدر الحكم والصادر عليه في تحول مستديم وتقلب متواصل". Montaigne, Essais. II. 12.

مستغربة مضحكة، على حد قول ابروتغورس وكل من يسعى أن يعبر عن قضايا مماثلة لقضاياها.

ماذا تقول وأية أقوال تعني؟

c ثييتس:

اتخذ هذا المثال الصغير، فتدرك كل ما أروم. إن أحرزت ستة أكعاب فرضاً، ووضعت إلى جانبها أربعة، فنقول إنها أكثر من الأربعة وتفوقها بالنصف. وإن جعلت يازائها اثني عشر، فنقول إنها أنقص وإنها نصف القيمة. ولا يُحتمل أن ننطق بقول آخر. أم أنت تتمكن من ذلك؟ كلا، أنا لا أتمكن.

ثييتس:

فما بالك إذن؟ إن سألك ابروتغورس أو أي نفر آخر: "يا ثييتس، هل من سبيل أن يُضحى أمر ما أوفر أم أنقص ما لم يزد عليه؟" فبماذا تجيب؟

سقراط:

إن أجبت على السؤال الحاضر بما يبدو لي، فجوابي أن ليس من سبيل. ولكن إن أجبت على السؤال الأسبق، فجوابي أن هنالك سبيلاً، احترازاً من أن أنطق بأقوال متناقضة.

d ثييتس:

أجدتَ وحق هيرا، يا محبوبي. ونطقت نطقاً إلهياً. وفيما أعتقد، إن أجبتَ إذن أن هناك من سبيل، يتحقق قول افريبيدس: وهو أن لساننا لا يُدحض، وأما فكرنا وعقلنا فقابل لذلك.

سقراط:

هذا صحيح.

ثييتس:

فلو كنا إذن ماهرين وحكيم أنا وأنت، ومحصنا كل أمور الفكر وشؤون العقول، لاخبرنا من المخالطة والمزاولة تفكير كل واحد منا، وتنازلنا في معمة كهذه، على

سقراط:

شنشنة أدعياء الحكمة، وقرعنا البراهين بالبراهين. وأما الآن، فبما أننا من السوق البسطاء، نحن نبغي أولاً أن نتأمل بما يخامرنا من أفكار، لنقارنها بعضها ببعض، ونرى ما عساها أن تكون، وندرك هل تتفق لدينا فيما بينها، أو لا تتفق على وجه من الوجوه.

ثييتس:

أنا من جهتي أود إذن ذلك وأتمناه غاية التمني.

سقراط:

أنا أيضاً وأيم الحق. وبما أن لنا هذا الاستعداد، سنعود ونتقصى هذه القضايا بتؤدة لا على نحو آخر، كمن يتمتعون بمتسع من الفراغ وافر جداً، فلا نستسلم إلى النزق والحنق، بل لنفحص في الواقع ذواتنا، ونتساءل ما عسى أن تكون هذه الرؤى البادية فينا. وعند تفحص أولاهها سوف نعلن، على ما يتهيأ لي، أن لا شيء يصير أبداً أكبر أو أصغر لا حجماً ولا كمية مادام معادلاً نفسه بنفسه. أليس كذلك؟

ثييتس:

بلى.

سقراط:

وعند تفحص الثانية، سنؤكد أن ما لم يضاف إليه وما لم يطرح منه، لن يزداد أبداً ولن يتضاءل، بل يبقى دوماً متساوياً متعادلاً.

b ثييتس:

فعلاً تتكلم بإتقان.

سقراط:

ألا نتفحص الرؤية الثالثة، لنؤكد أن ما لم يكن من قبل، وكان فيما بعد، لا يمكنه أن يكون، دون أن يكون قد صار ودون أن يصير؟

ثييتس:

يبدو في الواقع أنه لا يمكنه.

سقراط:

بيد أنني أعتقد أن هذه القضايا الثلاث المتفق عليها

تتعارك في نفوسنا وتتصارع، عندما نتكلم عن الأكعاب،
أو عندما نقول عني أنا في عمري الحاضر، دون أن أزيد
ودون أن أعاني من عكس ذلك، إنني أكبر منك أنت
الشاب، ثم بعد ذلك بسنة إنني أصغر منك، بمجرد أنك
أنت تزيد حجماً وحجمي لا ينتزع منه شيء، فأنا بكل
تأكيد، لن أصبح فيما بعد ما لم أكن من قبل. إذ دون
الضرورة يستحيل على أي شيء أن يصير. وإن لم أفقد
شيئاً من حجمي، فلن أكون يوماً ما أضال وأصغر^(١)
وعشرة آلاف أمور أخرى فوق عشرة آلاف هي على هذه
الحال، إذا قبلنا بهذه الحجج. إنك تتبع الحديث ولا ريب،
يا ثييتس، ومن ثمة يتهياً لي أنك لست بدون بعض
الخبرة في مثل هذه المشاكل.

ثييتس:

d

بحق الآلهة، يا سقراط، أنا أستغرب استغراباً خارقاً،
وأتساءل ما عسى هذه المشاكل أن تكون. وعندما أنظر
فيها أحياناً، أقع حقاً في ظلام الغيبوبة، ويأخذني
الدوار.

سقراط:

في الواقع يا عزيزي، يظهر أن ثؤودرس لم يتوقع بشأن
طبيعتك توقعاً سيئاً. لأن الفيلسوف خليق جداً بهذا
الانفعال، انفعال التعجب. إذ ليس لحب الحكمة
والفلسفة أصل آخر غير هذا. ومن زعم أن ايرس هي

(١) ما يحدث الزمن من تبديل في العلاقات، يعنى به أفلاطون فيما يبدو، عناية خاصة. هذا، ولا بد أن الموضوع قد وفر مادة غزيرة لفن المشاحنة في ذاك العهد. ففي البرمينيذس a1٥٤ - c1٥٥ لا ينفك أكبر الرجلين يصير أحدث سناً من صغيرهما دون أن يكون أصغر أبداً. وهنا الكبير بعد أن كان أضخم، يمسى فيما بعد أضال حجماً وهو لم يصير شيئاً من هذا قط.

ابنة ثفماس، لم يخطئ على ما يبدو في إنسابه. ولكن هل تدرك الآن لماذا مثل هذه التعاليم هي من جملة الآراء التي نزع ابروتغورس ينطق بها، أم لا تدرك ذلك بعد؟ أعتقد أنني لا أدرك ذلك بعد.

ثيثيتس:

ستعترف إذن بجميلي إن استقصيت معك ما خفي من حقيقة فكر رجل، لا بل رجال طائري الشهرة؟ وكيف لا أعترف بجميلك، وبجميل عظيم جداً، وأيم الحق.

e سقراط:

ثيثيتس:

المطلب الثالث

مقاربة ثالثة نسبية المرهفين المطلقة

انظر جيداً وفتش حولك لئلا يتسمع أحد من غير المطلعين. فهؤلاء هم من يظنون أنه لا وجود على الإطلاق إلا لما يستطيعون أن يضموه بين أذرعهم ويضغطون عليه. وأما الأعمال وضروب الصيرورة وجملة كل ما لا يرى، فهم لا يتقبلونه كأمر له نصيب من الوجود^(١).

سقراط:

في الحقيقة، يا سقراط، تتكلم عن أناس قساة أجلاف في عنادهم.

ثيثيتس:

(١) إن البراكسيس هو العمل يعبر عنه الفعل المتعدّي أو الفعل المحايد، وهو بين اللازم والمتعدي عندهم، رَ الكراتلس ٧/٣٨٦ والسفستي ٢٦٢. أما الصيرورة فهي التحول المنفعل الناجم عن البراكسيس. وحامل هذه الصيرورة أو موضوع هذا العمل هو الشيء. فمذهب غير المطلعين، إذا ما عدّ نظرية منطقية يحذف الفعل أو المحمول، ولا يستبقي سوى الاسم (راجع مقدمة السفستي ف٤ م٢). ويحده ذاك التعليم ههنا بمثابة "جسمانية كثيفة" لإبراز النسبية المرهفة التي ستعرض. رَ المقدمة ف٣ م١ ب١.

فعلاً يا غلام، إنهم بعيدون جداً عن الكياسة ونعومة الفن. إلا أن هنالك أناساً آخرين أحرزوا قسماً وافراً من اللطف والظرف. وها أنا أحاول أن أفضي لك بأسرارهم. فمبدأهم، وبه ترتبط كل القضايا التي رحنا نتحدث عنها منذ لحظة، هو التالي. ومفاده أن الكل هو حركة، حركة وحسب. أما الحركة فلها صنفان وكل منهما لا حدّ لكثرتة. وللواحد قدرة الفعل وللتاني قدرة الانفعال.

ومن تخالط هذين الصنفين واحتكاك الواحد بالآخر تتوالد لهما ذرية لا حصر لكثرتها. وذريتهما تَوَافُان: أحدهما المحسوس والآخر الإحساس. وهذا الإحساس لا يقع إلا مع المحسوس، كما يولد معه.

والإحساسات لها عندنا ما يشبه الأسماء التالية، ضروب الرؤية والسمع والشم والبرد والقيظ، والمذات أيضاً والمشقات والآلام، والرغائب والمخاوف. فهي تدعى بهذه الأسماء وهنالك أخرى لا تحصى بلا اسم، وغيرها كثير جداً وله اسمه الخاص.

ثم إن جنس المحسوس يُؤلّد هو أيضاً مع كل من هذه الإحساسات. فيتولّد مع صنوف الرؤية المتنوعة صنوف الألوان المختلفة، ومع أنواع السمع الأصوات على النحو عينه، ومع الإحساسات الأخرى أصناف المحسوس على اختلافها.

فما يعني في نظرنا هذا الحديث الأسطوري، يا ثييتس، إذا قوبل بقضايانا الأولى^(١)؟ هل تدرك ذلك؟

(١) يدعى تعليم النسبيين "أسطورة"، لأنه يعرض على شكل سلاطات الآلهة وفي صيغة إنشائية ثلاثتها. قابل هذا التعليم بعرض نظريات الوجود في السفستي ٢٤٢ - ٢٤٣.

ثبّيتتس:

لا أدرك ذلك تمام الإدراك، يا سقراط.

سقراط:

تأمّله إذن جيداً حتى النهاية. فهو يعني أن كل هذه الأمور، على ما نقول، تتحرك، وأن السرعة والبطء يداخلان حركتها. ومن ثمة كل ما هو بطيء، يضبط حركته في ذاته وينشرها في الأشياء المجاورة، وهكذا يلد. وما يتولد عنه على هذه الصورة يكون أسرع. لأن مثل هذه المواليد تنتقل، وعن ثقّلها تنشأ حركتها الطبيعية. فحالما تلتقي العين إذن بشيء ما من الأشياء الملائمة لها، فهي تلد البياض القريب إليها والإحساس الناشئ عنه بالطبع. والبياض والإحساس ما كانا ليحصل، لو أن كلاً من العين والشئ الملائم وقع على شيء آخر غير ملائم. ولكن إذ حُمل الاثنان في ثقّلهما محملاً وسطاً، أي الرؤية من جهة العيون والبياض من جهة ما يُؤلّد مع الرؤية اللون، غدت العين مليئة من الرؤية وأبصرت عندئذ، وأضحت العين لا بصرأ أو رؤية ما، بل عيناً رائية مبصرة. واللون المتولّد مع الرؤية تملأ بياضاً، وغدا هو أيضاً لا بياضاً وإنما أبيض، أي إن الخشب أو الحجر أو أي شيء آخر قد اتفق له أن يصطبغ ويتلون بهذا اللون. والأمور الأخرى تجري هذا المجرى فالناشف والحرار وكل ما إليهما لا بد من فهمه على النحو السابق. وأن لا شيء في ذاته ولذاته. وهذا بالضبط ما رحنا نقوله آنذاك^(١)، وإن جميع الأشياء تحدث عن مخالطتها بعضها لبعض، وإنها تغدو مختلفة متنوّعة بسبب الحركة، وإنه ليس بثابت أن

b

(١) راجع في ما تقدّم الفقرة d1٥٢.

الفاعل هو شيء ما معين، ولا الاعتقاد على ما يزعمون، بأن
المنفعل هو في أحد تلك الأشياء. لأن الفاعل ليس شيئاً ما
قبل لقائه بالمنفعل، ولا المنفعل قبل لقائه بالفاعل. وما يلقى
شيئاً ويكون معه فاعلاً، قد يعثر على آخر وظهر معه
منفعلاً^(١). فنستنتج من جميع هذه الأحاديث، وهذا
بالضبط ما طفقنا نردده منذ البدء، إن لا شيء هو واحد في
ذاته، بل إنه يصير دوماً لآخر، وأن الوجود لا بد أن يُستأصل
ويجث من كل مكان. بيد أننا لا نعلم أن نضطر إلى
استخدامه باستمرار لاستئناسنا به وعدم معرفتنا
واطلاعنا. مع أنه يجب أن لا نتساهل أي تساهل، على حد
قول الحكماء، في استعمال لفظة شيء ما، ولا عبارة شيء
فلان أو شيءي، ولا كلمة هذا أو ذاك ولا أي اسم آخر من
شأنه أن يجمد الأشياء، بل أن نعبر عنها على سنن الطبيعة،
في حدوثها وتفاعلها وهلاكها وتغيرها. وإن أوقف أحد شيئاً
عن الحركة في كلامه، يسهل علينا دحض من يجترح ذلك.
ويجب أن تنهج هذا المنهج في الكلام عن الجزء وفي الكلام
عن العناصر الكثيرة المتكاثفة، سواء افترض المرء بهذا
التكثيف إنساناً أم حجراً أم كل حي وكل نوع.

فهذه القضايا، بحقك يا ثييتس، هل تبدو لك لذيذة
وتروقك فتتذوقها؟

ثييتس: لا أدري يا سقراط. إذ في الواقع لا أقدر أن أفهم هل أنت
من جهتك تعبر عما تعتقده ويطيب لك أو أنك تختبرني.
سقراط: أفلا تذكر، يا خليلي، أنني لا أعرف أنا من هذه المسائل

(١) راجع من المقدمة الفصل الثالث م ١ ب ١، والفصل الرابع م ٢ ب ١.

شيئاً، وأنني لا أختص بأيّ منها ذاتي. وأنا لم ألدّها.
وانما أساعدك على الوضع، وأنشد التعاويذ لهذه الغاية،
وأقترح عليك أن تتذوّق كل حكيم بمفرده، ريثما أسوق
معك إلى النور اعتقادك. وإذا ما سيق إلى النور، فعندئذ
فقط أتحريّ ما يسفر عنه من رأي هراء أو من رأي راجح
سديد. فتشجع إذن وثابر بهمة، وأجب في رباطة جأش
بما يتبين لك، على الأسئلة التي أطرحها عليك.

ألا أسأل.

ثييتس:

قل لي إذن مجدداً. أيطيب لك أن لا يكون شيء موجوداً،
بل أن يصير دوماً صالحاً وجميلاً وكل ما هنالك من
صفات استعرضناها منذ لحظة.

سقراط:

إنه ليظهر لي إلى حدّ غريب، بما أنك تفصل تلك المسألة
هذا التفصيل، إنها صائبة معقولة، وأن على المرء أن يقبل
بها على الوجه الذي تعرضه.

e ثييتس:

فلا نتغافل إذن في حديثنا عمّا ينقصها. وما فاتنا هو ما
يتعلّق منها بالأحلام، والأسقام على تباينها، ولاسيما
الجنون، وكل ما يدعى جملة أوهام السمع أو البصر أو
أي إحساس آخر. وأنت تعرف ولاشك، أن قضيتنا التي
فصلنا منذ لحظة تُدحض باعتراف الجميع على ما
يبدو، في هذه الأعراض كلها، إذ يجري لنا فيها أكذب
الاحاسيس. والظواهرات البادية لكل واحد منا آتئذ هي
بعيدة جداً عن الواقع، لا بل على عكس ذلك لا شيء
على الإطلاق مما يبدو منها هو موجود في الحقيقة.

سقراط:

أقوالك في غاية الصدق، يا سقراط.

ثييتس:

فما الذي يمكن أن يقوله بعد ما تقدم يا بني ذلك الذي

سقراط:

يقرر أن الإحساس هو العلم وأن ما يبدو لكل واحد، هو

في الواقع، ما يبدو له^(١)؟

ثييتس:

إنني يا سقراط، لأتردد في الجواب بأن ليس لدي ما أقول، لأنك صدمتني منذ لحظة إذ قلت ذلك. بيد أنني لا أستطيع في الحقيقة أن أناور وأرتاب في أن المجانين أو الحالمين لا يرتؤون آراء كاذبة، عندما يحسبون، هؤلاء أنهم آلهة، وأولئك أنهم طير ويتوهمون أنهم يطيرون في النوم.

سقراط:

بالتالي ألا تفكر بهذا الارتباب اللاحق بتلك الأمور، لاسيما مسألة الحلم واليقظة؟

ثييتس:

أي ارتباب؟

سقراط:

ارتباب سمعته، على ما أعتقد، مراراً من أناس يتساءلون: أي دليل مقبول يبيده المرء لإثبات الواقع، إن طرح أحد في هذه اللحظة سؤالاً على هذا الوجه: هل نحن نائمون في الوقت الحاضر ونحلم بكل ما نفكر به، أم نحن صاحون ونتحدث بعضنا إلى بعض في حال اليقظة؟

ثييتس:

في الحقيقة، يا سقراط، يتحير المرء بأي دليل يثبت الواقع. فالأمور برمتها تتعاقب وكأنها مقلوبة رأساً على عقب. إذ ما تحاورنا به الآن، لا شيء يمنع أن يتهياً لنا

(١) "وأكثر من ذلك، إذ أن عوارض الأمراض والأحلام والرقاد تبدي لنا الأشياء على وجه يغاير الوجه الذي تبديها فيه للأصحاء والحكماء والصالحين. أفلا يحتمل إذن أن يكون لهيئة جلوسنا وإخلاصنا في حالها الطبيعي مقدرة على إعطاء الوجود للأشياء... وعلى تكييفها، كما تحولها وتكيفها الأخلاط الفاسدة المشوشة؟ ومن ثمة، بما أن وضعنا الخاص كيف الأمور ويحولها لتلائمه... فلا يبلغنا منها شيء إلا وقد غيرته الحواس وأخلت عليه الغش". Montaigne. Essais. II. 12

وأننا نتحاور به في سبات النوم. وعندما نعتقد في المنام أننا نروي أحلاماً، فوجه الشبه بين الأحلام هذه الوقائع تلك مستغرب.

سقراط:

تري إذن أن الارتباب في هذه القضايا ليس بعسير. إذ يرتاب المرء في أمره بالذات ويتساءل أي يقظة هو أم في منام. ولما كان الوقت الذي نرقد فيه معادلاً وقت يقظتنا، ففي الفترتين الزمنيتين تتصارع روحنا لتؤكد دوماً أن آراءها ومزاعمها الحالية هي أوفر واقعية مدة من الزمن تضاهي المدة التي ندعي فيها أن أحداث اليقظة هي الواقعية. وفي الحالتين نكابر عين المكابرة^(١).

ثييتس:

فعلاً هذا صحيح كل الصحة.

سقراط:

فحين القول ينطبق إذن على حالات المرض والجنون، إذا ما استثنينا عامل الزمن لأنه غير متساو فيها؟ لقد أصبت.

ثييتس:

فما بالك إذن، أبطل الزمن وقصره تحدد الحقيقة؟

سقراط:

ألا إن ذلك قد يكون من وجهات كثيرة مدعاة للتهكم.

e ثييتس:

فهل من دليل آخر واضح لديك، لتبين أية هذه الآراء هي الآراء الصحيحة؟

سقراط:

لا أعتقد.

ثييتس:

(١) ويقول مونتينيه هو أيضاً، في الموضع المذكور: "من شبهوا حياتنا بحلم كانوا على حق، وإن جازفوا في قولهم مجازفة، وأصابوا أكثر مما كانوا يظنون. فنحن في يقظتنا نيام وفي نومنا صاحون... ولما كان عقلنا وروحنا يتقبلان ما يتولد لديهما من خيالات وظنون وقت السبات، ويمنحان أعمال أحلامنا تأييداً يماثل تأييدهما أعمال النهار، فلم لا نرتاب ونتساءل هل يكون تفكيرنا وتصرفنا حلمًا آخر، ويقظتنا ضرباً من ضروب السبات؟...".

سقراط:

فاسمع مني إذن ما قد يقوله حول هذه القضايا، جماعة
يقررون أن المزاغم والآراء هي أبداً صحيحة صادقة لمن
يرتبئها^(١). فهم يتكلمون على هذا النحو، فيما يتهياً لي،
ويسألون ما يداني هذا السؤال: "ألا يا ثييتس، ما يفاير
الآخرين من كل وجه أينطوي يا ترى على قدرة ما، تكون
هي عينها بالذات في آخر؟ ولا نحسب أن ما نسأل عنه
يكون هو عينه بالذات من جهة، وآخر من جهة ثانية.
وانما فلنعتقد أنه بجملته آخر".

ثييتس:

يستحيل إذن على شيء ما أن يحرز عين الصفة من جهة
القدرة أو من جهة أية ميزة أخرى، عندما يكون بجملته
آخر ومفايراً.

a159

سقراط:

أفلا يفرض علينا إذن الاعتراف بأن مثل هذا الشيء لا
يشبه غيره؟
يبدو لي ذلك.

ثييتس:

فإن اتفق إذن لشيء أن يصير مشابهاً لشيء آخر أو غير
مشابه، وكان ذاك الشيء الآخر الشيء الأول بالذات أو
غيره، ففي حالة الشبه نقول إنهما قد أصبحا واحداً
بعينه، وفي حال التباين نقول عن كل واحد إنه غير.

سقراط:

ثييتس:

تقضي الضرورة بذلك.

(١) هذه العبارة هي العبارة الثانية من حوار اكراتلس وهي تنص عن حقيقة الحكم
المرافق الصورة الحسية، (c386، راجع من هذا الحوار ف٢ م١ ح١).
وعبارات الثييتس تردّ برمتها إلى هذين الضربين من العبارات: حقيقة
الإحساس c152، وحقيقة الانطباع b178، وحقيقة الصورة a152 و a158. ثم
حقيقة الحكم وفيه تؤكد تلك الظاهرة: انظر e158 و c161 و cd162 و c167
و ١٧٠ و b172 و c177.

سقراط:

أما رحنا نقول من قبل إن الأشياء الفاعلة كثيرة لا تحصى، وأن المنفعة هي أيضاً بلا حصر؟
بلى.

b ثييتس:

سقراط:

ألم نقل أيضاً إن الشيء المبين إذا خالط هذا أو ذاك لا يلد أشياء متماثلة هي عين ذاتها، بل أشياء متغايرة؟
فعلاً هذا ما يحصل بكل تأكيد.

ثييتس:

سقراط:

فلنطبق هذا القول عليّ أنا وعليك وعلى الأمور الأخرى أيضاً، على سقراط المعافى أيضاً ثم على سقراط العليل.
فهل نقول عن هذه الحالة الأخيرة أنها مماثلة للأخرى أم غير مماثلة؟

ثييتس:

وهل تعني بسقراط العليل، كلاً تقابله بكل آخر هو سقراط المعافى؟

سقراط:

لقد أدركت قصدي أجمل إدراك. وهذا بالضبط ما أعني.

ثييتس:

إنها غير مماثلة إذن دونما ريب.

سقراط:

وهي من ثمة شيء آخر مثلما هي غير مماثلة؟
بحكم الضرورة.

c ثييتس:

سقراط:

وتقول عنه عين القول في نومه وفي كل ما فصلنا واستعرضنا منذ فترة من حالات؟
أقوله بتأكيد.

ثييتس:

سقراط:

وكل ما من طبعه أن يُحدَثَ فعلاً ما، فهو عندما يؤثر في سقراط المعافى، يلقي حالة ما مغايرة، ويجدني غير ما أنا عليه عندما يؤثر في سقراط العليل، ويكون هو شيئاً ما آخر.

ثييتس:

ولم لا يكون.

سقراط:

وإننا ننتج دونما ريب، أنا المنفعل وذاك الفاعل، مواليد متباينة في حالة وفي أخرى.

ثييتس:

ولم لا .

سقراط:

ف عندما أشرب الخمر معافى، يبدو لي عذباً لذيداً.

ثييتس:

أجل.

d سقراط:

بناء إذن على ما سبقنا واتفقنا بصدده، قد ولّد الفاعل والمنفعل العذوبة والإحساس، على أثر تلاقيهما. فالإحساس من جهة المنفعل جعل اللسان يُحسّ. والعذوبة من جهة الفاعل وهي محدقة به، جعلت الخمرة عذبة، في وجودها وما ظهر منها، للسان سليم معافى.

ثييتس:

بكل تأكيد هذا ما وافقنا عليه فيما تقدّم.

سقراط:

ولكن عندما تلقاني الخمرة مريضاً، تلقى أولاً حالة مغايرة في الحقيقة، فلا تجد عين الرجل. إذ دهمته الخمرة وهو غير مماثل لذاته.

ثييتس:

نعم.

سقراط:

ومن ثمة قد ولد مثل هذا السقراط وولد معه شرب الخمر مواليد مباينة للأولى: في اللسان إحساساً بالمرارة. وفي الخمر مظهر المرارة المنقولة. وجعل الواحد لا مرارة بل مرأ، وأنا الآخر لا إحساساً بل رجلاً ذا إحساس.

ثييتس:

فعلاً هذا في غاية الضبط.

سقراط:

فأنا لن أغدو يوماً من الأيام شيئاً آخر غير ما أنا، فيما أحس هذا الإحساس. لأن للغير إحساساً آخر، يغيّر الذي يشعر به ويجعله آخر. ولا ذاك الفاعل فيّ، إذا ما وقع على آخر، يمكنه أن يوّلّد عين الفعل وأن يكون مماثلاً لذاته. لأنه إن ولّد آخر يغدو هو غير ما هو.

a160

ثببتس:

هذه أمور صحيحة.

سقراط:

ولا أنا، وهذا أكيد، أغدو منفِعلاً بانفعال ما من تلقاء ذاتي. ولا ذاك الفاعل يغدو من تلقاء ذاته متصفاً بصفة ما.

ثببتس:

في الواقع لا يمكن حدوث هذا الأمر.

سقراط:

ومن الضرورة أن أشعر بشيء ما، عندما أشعر وأحس. إذ يستحيل أن يضحي أحد ذا إحساس ولا يحس بشيء. وذاك الفاعل أيضاً من الضرورة أن يغدو لأحد ما عذباً أو مرأً أو شيئاً من هذا القبيل، عندما يضحي عذباً أو مرأً أو شيئاً من هذا الأشياء إذ يستحيل أن يصير عذباً دون أن يكون عذباً لأحد.

ثببتس:

فعلاً هذا ضروري كل الضرورة.

سقراط:

فيبقى إذن، على ما يتهياً لي، أن وجودنا إن وُجدنا، وصيرورتنا إن صرنا وتحولنا، هما لنا مترابطان فيما بيننا، بما أن الضرورة تريد وجودنا، ولا تربطهما بأحد من الآخرين، وهي لا تربط أحد الوجودين حتى بصاحبه، أي بأحدنا بالذات. يبقى إذن أننا مرتبطان الواحد بالآخر.

c

ومن ثمة إن سمى أحد شيئاً ونعته بالوجود أو الصيرورة، فعليه أن يقول عنه إنه يوجد أو يصير لأحد أو بفعل أحد أو لشيء ما. ويفرض على ذاك المرء أن لا يقول ولا يقبل من آخر أن الشيء هو ذاته موجود أو

(١) لكن أرسطو يجيب في ما وراء الطبيعة ١٠١٠b، ٣٦ وما يلي، إن الموضوع وإن كان في صلة ترابط مع الإحساس، فهو بحكم الضرورة سابق له، كما يسبق الدافع المدفوع.

صائر بذاته وفي ذاته، على ما يشير إلى ذلك ما
استعرضنا من برهان^(١).

ثيتتس:

كلامك يا سقراط، صحيح من كل وجه.

سقراط:

إذن عندما يكون لي فاعلي وليس لآخر، فأنا أشعر به

وليس آخر؟

ثيتتس:

وكيف لا؟

سقراط:

وبالتالي إحساسي صادق لي وحقيقي. إذ ينتمي دوماً إلى

وجودي. وأنا أقضي وأحكم، حسب ابروتغورس، في ما

يمت بوجوده إلي، بأنه موجود، وفي ما لا يوجد بأنه غير

موجود.

ثيتتس:

هذا ما يبدو.

سقراط:

فكيف إذن إن كنت معصوماً لا أخطئ ولا أضعف في فكري

حيال ما يوجد أو يصير، لا أكون عليمًا بما أحس به؟

d

لا سبيل قطعاً لأن لا تكون عليمًا.

ثيتتس:

سقراط:

فبهي إذن جداً قولك إن العلم ليس شيئاً آخر سوى

الإحساس. ومفاده يتفق عيناً مع قول هومرس من جهة،

وهراكلتس ورهط من لف لفهم، ممن شبّهوا الأشياء كلها

بجداول في حركتها. كما يتفق مع قول ابروتغورس الحكيم

جداً، وهو أن الإنسان معيار الأشياء برمتها ولما كانت الأقول

e

على هذه الحال، رأى ثيتتس أن الإحساس يمسي علماً.

أليس كذلك يا ثيتتس؟ أنقول إن هذا الرأي هو ابنك وكأنه

وليد جديد، وأنه ثمرة توليد؟ أم ماذا تقول؟

ثيتتس:

تقضي الضرورة بأن تقول هذا القول، يا سقراط.

القسم الثاني

النقد

المطلب الأول

محاول نقد أولى

البحث الأول: الناس أجمعون سواسية

سقراط: يتهيأ لي حقاً أننا قد أنجبنا هذا المولود بشق النفس، مهما اتفق له أن يكون. ولكن لا بد لنا، بعد مولده، من أن ندور حقاً ونتراكض حوله بعقلنا، وأن نقيم له "حفلة التطواف"^(١). وأن نتفحص أمره، لنألا يفوقنا هل يستحق التغذية والتربية، أم هو هراء وبطلان. أم أنت تعتقد أنه يفرض، على كل الأحوال، أن تغذي وليدك وأن لا تطرحه^(٢). وهل تحتمل دحضه وأنت ناظر، فلا يشتد سخطك إن حرملك منه أحد أنت الوالد لأول مرة.

a161

(١) عند قدماء اليونان، حفلة يقيمها الأهل لمولودهم الجديد، خمسة أيام بعد مولده وكل من اشترك في الولادة يطهر في تلك الحفلة يديه، ثم يأخذون الرضيع ويطوفون به حول الموقدة وهم يتراكضون. ويعطونه عندئذ اسمه، ويهديه الأقارب والمعارف هدايا مختلفة من حلي وملبس ومأكول ومشرب. ومن جملة المأكولات ضرب من الطرييد والأخطبوط. (المعرب).

(٢) كان الأقدمون من يونان ورومان، تخلصاً من الأطفال والرضع، يعمدون إلى أحد أمرين: العرض أو الطرح. فالعرض كان قائماً على وضع الأولاد في مكان يستطيع من يود ذلك لرغبة أو رحمة أن يلتقطهم فيه. وأما الطرح فقد كان قائماً على إلقائهم في مكان بعيد يكونون فيه عرضة للضواري أو العوامل =

ثئودرس:

يا سقراط، إن ثئيتتس ليحتمل ذلك. فهو ليس على شيء من خشونة الطبع. ولكن بحق الآلهة عليك، قل لي إن كانت القضايا المطروحة غير صحيحة هذه المرة أيضاً.

سقراط:

كَمْ أنت طيب، يا ثئودرس، ومغرم بالأحاديث، حتى تحسبني كيساً من البراهين، أنتزع بعضها في سهولة، لأقول لك هل هذه القضايا المثارة ليست مرة أخرى بصحيحة. ولكن لا تتنبه لما يحدث. وهو أن برهاناً واحداً من البراهين لا يصدر عني، بل يصدر دوماً عمن يحاورني. أما أنا فلا أعرف أكثر من أمر طفيف، وهو أن أستمّد القول من رجل حكيم آخر، وأن أتقبله بقصد وتحفظ. الأمر الذي سأحاوله مع غلامنا هذا، دون أن أقول أنا نفسي شيئاً.

ثئودرس:

جميل وجميل جداً كلامك يا سقراط، فانهج نهجك المؤلف.

سقراط:

فهل تعرف إذن، يا ثئودرس، ما يثير عجبني لدى صاحبك ابروتغورس:

c ثئودرس:

وما هو؟

سقراط:

إن ما نطق به من أقوال أخرى يطيب لي جداً. ومفادها أن ما يبدو لكل أحد هو الواقع بالذات. إلا أنني أتعجب من مبدأ كلامه. لأنه لم يقل في مطلع "حقيقته" أن "مقياس" الأشياء طُراً هو الخنزير، أو القرد المسمى كينو كيفلُس أي رأس الكلب، أو كائن آخر أكثر غرابة، مما

=الطبيعية. وكانت نظم الدول اليونانية تسمح بالطرح، ماعدا نظام ثيبة Thèbes الذي حظره بشدة. راجع لنا كتاب السياسيات لأرسطو ب٧ ف١٤ ف١٠ ح١ - ٣ حريصاً ١٩٥٧. (المعرب)

e

أحرز الإحساس. وذلك كي يفتح لنا حديثه بأبهة وبكل
ازدراء، ويبرهن لنا أننا ما فتئنا نعجب من حكمته
إعجابنا من إله، وأنه هو من جهته لم يحظ من الفهم ولا
بمقدار يفضل به شرغوف ضفدع، ولا أقول أي إنسان
آخر. أم كيف نرى يا ثؤذرس: لأنه إذا كان الواقع هو ما
يرتأيه المرء ويظنه بواسطة الإحساس، وكان الغير لا
يحكم حكماً أفضل على شعور وانطباع الآخرين، ولم يكن
الآخر أصلاً لتمحيص رأي غيره، أهو سديد أم كاذب، بل
على ما قيل مراراً، إذا كان كل فرد يرتئي وحده آراءه،
وكانت هذه الآراء برمتها سديدة صادقة، فلماذا يا ترى
يحسب ابروتغورس حكيماً، بحيث يا صديقي، يؤهل عن
جدارة لأن يصبح أستاذ الآخرين ويتقاضى أجوراً
ضخمة؟ ولم نعد نحن أزهـد معرفة، ولم يفرض علينا
التردد عليه، إذا كان كل فرد لنفسه معيار حكمته^(١)؟

a ١٦٢

وكيف لا نقول أن ابروتغورس يسوق هذه التخرصات إلى
الطغام وعامة الشعب؟ أما ما يلحقني ويلحق فن توليدي
من السخرية والازدراء فأنا أصمت عنه. وأظن أيضاً أنه
يلحق صناعة الجدل برمتها. ألا يكون تمحيص خيالات
وآراء الآخرين ومحاولة دحضها، في حال أن خيالات وآراء

(١) لم يعمد أفلاطون في هذا المقام إلا إلى تطبيق أدق وأبرز على قضيته، لسؤال
طرحه سقراط في الأفثيذمس على أدعياء الحكمة، ٢٨٧a حيث قال: "إن كنا لا
ننخدع لا في أعمالنا ولا في أقوالنا ولا في أفكارنا، ففي هذه الحال، قولوا لي
بحق زفس من جنئتم تعلمون وتدرسون؟".

(٢) رَ حوار افثيذمس ٢٨٦b حيث يقول: "أيمكن في نظرك أن ندحض أحداً إن
استحال الخطأ على الجميع؟".

كل فرد هي سديدة صحيحة، ضرباً من الهذر العريض
الطنان، إذأ نطقت حقيقة بروتغورس بالحقيقة، لا بكلام
هزل ودعابة، من أعماق كتابه^(٢)؟

ثئوذرس:

كما قلت منذ لحظة، يا سقراط، إنه رجل صديق. فلن
أقبل إذن أن يدحض ابروتغورس بموافقتي واعترافي. كما
لا أقبل أيضاً أن أعارض رأيك. فعاود الكرة إذن على
ثئيتتس واتخذة قرناً لك. إذ قد بدا يصغي إليك الآن كل
الإصغاء باهتمام كبير.

b سقراط:

ولكن إن عرّجت على لكذيمن، يا ثئوذرس، وملت إلى
حلبات المصارعة، أtestحسن أن ترى الآخرين عراة،
وبعضاً منهم هزياً، دون أن تتعرّى مقابل ذلك وتبدي
أنت شكلك؟

ثئوذرس:

وما بالك إن رأوا أن يتيحوا لي هذا الأمر بعد أن أقنعهم؟
فعلى النحو عينه، أعتقد الآن أنني سأقنعكم بأن تدعوني
أشاهد المباراة، دون سوقي إلى الحلبة بعد أن يبستُ
وجفّ عودي. وعوضاً عن ذلك أن تصارعوا فتى في شرخ
الشباب ونضارة القوى.

سقراط:

فإن كان لك هكذا صديقاً، يا ثئوذرس، فهو ليس لي
عدواً، على حد قول أصحاب الأمثال. فعلياً إذن من
جديد أن نعود إلى حكيمنا ثئيتتس. فهي قل لنا أولاً، يا
ثئيتتس، بناء على ما استعرضناه منذ فترة، ألا تعجب إن
ظهرت هكذا فجأة مضاهياً في الحكمة أي إنسان أو إله،
لا تتحط عنهم بشيء، أم تحسب أن معيار ابروتغورس إذا
انطبق على أحد فهو ينطبق على الآلهة أقل مما ينطبق

ثييتس:

بحق زفس أنا لا أفكر هذا التفكير. وما تسألني عنه أنا أعجب له عجباً عظيماً. لأننا عندما شرعنا نفصل وجه قولهم: "إن ما يبدو لكل امرئ فذاك هو الواقع لمن يبدو له"، ظهر لي القول في غاية الجودة. أما الآن فقد وقع لي سريعاً عكس ذلك.

d

سقراط:

لأنك لا تبرح شاباً، يا بني العزيز. فأنت تتصت بتحمس إلى الممالقة والدجل وتدعن لهما بسرعة. إذ قد يجب ابروتغورس على هذه الاعتراضات، أو يجب عنه أحد آخر: "أيها الفتيان والشيوخ النبلاء، إنكم جالسون تتملقون بعضكم بعضاً، مقحمين في القضية حتى الآلهة. مع أنني أتحاشى الكلام عنهم في أقوالي وكتاباتي، ولا أبحث بشأنهم قضية وجودهم أو عدم وجودهم^(٢). وما قد تقبل به السوق والعامة، أنتم تسمعون وترددونه. ومفاده أنه رهيب أن لا يفضل كل إنسان أي حيوان بدرجة ما من الحكمة. ولا تتطقون بأي برهان قاطع أو أي قول حتمي. وإنما تستخدمون التخمين في كلامكم. ولو رام ثييتس أو أي مهندس آخر أن يستخدمه في

e

(١) سوف تقرر الشرائع ٧١٦c: "إن الله هو لنا إلى حد أسمى معيار كل شيء وله في ذلك الحق والأفضلية على أي إنسان يمكن أن يحدثونا عنه".

(٢) لقد حفظ لنا سكتوس امبركوس قول ابروتغورس في كتابه ردّ على الرياضيين، ٥٦: ٩ وحفظه لنا أفسيفيس Eusébios حفظاً أحمل في مصنفه الإعداد الإنجيلي ١٤: ٣ و ٧، حيث يضع على شفاء ابروتغورس: "عن الآلهة لا أستطيع القول: لا إنهم موجودون ولا إنهم غير موجودين ولا ما هي طبيعتهم. فأمور كثيرة تحول دون هذه المعرفة، منها غموض المسألة وقصر حياة الإنسان".

هندسته، لما استحق ولا لفضلة ثناء. فتفحص إذن أنت
وثؤذرس إن كنتم تقبلون أساليب الحضّ والتخمين أو
التقدير في تقديمكم البراهين عن قضايا لها ما لهذه من
خطورة.

١٦٣ a تثيتس: كلا يا سقراط، لن نقول لا نحن ولا أنت أن هذا حق.

سقراط: فعلينا فيما يبدو، أن نتفحص قضيتنا على وجه آخر:
هذا قولك وقول ثؤذرس أيضاً.

تثيتس: أجل على وجه يختلف تماماً.

سقراط: فلنفحص إذن على النحو التالي هل العلم والإحساس هما
شيء واحد بالذات أم شيئان متباينان. إذ إن كلامنا كله
كان يهدف إلى هذه المسألة. ولهذه الغاية أثّرنا تلك
القضايا الكثيرة المستغربة. أليس كذلك؟

البحث الثاني: العلم يدوم دوام الإحساس

b سقراط: فهل نعترف إذن أن ما نشعر به عن طريق البصر أو
السمع، هذا كله نعرفه أيضاً، في حال شعورنا به؟ مثلاً
قبل أن نتعلّم لهجة البرابرة أنقول أننا لا نسمعهم حين
ينطقون، أم نقول إننا نسمع ونعرف ما يتكلمون به؟ ثم إن
كنا لم نتعلم الأحرف ونظرنا إليها، أنكابر ونؤكد أننا لا
نراها، أم نؤكد أننا نعرفها إذا رأيناها؟

تثيتس: نقول يا سقراط، إننا نعرف بالضبط من البرابرة
والأحرف ما نراه ونسمعه. فنرى من البرابرة ونعرف
شكلهم ولونهم، ومن الأحرف نسمع ونعرف في آن واحد،
ارتفاعها وعمقها أما ما يعلم أهل الصرف عن الأحرف

e

وما يفسّر المترجمون عن البرابرة، فلا نشعر به بالنظر أو السماع ولا نعلمه بهما .

سقراط: شروحاتك يا ثييتس ممتازة، ولا يجمل أن أثير الريب عليك بشأنها، كي تزداد نشاطاً وإقداماً. ولكن انتبه لهذا الاعتراض الآخر الطارئ، وفشّش من أي ناحية نصده.

ثييتس: أي اعتراض يا ترى؟

سقراط: إن طرح أحد مثل هذا السؤال: "إن غدا أحد ذات يوم مطلعاً على أمر ما، ولبت محافظاً على ذكراه وما انقطع عنها، ففي حال تذكّره لذاك الأمر بالذات هل يستطيع أن لا يعرف ما يتذكّره؟" إلا أنني أسهب في الكلام على ما يبدو. وأروم أن أسأل فقط: "من تعلّم شيئاً، ألا يعرفه حينما يذكره؟".

ثييتس: وكيف لا يعرفه، يا سقراط؟ إذ قد يكون ما نقول ضرباً من المسخ والهول.

سقراط: ألعلي أهذي يا ترى! تفحص الأمر. ألا تقول إن من يرى يحسّ، وإن الرؤية إحساس.

ثييتس: أقول ذلك دونما تردد .

e سقراط: من رأى شيئاً فقد أضحى عليمّاً بما رأى، طبقاً لكلامنا الحاضر؟

ثييتس: أجل.

سقراط: فما بالك إذن؟ ألا تقول أن الذكرى هي شيء ما؟

ثييتس: بلى.

سقراط: وهل من ذكرى لا شيء أو ذكرى شيء ما؟

ثييتس: ذكرى شيء ما دون ريب.

سقراط: إذن ذكرى أشياء تعلّمها وأشياء تحسها، وأمور مماثلة.

- ثييتس: ولم لا؟
- سقراط: فما رآه المرء، يذكره أحياناً؟
- ثييتس: يذكره!
- سقراط: حتى ولو أغمض عينيه؟ أم تفوته الذكرى إن فعل؟
- ثييتس: كلا يا سقراط لا تفوته، لأن ادعاء ذلك باهظ.
- a 164 سقراط: ومع ذلك فهو يتحتم علينا، إن رمنا المحافظة على برهاننا الأسبق. وإلا ذهب أدراج الريح^(١).
- ثييتس: وأنا أيضاً، بحق زفس، أشتبّه في الأمر. ولكني لا أدركه إدراكاً وافياً. فقل لي من أية ناحية هو متحتم.
- سقراط: من هذه الناحية. إذ نحن نصرّح إن من يرى يغدو عليماً بهذا الذي يراه بالذات. لأننا نعترف إن الرؤية والإحساس والعلم شيء واحد بعينه.
- ثييتس: بكل تأكيد.
- سقراط: ومن يرى ويغدو عليماً بما رأى، إن أغمض عينيه، يتذكر الشيء وهو لا يراه. أليس كذلك؟
- ثييتس: بلى.
- b سقراط: "وأن لا يرى" هو مع ذلك "أن لا يعلم" إذا كان "أن يرى" هو "أن يعلم".
- ثييتس: إنها معادلة صحيحة.
- سقراط: لقد اتفق لنا إذن حدوث ما كنا نتوقعه، وهو أن لا يعرف المرء ما أطلع عليه لأنه لا يراه، مع أنه لا يلبث يتذكره.

(١) إن الكلمة في اليونانية تعني أيضاً هلك وتلاشى οὐχεται راجع الفيلسوف a 14 وحوار فيثون a 70 و b 84 ولكن الفعل عينه في المقطع ٢٠٣ b-e يعني الهرب والتواري. وبالطبع، أفلاطون ليس الوحيد بين المفكرين ليعمد إلى إسباغ الشخصية على اللوغس. راجع المقالة هليني لغرغيس ورواية الضباب لارستفانس.

وهذا ما قلنا عنه أنه قد يكون ضرباً من المسخ والهول إذا ما تحقق.

ثييتس:

أقوالك صادقة جداً.

فيظهر إذن أن مستحيلاً من المستحيالات قد يحدث، إن ادعى أحد أن العلم والإحساس هما أمر واحد بعينه.

سقراط:

هذا ما يبدو!

ثييتس:

فلا بد من الاعتراف بأن كلا منهما يغير الآخر.

سقراط:

لعله كذلك.

c ثييتس:

فما عسى العلم أن يكون إذن يا ترى؟ لابد إذن، كما يبدو من معالجة الموضوع ومعاودته من أصله. ومع ذلك، ماذا يُفرض علينا فعله، يا ثييتس؟

سقراط:

بصد أي شيء؟

ثييتس:

يظهر لي أننا نشبه ديكاً جباناً لا أصالة له، إذ قد قفزنا وابتعدنا عن الموضوع، لنُشيدَ بأي الظفر قبل الانتصار. وكيف ذلك؟

سقراط:

إننا اقتدينا بأهل المشاحنة، عندما توافقنا وأذعن الواحد للآخر بناء على اتفاقات لفظية، وتفوق أحدنا مثل هذا التفوق في النقاش واكتفينا بذلك ومع زعمنا أننا لسنا بمصارعين بل فلاسفة، فقد فاتنا أننا نتصرف عین التصرف الذي يتصرفه أولئك الرجال الأشداء.

ثييتس:

سقراط:

d

لست أفهم بعد ماذا تقصد.

ثييتس:

إنني سأحاول أن أوضح لك فكري بهذا الشأن. لقد رحنا نتساءل: "من تعلّم شيئاً ولبث يذكره ألا يعرفه؟" وبعد أن بينّا أن من رأى شيئاً وأغمض عينيه لا يبرح يذكره وإن لم يعد يراه، أثبتنا أنه لا يعرفه مع تذكره إياه. وعلى هذا

سقراط:

النحو تلاشى حديث أبروتغورس الخرافي، وهلك معه
حديثك الزاعم أن العلم والإحساس شيء واحد بعينه.
يظهر ذلك.

ثييتس:

غير أنني أعتقد يا عزيزي، أن ذاك الحديث ما كان
ليهلك، ولو أن أباه حي. إذن لصدّ عنه ضربات كثيرة. إلا
أننا في هذه اللحظة نمرّغ يتيماً في الحمأة. إذ حتى
الأوصياء الذين أقامهم عليه أبروتغورس، وثؤذرس هذا
أحدهم، لا يشاؤون إغاثة. لكننا نحن على وشك إغاثة،
في سبيل الحق.

سقراط:

ألا يا سقراط، لست وصياً على أبناء ذاك الرجل
العظيم، وإنما كليّس بن هبونكس. فنحن قد تحوّلنا في
شيء من السرعة المفرطة، عن الدراسات المجردة، وملنا
إلى الهندسة. غير أننا نحفظ لك جميلك إن نهضت
لإغاثة.

ثؤذرس:

a160

قول جميل، يا ثؤذرس. تفحص إذن نجدتي. إذ قد
يوافق، من لا يتبّه لألفاظي، على قضايا أخطر وأرهب
من السالفة. وهذا الطيش ألفتاه غالباً في تأكيدنا
ونفيها. فهل أشرح لك من أي باب أنجده وأغيثه، أو
أشرحه لثييتس؟

سقراط:

لنا نحن الاثنين إذن متشاركين. ولكن فليجب أصغرنا،
لأنه إذا زلّ، يخلج خجلاً أقل.

ثؤذرس:

b

فها أنذا أطرح أخطر سؤال. وهو فيما أظن من هذا
النوع: "أفي وسع من يعرف بالذات أن لا يعرف ما
يعرفه؟".

سقراط:

يا ثييتس، بماذا نجيب يا ترى؟

ثؤذرس:

ثييتس:

أنا من جهتي أعتقد أن الأمر مستحيل على وجه من الوجوه.

سقراط:

كلا ليس بمستحيل إن فرضت أن الرؤية هي المعرفة، إذ كيف تتخلص من سؤال لا مناص منه، وأنت مقيد في جبّ على قول المثل، حيث يسألك رجل صنيدي، فيطبق بإحدى يديه على عين من عينيك، ويستفهم هل ترى ثوبه بالعين المغلقة؟

c

ثييتس:

أقول فيما أعتقد، إنني لا أراه بهذه العين، بل أراه بتلك الأخرى.

سقراط:

فأنت إذن ترى ولا ترى في آن واحد.

ثييتس:

على هذا النحو على الأقل.

سقراط:

لكنه يعترض ويقول: "أنا لم أطلب شيئاً من هذا. ولم أسأل عن كيفية الأمر. وإنما أسأل: "هل أنت لا تعرف هذا الأمر الذي تعرفه^(١)؟ فالآن ما لا تراه يبدو عليك أنك تراه. وقد وجدتَ موافقاً على أن الرؤية هي العلم وأنّ امتناع الرؤية هو امتناع العلم. ففكّر إذن بما ينجم لك عن هذه المعطيات.

d

ثييتس:

إنني لأحسب أنه ينجم عنها نقائص ما فرضتُ.

سقراط:

وربما، يا صاحبي العجيب، عانيتَ أكثر من هذه المعاكسة، إذا ما أردف الخصم وشرع يسألك إن كان هناك ضرب حادّ متوقّد من المعرفة وضرب رخو مهلهل.

(١) إن المناقش نقاش مشاحنة، وأسئلته برمتها فخاخ وأحاييل، لا يقبل من مساجله أن يستوضح السؤال أو أن يميز في جوابه. انظر بهذا الصدد ما دار بين أفثيذمس وسقراط من نقاش، (افثيذمس ٢٩٥b - ٢٩٦d). ولقد نعثر على كل عناصر منطق السفسطة، مبعثرة في كتابات أفلاطون.

وإن كان المرء يعرف عن كُثْبٍ ولا يعرف عن بعدٍ. وإن كانت هنالك معرفة عنيفة ومعرفة ناعمة، ماعدا عشرة آلاف معرفة أخرى، قد يسألك عنها أحد المشاة الخفاف المأجورين في حرب المناقشات الكلامية. وعندما تفرض أن العلم والإحساس شيء واحد بالذات، فقد يندفع إلى مجال السمع والشم، وما إليهما من إحساسات مماثلة. وقد يدحضك ولا ينفك يضيق عليك، ولا يفرج عنك قبل أن تذهل من حكمته غاية الذهول، وتقع في إشراكه. وعندئذ فقط بعد وقوعك في يديه مغلولاً مكبلاً، قد يُطلق سراحك بفدية مالية تتفق معه عليها. ولعلك تقول: وأي رد إذن ملائم قد يدافع به ابروتغورس عن بنات أفكاره؟ وهل نحن نحاول (أن ندافع عنها) برداً ما آخر^(١)؟

فعلاً هذا بالضبط ما قد أقوله.

ثبیتس:

البحث الثالث: ابروتغورس يدافع عن نفسه

سقراط: غير أن ابروتغورس يحمل، فيما أعتقد، حملة عنيفة على كل ما نقوله في الدفاع عنه، مستخفاً بنا وقائلاً: "إن سقراط الطيب هذا قد جعلني أضحكة في كلامه، عندما سأل غلاماً فتياً: هل يمكن المرء عينه في آن واحد أن يتذكر شيئاً ما وأن لا يعرف هذا الشيء عينه؟

a 169

(١) دفاع ابروتغورس عن نفسه لن يكون مجرد محاكاة أدبية، بل سيكون نفحة ابروتغورية أعيد سبكها وجوّت. وسوف يقول سقراط فيما بعد، d- e 171، إنه رسم لمؤازرة ابروتغورس خطوط دفاع تستطيع فيها قضيتته الصمود بأوفر ما يمكن من ثبات. وفي معنى رسم راجع *υπογραφειν* راجع ابروتغورس d326.

فيخاف الفتى، ولخوفه ينفي تلك الإمكانية لأنه لا يستطيع أن يرى أبعد من أنفه. أما الواقع، يا سقراط المتهاون جداً، فهو على النحو التالي:

عندما تمحّص إحدى كلماتي على طريقة الاستفهام، فإنّ أجباب المسؤول بعبارات هي بالضبط ما قد أجيب به، وزلّ في جوابه، فالمدحوض هو المسؤول إذ هل تعتقد أن المرء يتسامح معك، ويوافق فوراً أن ذكرى ما ينفع به تلبث حاضرة لديه عندما لا يعود ينفع، وأنها انفعال ما يماثل تأثره وقت الانفعال؟ ولكن هيهات أن يكون الأمر على ما تعتقد. ثمّ أعتقد أن أحداً قد يتردّد في الاعتراف بأن المرء نفسه يمكنه أن يعرف الشيء عينه ولا يعرفه؟ وإن تورّع عن اعتراف كهذا، أيسلم لك يوماً ما أن الشخص المتحوّل هو الشخص عينه قبل أن يتحوّل ويتغيّر. أو بالأحرى إذا حدث اللاتماثل أو التغير، أيسلم لك أن يكون المتغيّر فلاناً وليس فلانات، قد يغدو عددهم بلا حصر، إن ترتّب علينا، نحن مطاردي الألفاظ، أن نخشى الواحد جانب الآخر؟ ويردّف ابروتغورس: ألا يا سعيد الطالع، أقدم بشهامة على ما أقوله بالذات، إن استطعت، وبرهن برهاناً معقولاً أن الإحساسات ليست خاصة في حدوثها بكل واحد منا، أو إذا حدثت وهي خاصة بكل منا، إن ذلك لن يضيف إليها جديداً، وأن ما يظهر يحدث فقط لكل منا بمفرده، أو إن وجب ذكر الوجود، أن ما يظهر لا يكون ولا يوجد، إلا لمن يظهر بالذات.

وحين تتكلم عن الخنازير والقردة المسماة رؤوس الكلاب، فأنت تتصرف كالخنازير ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل تحمل سامعيك وتحضّهم على التصرف عينه إزاء

b

c

d

كتاباتي. وهذا عمل سيء. إذ أنني أؤكد أن الحقيقة هي على ما كتبتُ عنها: فإن كل واحد منا هو معيار ما يوجد وما لا يوجد. مع أن الواحد يختلف عن الآخر عشرة آلاف مرة، لهذا السبب بالذات، وهو أن الأشياء هي متغايرة متباينة من واحد إلى آخر، وتظهر لهم كذلك.

وأنا بعيد كل البعد عن إنكار وجود الحكمة والحكيم. غير أنني أدعو حكيماً ذاك الرجل بالذات الذي يحوّل من شر إلى خير ما هو شر وما يبدو لأحدنا شراً، ويجعله يظهر لنا خيراً، فيكون في الواقع خيراً.

ثم تعقّب ولاحق معنى كلامي لا لفظه. وأدرك بجلاء أوفر على النحو الآتي ما أعني قوله. تذكر مثلاً ما قيل فيما قبل، وهو أن ما يأكله المريض يبدو له مرّاً وهو له كذلك في الواقع. وما يأكله المعافى السليم هو في الواقع معاكس ويبدو للمعافى كذلك^(١). ويجب في هذه الحال أن لا نطلق على المضنى لقب جاهل لأنه يرتئي هذا الرأي، ولا على السليم المعافى لقب حكيم لأنه يرى رأياً آخر. وإنما لا بد من تحويل العليل من حال إلى حال، لأن الحالة الأخرى هي أفضل. وعلى النهج عينه، لا بد في التربية من أن تحوّل عن تلك الحالة السيئة إلى الحالة الفضلى. أما الطبيب فهو يحوّل بعقاقيره من حال إلى حال، وأما السفستي فبأقواله^(٢). إذ ما من أحد حمل من يرتئي رأياً فاسداً على أن يرتئي فيما بعد رأياً صحيحاً. لأنه

e

a ١٦٧

(١) انظر في ما سبق، المقطع ١٥٩ c-d.

(٢) راجع من المقدمة ف ٣ م ١ ب ٢. وقابل برواية هليني لغريغيس ٨: ١٣ و ١٤.

يستحيل على المرء أن يرتئي ويتخيل ما لا يوجد. كما يستحيل عليه أن يتوهم غير ما يعاني منه وينفعل به. وما ينفعل به هو دوماً واقعي وصحيح. لكنني أعتقد أن من يتوهم بسبب استعداد سيء في النفس ويتخيل ما يجانس ذاك الاستعداد، قد يحمله آخر باستعداد جيد على تخيل وظنّ خيالات وظنون جيدة. ومما لا ريب فيه أن البعض لقلّة خبرتهم قد دعوا تلك الخيالات صادقة واقعية. أما أنا فأحسب بعض تلك الخيالات أفضل من بعضها الآخر، ولا أعده أكثر صحة وواقعية.

b

ثم إنني بعيد جداً، أيها العزيز سقراط، عن تسمية الحكماء ضفادع فإن اعتنوا بالأجساد ادعوهم أطباء. وإن اعتنوا بالفرس والزرع ادعوهم فلاحين. إذ أصرّح أن هؤلاء الفلاحين يؤتون الأغراس وينشؤون فيها عندما يعتلّ أحدها، بدّل الإحساسات والاستعدادات السيئة، إحساسات واستعدادات صالحة سليمة أما الخطباء الحكماء الطيبون فهم يحملون الدول على اعتقاد التدابير والأنظمة الصالحة عادلة، عوضاً عن التدابير والأنظمة الطالحة. لأن ما يبدو منها لكل دولة عادلاً وجميلاً هو لها ذلك، مادام اعتقادها به هذا الاعتقاد. وبناء على هذا التفكير عينه، فالسفستي القادر على أن يرشد وينشئ الطلاب هذا الإرشاد وهذه التنشئة، هو حكيم وجدير أن يتقاضى طلابه أموالاً طائلة.

c

d

وعلى هذا النحو فالبعض هم أحكم من البعض الآخر. ولا أحد منهم يرتئي خاطئاً أو فاسداً. وعليك أن تحتمل، شئت أم أبيت، أن تكون معياراً. إذ قد لقيت قضيتنا هذه

الخلاص والنجاة في مثل هذه الاعتبارات. وإن حق لك وتمكنت أن تناقشها وترتاب منها منذ البداية، فناقشها واهزم الخطاب بالخطاب. وإن رمت أن تناقشها عن طريق الاستفهام، فناقشها بالسؤال والجواب. إذ على من له ذهن ثاقب أن لا يتجنب ولا هذه الطريقة. بل عليه أن يتبعها أكثر من جميع الطرائق. ولكن النهج المنهج التالي وهو أن لا تظلم وتأنم في السؤال. إذ من يدعي أنه يصرف همه إلى الفضيلة، ولا يعبأ لها البتة، بل يظل ظالماً في أقواله، فتصرفه هذا تتكرر كبير للعقل والمنطق. والظلم في هذا المقام في موقف المرء من المحادثة، عندما لا يفرق بين حديث الجدال والخصومة وحديث المحاورة^(١). ففي الواحد يسخر من الخصم ويعثره قدر المستطاع. وفي الآخر يجد في التنازع ويصلح المتنازعين، ولا يريه من عثراته إلا ما وقع فيه من تلقاء ذاته أو بسبب مخالطات سابقة. لأنك إن انتهجت هذا النهج، فمجالسوك يؤخذون أنفسهم على اضطرابهم وقلة اطلاعهم، ولا يلومونك أنت^(٢). وإنما يجدون في إثرك ويكنون لك الود ويبغضون ذواتهم ويتهربون من أنفسهم ليلوذوا بالفلسفة، فيغدون أناساً آخرين ويتخلصون من

a ١٦٨

(١) في البروتغورس b٣٣٦، سقراط هو القائل: "لقد دار في خلدي أن محادثة يتجاذب أطرافها الجماعة، وخطاباً يلقي على الجمهور، هما شيان مختلفان".

عن ترجمة بودان وكروازه A. Groiset- L. Bodin.

(٢) تلميح إلى ما كانت انتقادات سقراط تثير من سخط لدى خصومه. راجع دفاع سقراط ٢٣.

شخصياتهم السابقة^(١). وإن نهجتَ نهجاً معاكساً، نظير
أغلب الناس، لقيتَ نتائج معاكسة، وعوضاً عن محبة
الحكمة حملتَ جلساءك على بغضها والتتكر لممارستها
عندما يكبرون.

b

إن أذعنتَ إذن لما أسديتُ لك فيما قبل من نصح، تجلس
للتفحص، لا بروح الحقد والسخط ولا بروح التخاصم
والتعارك، بل بنية سمحاء رحيمة، ما عسانا نقول في
الواقع عندما نصرح أن الأشياء طراً في حركة وأن ما
يبدو لكل أحد، فرداً أكان أم دولة، هو أيضاً واقعه
الحقيقي. وانطلاقاً من هذه الاعتبارات نتقصي أيضاً
أثر العلم والإحساس إن كانا شيئاً واحداً بعينه أم شيئين
متغايرين، ولكن على طريقة غير الطريقة المتبعة منذ
فترة، المبنية على تآلف الألفاظ والأسماء. لأن أكثر
المجادلين يتجاذبون على هواهم، ويخبطون فيها خبط
عشواء، ويخلقون الواحد للآخر ألواناً من الحرج ومن
المصاعب المستعصية المغلقة، هذا ما اصطنعناه، يا
ثؤذرس، لإسعاف صاحبك على قدر طاقتنا. وهو نذر
من نذر. إلا أنه لو كان حياً لأنجد نجدة أوفى بنات
أفكاره.

ثؤذرس:

إنك تمزح يا سقراط، إذ قد أغثت الرجل وأنجדתه بحمية
الشباب.

سقراط:

أجدتَ في القول يا صاح فأجبني: هل تنبّهت لكلام

(١) سوف يصف السفسطي ٢٣٠ b-c، فوائد الدحض. ترجمة الأب فؤاد جرجي
بربرة، طبعة وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٩.

ابروتغورس وتعبيره إيانا منذ لحظة بأننا نتحدث إلى غلام فتى، وأنا نكافح أفكاره بخوف هذا الغلام، داعياً فعلنا ضرباً من المرح والمداعبة، وإذ أسبغ على "معيار كل شيء" جلباباً من الوقار، كيف حثنا على الدأب بجدّ لاستشفاف قضيته؟

ثئوذرس:

وكيف لا أتعبه، يا سقراط؟

سقراط:

فما بالك؟ ألا تكلفنا بأن ننقاد له؟

ثئوذرس:

بكل إلحاح وأيم الحق!

سقراط:

ترى إذن أن هؤلاء الغلمان برمتهم هم صبية، ما عداك. وفي الحال هذه، إن أذعننا لرجلنا، ترتب عليّ وعليك أن نتساءل ونتجاوب نحن الاثنان وندأب جاهدين في تفحص قضيته، كي لا يتمكّن مرة ثانية من أن يأخذ علينا أننا استقصينا قوله ونحن نداعب مراهقين ونسخر منهم.

ثئوذرس:

ولكن ما بالك؟ أليس في إمكان تثبيتس أن يتتبّع القضية إبان تمحيصها خيراً من كثيرين قد أرخوا لحى شمطاء؟

سقراط:

بيد أنه لن يتتبّعها خيراً منك، يا ثئوذرس. فلا تعتقد إذن أنه يتوجّب عليّ أن أذود عن صاحبك الراحل بكل وسيلة، وأنه لا يترتب عليك شيء من هذا. فهياً أيها الجزيل الفضل، وجارنا قليلاً على حيث نتعرّف فقط، هل ينبغي لك يا ترى أن تكون معياراً في ما يمتّ على الأشكال الهندسية، أو الجميع نظيرك يكفون أنفسهم في علم الفلك والعلوم الأخرى التي تملك فيها ما يبرّر تفوّك؟

ثئوذرس:

ليس بسهل، يا سقراط، أن يجالسك المرء ويمتّع عن الرد عليك. غير أنني كنت أهذي منذ لحظة، لما صرّحت

b

أَنكَ سَوْفَ تَعْفُ عَنِّي وَلَا تَضْطَرُّنِي إِلَى التَّعْرِیِّ، نَظِيرَ أَهْلِ
لَكَذِبِمْ. وَلَكِنْ يَتَهَيَّأُ لِي بِالْأُحْرَى أَنَّكَ تَقَارِبُ اسْكِيْرُنْ.
فَالْإِسْبَرَطِيَّوْنَ أَهْلٌ لِّكَذِبِمْ يَأْمُرُونَ الْمَرْءَ أَنْ يَمْضِيَ فِي
سَبِيلِهِ أَوْ أَنْ يَتَعَرَّى وَأَمَّا أَنْتَ فَيَبْدُو لِي أَنَّكَ تَتَصَرَّفُ
تَصَرَّفَ أَنْتِيْسْ. فَلَا تُطْلُقِ الْمُقْتَرَبَ مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَضْطَرَّهَ
إِلَى التَّعْرِیِّ وَدُخُولِ حَلْبَةِ الْمَصَارَعَةِ الْكَلَامِيَّةِ^(١).

سقراط:

لَقَدْ صَوَّرْتُ، يَا ثُثُودَرْسُ، دَائِي وَشَخْصَتَهُ خَيْرَ تَشْخِيصٍ.
إِلَّا أَنَّنِي أَشَدُّ بِأَسْأَ مِنْ أَوْلَئِكَ الصَّنَادِيدِ الْمَشَارِ إِلَيْهِمْ إِذْ قَدْ
اعْتَرَضْنِي إِلَى الْآنَ عَشْرَةُ آلَافٍ هِرْكَلسَ وَثِسْفِسَ مِنْ
الْمُتَمَرِّسِينَ فِي الْجَدَالِ، وَقَارِعُونِي بِكُلِّ بِأَسَ، فَصُمَدْتُ لَهُمْ
وَلَمْ أَقْلَعْ عَنِ الْعِرَاكِ، لَشَغْفِي الْمَشْبُوبِ وَوَلْعِي بِالرِّيَاضَةِ
الْجَدَلِيَّةِ. فَلَا تَمْنَعْنِي عَنِ الْإِفَادَةِ مِنْهَا، وَلَا تَمْنَعْ نَفْسَكَ
أَيْضاً بِامْتِنَاعِكَ عَنِ الْمُبَارَزَةِ.

c

ثُثُودَرْسُ:

لَا أَخَالَفُكَ بَعْدَ. أَلَا سَرَبِي فِي أَيِّ اتِّجَاهٍ تَشَاءُ. إِذْ لَا بَدَّ لِي
مِنَ التَّسْلِيمِ لِلْقَضَاءِ الْمُحْتَوَمِ، الَّذِي تَحِيكُهُ لِي بِهَذَا الصَّدَدِ،
وَمِنَ الاسْتِهْدَافِ لِنَقْدِكَ. وَلَكِنْ لَنْ يَكُونَ فِي وَسْعِي أَنْ أَضْعَ
نَفْسِي تَحْتَ تَصَرُّفِكَ إِلَى أَبْعَدَ مِمَّا سَبَقَتْ وَرَسَمْتَ.

سقراط:

أَجَلٌ حَسْبُنَا أَنْ نَبْلُغَ ذَاكَ الْحَدِّ. وَاسْهَرْ لِي جَيْداً عَلَى هَذِهِ
النَّقْطَةِ الْخَطِيرَةِ، وَهِيَ أَنْ نَسْهَوَ وَنَسْتَسْلِمَ إِلَى ضَرْبِ
صَبْيَانِي مِنَ الْبِرَاهِينِ، فَيَعُودَ أَحَدُهُمْ وَيُعَيِّبُنَا بِذَلِكَ.

d ثَثِيْتَسُ:

أَلَا طَبَّ نَفْساً، سَأُحَاوِلُ السَّهْرَ جَهْدَ الْمُسْتَطَاعِ.

(١) إن المقارنة تجرّ ذيولها وتتكّرر: فمعلم الرياضيات المسنّ، مع كل فصاحته
في إطراء تلميذه، أشبه بالتائه في هذه المحاوره. وهو أخاذ في حال يدعو موقفه
إلى الهزل والدعابة.

المطلب الثاني

محاولة نقد ثانية

البحث الأول: أبرتغورس يعترف بصحة الرأي الذي يعصف برأيه

سقراط:

فقبل كل شيء إذن لنعاود موضوعنا، ولنتناوله بالبحث من حيث باشرناه سابقاً. ولنرَ هل كنا على صواب أم لا في حنقنا من القضية، ولومنا إياها بأنها راحت تجعل كل فرد مكتفياً بذاته من حيث الإدراك والفهم. ولقد سلّم لنا ابروتغورس ان الناس متباينون من جهة الفضل والسوء، وأن البعض أفضل والبعض أسوأ. وأن أولئك هم الحكماء. أليس كذلك؟

ثئوذرس: بلى.

e سقراط:

والحال أنه لو كان ماثلاً نفسه فيما بيننا، واعترف هو بذاته لا نحن الذين سلمنا بذلك بدلاً منه في إغاثتنا له، لما وجب علينا الرجوع إلى مسلماته لتدعيمها. أما الآن فقد يجردنا أحدهم، وهذا وارد، من صلاحية الموافقة باسم صاحبنا الكبير ذاك. ومن ثمة يجمل بنا جداً أن نستوضح استيضاحاً أوفى ما اتفقنا عليه معه بهذا الصدد. إذ ليس الفارق بزهد أن يكون اتفاقنا على نحو أو آخر، أي أن يكون صادراً عنا فقط، لا عنا وعنه.

ثئوذرس: تقول قولاً صائباً.

سقراط:

فلنستمدّ الموافقة إذن لا من جهات أخرى، بل من كلام صاحبنا بالذات، بناء على أن هذا المنهج هو أوجز المناهج.

a ١٧٠

ثئوذرس: وكيف تسلك هذا المنهج؟

سقراط:

على النحو التالي. إنه يؤكد تقريباً أن ما يبدو لكل أحد هو الواقع الحقيقي أيضاً لمن يبدو له. فعلاً إنه يؤكد هذه القضية.

ثُودُرس:

سقراط:

b

إذن يا ابروتغورس، نحن أيضاً نعبر عن آراء إنسان. أو بالأحرى عن آراء جميع الناس. ونؤكد أن أي امرئ يحسب نفسه في بعض الأمور أحكم من الآخرين، ويحسب الآخرين في بعض الأمور أحكم منه. والناس في أشد المخاطر، في الحملات والأسقام والإشتاء وسط البحار، يعدّون المتفّذين في كل تلك الأحوال آلهة، ويتوقّعون الخلاص على أيديهم، وما ذلك لتفوّق آخر سوى تفوّق المعرفة^(١). وأحوال البشر برمتها تقريباً تفصّ بمن يبحثون عن معلمين وزعماء يشرفون عليهم وعلى الأشياء الحية الأخرى وعلى الأعمال، ممن يُحسبون مرة أخرى أهلاً لأن يعلموا ويتزعموا. ففي هذه الظروف كلها، ماذا نؤكد من أمر سوى أن البشر بالذات يعتقدون أن الحكمة والجهل قائمان لديهم؟

ثُودُرس:

لا شيء سوى ذلك.

سقراط:

فهم يعتقدون إذن أن الحكمة فكر صائب واقعي، وإن اللامعرفة رأي خاطئ؟

c ثُودُرس:

ولم لا؟

(١) قابل بما ورد لدى اكسنفون في أحداثه الجديرة بالذكر ٣ : ٩ : ١٠ - ١٢. فهو يبرهن بتعداد أحوال وظروف مختلفة: كحالة البحر أو صاحب الحقل أو المصاب بداء وما إلى ذلك، أن اللامتخصص ينشط دوماً ويسارع إلى استدعاء صاحب التخصص. وهذه الموضوعات المطروقة في السقراطية تتخذ دائماً عند أفلاطون شكلاً أكثر بروزاً.

سقراط:

فأية فائدة إذن، يا ابروتغورس، من قولك وقضيتك؟
أندعي أن البشر يرتوون دوماً آراء صائبة، أم هم يبدون
تارة آراء صحيحة، وتارة آراء كاذبة؟ إذ قد ينجم عن كلا
الادعائين أنهم لا يرتوون دوماً آراء صائبة وإنما هذه
وتلك. وفعلاً تفحص يا ثوذرس، هل ينبغي أحد من
حاشية ابروتغورس، أو هل تبغي أنت نفسك أن تكابر
وتدعي أنه ما من أحد يحسب غيره جاهلاً ويعتقد أنه
يرتئي آراء خاطئة.

ثوذرس:

الأمر لا يُصدق، يا سقراط.

d سقراط:

ومع ذلك فقد أدت القضية الزاعمة أن الإنسان معيار
الأشياء طراً، إلى هذه الضرورة الحتمية.

ثوذرس:

وكيف ذلك؟

سقراط:

عندما تبدي في ذاتك حكماً حول موضوع ما، وتبدي لي
رأيك فيه، فلنفرض بناء على قول صاحبنا الكبير، أن
رأيك هو لك الواقع الصحيح. ولكن ألا يتاح لنا نحن
الآخرين أن نقضي في الموضوع، أم نحكم دوماً أنك ترتأي
آراء صائبة؟ أم عشرة آلاف حكم يناهضونك كل مرة،
ويعارضون رأيك معتقدين أنك تحكم أحكاماً زائفة
وتعتقد اعتقادات وتصوّرات باطلة؟

ثوذرس:

بحق زفس، يا سقراط، عشرات وعشرات من ألوف
البشر، يقول هومرس، يهبون ليخلقوا في وجهي المشاكل.

سقراط:

فماذا ترى إذن؟ أترؤم أن نزعّم أنك في تلك الحال ترتأي
لنفسك آراءً صحيحة واقعية. وترتأي لعشرات الألوف
آراءً واهية وهمية؟

ثوذرس:

يبدو أن هذه ضرورة حتمية، اللهم بناء على ذلك القول.

١٧١ a سقراط: وماذا يحدث لابروتغورس نفسه؟ ألا تفرض الضرورة أن لا تكون الحقيقة، التي دبّجها ذاك العبقرى، حقيقة لأحد إن لم يعتقد هو نفسه أن الإنسان هو المعيار، ولم تعتقد ذلك الأكثرية، وهي لا تعتقده؟ ولكن إن اعتقد هو هذا الاعتقاد، والجمهور لم يعتقد معه، فاعرف أولاً أنه بمقدار ما يربو عدد من لا يرون هذا الرأي على عدد الذين يرونه، بهذا المقدار عينه تزداد لواقعية ذلك المبدأ على واقعيته.

ثئوذرس: تفرض الضرورة ذلك، لاسيما إن كان وجوده الواقعي أو لا وجوده متعلقاً بكل رأي.

سقراط: هذا، والنتيجة التالية هي أظرف ما في الأمر. فصاحبنا إذ يعترف أن الجميع يرتؤون أشياء واقعية موجودة، يسلم بالفعل نفسه أن اعتقاد المعارضين اعتقاده، وبه يحسبون أن ابروتغورس مخطئ متوهم، هو اعتقاد صحيح.

b ثئوذرس: صحيح فعلاً كل الصحة.

سقراط: فقد يسلم إذن أن اعتقاده هو خاطئ فاسد، إذا اعترف أن اعتقاد من يعدّونه مخطئاً اعتقاد صائب صحيح؟
ثئوذرس: بحكم الضرورة.

سقراط: لكن الآخرين لا يسلمون لذواتهم بأنهم مخطئون؟

ثئوذرس: فعلاً إنهم لا يسلمون.

سقراط: بيد أن صاحبنا يعترف أيضاً بكتاباته أن هذا الرأي صحيح صائب.

ثئوذرس: هذا ما يظهر.

سقراط: فالجميع إذن بدءاً من ابروتغورس سوف يرتابون بقضيته.

لا بل هو نفسه سوف يعترف بنقيضها، عندما يسلم
لمناقضه أنه يرتئي رأياً صافياً. وعندئذ سيسلم
ابروتغورس نفسه أن الكلب أو أي إنسان نلقاه لن يكون
معيار أي شيء، ما لم يتعلمه. أليس كذلك؟
كذلك.

ثئوذرس:

وبما أن الجميع يرتابون في القضية فلن تكون حقيقة
ابروتغورس حقيقية لأحد، لا لغيره ولا له بالذات.
إننا نطارد، يا سقراط، صاحبنا مطاردة عنيفة.

سقراط:

ثئوذرس:

وإنما ليس بجلي، يا عزيزي، إن كنا نلاحقه على السراط
القويم. إذ يُحتمل ولا شك أن يكون أحكم منا، بما أنه أكبر
سناً. وإن فاجأنا وأطلّ برأسه حتى العنق من ههنا،
فلربما يحجّنا نحن الاثنين بأنني أهدر فيما يبدو، هذراً
وافراً، وبأنك أنت توافق على ما أهرف. ثم يتوارى في
الثرى ويمضي مُجَلَّوْزاً. فالضرورة تقضي منا أن نستفيد
من مواهبنا على ما نحن، وأن نعبر دوماً عما يخطر
ببالنا. ومن ثمة أنؤكد في هذه الساعة شيئاً آخر سوى أن
أي امرئ يعترف بهذه الحقيقة، وهي أن الواحد أحكم من
الآخر وأن البعض أجهل من بعض آخر؟
هذا رأيي ولا ريب فيه.

سقراط:

ثئوذرس:

ومما لا ريب فيه أيضاً أن القضية قد تثبت أعظم ثبات، من
ناحية رسمناها نحن في إغائتنا ابروتغورس، وقلنا فيها إن
الأشياء الحارة والجافة والعذبة وكل ما مت إليها من هذا
الصنف جملة، يكون في واقع كل أحد، على ما يبدو له.
ولكن إن سلم امرؤ في مضمار ما بأن الواحد يباين الآخر
ويتفوق عليه، فقد يبغي التسليم بذلك في مجال الأمور

e سقراط:

الصحية والمرضية، فيؤكد أن كل نسيئة ليست جديرة بأن
تداوي نفسها وتعرف ما يوفر لها الصحة ويعافيتها، ولا أي
طفل خليق بذلك أو أي دويبة. ففي هذا المضمار يفوق
الواحد الآخر إذا ما فاقه في مضمار ما.

١٧٢a ثؤذرس: يبدو لي أن الأمور على ما بينت.

سقراط: إذن في مجال النظرات السياسية أيضاً، ما تحسب كل دولة

من تلك النظرات جميلاً أو قبيحاً، عادلاً أو ظالماً، مقدساً أو
نجساً ورجساً، فذلك يعدّ عندها شرعاً ويكون لها ذلك في
الحقيقة. وفي هذه الأمور ما من فرد أحكم من فرد، وليس
من دولة أحكم من دولة. ولكن في مجال افتراض الأمور
العائدة عليها بالمنفعة أو المضرة، إذا ما وجب الاعتراف
بالتباين، ففيه يجب الاعتراف أن مشيراً يفوق مشيراً، وإن رأي
دولة يبذ رأي أخرى صدقاً وسداداً. وليس من أحد ليجرؤ
ويدعي أن ما قد تحسبه دولة نافعاً وتضعه لها شرعاً، يأتيها
بالنفع أكثر من أي شرع آخر.

b

غير أن من يريدون أن يكابروا، يكابرون في المضامير التي
تكلمت عنها، مضامير الأمور العادلة والغاشمة والمقدسة
والنجسة، وينفون بحزم أن يكون شيء منها قد أحرز بالطبع
وجوده الخاص. وإنما يؤكدون أن ما تراه الجماعة يغدو لها
آنذاك صحيحاً وواقعياً، عندما تراه وما دامت تراه. أما كل
الذين لا يقولون قول ابروتغورس، ولا يأخذون به من جميع
وجوهه، فهم يسلكون في حكمتهم المسلك المشار إليه. ولكن يا
ثؤذرس، ما نكاد نخلص من برهان إلا ويشبكنا آخر، ونسير
من حديث أصغر إلى حديث أكبر.

c

ثؤذرس: أفلا نتمتع بمتسع من الوقت، يا سقراط؟

البحث الثاني

الفيلسوف وحكماء هذا العالم

سقراط:

يبدو أن لنا متسعاً منه. وقد فكرت مراراً أيها السعيد الطالع، وبدواعٍ أخرى في موضوع يعاودني الآن. وهو أن الذين انصرفوا زمناً طويلاً إلى الدراسات الفلسفية، إن قصدوا المحاكم، يحتمل أن يظهروا فيها خطباء يثيرون السخرية^(١).

ثئوذرس:

ماذا تعني الآن بالضبط؟

سقراط:

يكاد الذين تقبلوا منذ حادثتهم في مناصب القضاء وما إليها، أن يكونوا في منزلة الخدم والحشم، إذا ما قيسوا بمن تنشؤوا تنشئة فلسفية وما يماثلها من تنشئة، تليق بالأحرار.

ثئوذرس:

من أية ناحية يا ترى؟

سقراط:

من جهة أن التفرغ الذي تتكلم عنه متوفر لهم على الدوام، ومن جهة أنهم ينقطعون إلى محادثاتهم على هيئتهم وفي جو من الهدوء، على ما نفعل نحن في هذه اللحظة، إذ قد تداولنا الحديث ثلاث مرات إلى الآن. وأولئك الفلاسفة أيضاً إن راقهم حديث طارئ، كما قد يروق لنا، أكثر من الموضوع المطروح للبحث، فلا يهتمهم أن يخوضوا فيه طال أم قصر. وإنما همهم الوحيد أن يعثروا فيه على واقع الوجود.

(١) راجع حوار غرغيس ٤٨٤ c-e، والجمهورية ٥١٧ d، ومن المقدمة الفصل ٣: ١: ٢ الفقرة ٢.

أما الذين يتكلمون وهم في تشاغل دائم - لأن الماء الجاري (من الساعات المائية) يستحثهم^(١) - فلا مجال لهم أن يتحدثوا حتى عن أمور يودّون التحدث عنها. فالخصم واقف لهم بالمرصاد يحشرهم بحكم الضرورة، وبعريضة يقرأ عليهم بنودها، فلا يحق لهم أن يتجاوزوها في ردهم. وهذا ما يسمونه "القَسَمَ المقابل". أما خطاباتهم فلا تدور إلا حول ما أثار نظراؤهم في العبودية، بحضرة متسلط عليهم، جالس ليقضي بينهم، ممسك في يده بشكوى. ونزاعاتهم لا تتجاوزها إلى موضوع آخر، بل تنحصر فيها على الدوام. ورهان السبق غالباً هو الحياة بالذات. ومن ثمة يغدون بحكم هذه الظروف كلّها، أشداء عنيفين ذوي التواء واحتيال، عارفين مدالسة سيدهم بالقول، واستمالته بالفعل، حقيرين صغيري الأنفس لا استقامة لديهم. لأن استرقاقهم منذ حدثهم قد حال دون نموهم وحرمتهم النزاهة والحرية، واضطرهم إلى سبل معوّجة، ورماهم ونفوسهم غصة بعد في مخاطر جسيمة ومخاوف رهيبة. وإذ لم يقدرُوا أن يصمدوا لها بالحق والحقيقة، ومالوا إلى الكذب ومقابلة بعضهم بعضاً بالجور والظلم، فتقوقعوا جداً وتهشّموا. ومن جرى لهم ذلك لم يحتفظوا في كفرهم بأي قدر من العافية وانتهوا بعد اليافع إلى الكهولة، وقد أمسوا في اعتقادهم ذوي بطش وحكماء. فهذه هي حال أولئك العبيد يا ثوذرس.

أما أصحابنا وأعضاء فرقتنا الفنيّة الفلسفية، فهل تريد أن

a ١٧٣

b

(١) راجع أدعياء الحكمة لألكزامس فقرة ١١ حيث يقول: عندما يأخذ الماء في الانسياب فليس الألوان عندئذ أوان التأمل. فعلينا أن نكون متأهبين، لأن غيرنا هم أرباب الساعة.

نستعرض حالهم أم أن نخلي سبيلهم، لنميل مرة أخرى إلى موضوع حديثنا، كي لا نبالغ ونفرض في الإفادة من حريتنا وتبديل الأحاديث، على ما رحنا نقول منذ لحظة؟

c ثؤوذرس:

لا ندعهم يا سقراط، ولا بصورة من الصور ينطلقون بل فلنتعرض أوضاعهم لأنك قد أجدت جداً في قولك السالف، وهو أننا نحن المنتمين إلى مثل هذه الفرقة لسنا خدّام الأحاديث، بل الأحاديث هي لنا بمثابة خدم وحشم. فيتريث كل منها ما طاب لنا حتى تنتهي منه. لأنه لا يقف تجاهنا، كما يقف إلى جانب الشعراء، وكأنه قاضٍ أو مشاهد ينتهر ويأمر.

سقراط:

بما أن ذلك يروّك على ما يبدو، فلنتكلم عن زعماء الفرقة. إذ ما عسى المرء أن يقوله عمن ينصرفون بإسفاف إلى الفلسفة ويزاولونها بتفاهة؟ أما أولئك المتزعمون، فهم أولاً يجهلون منذ الصغر الطريق المؤدّية إلى السوق والساحة العامة. ولا يدرون أين يقع قصر العدل أو مجلس الشورى أو أي منتدى عام آخر في المدينة. أما الشرائع والقرارات في مناقشتها أو تدوينها، فلا يرونها ولا يسمعونها ونشاطات الأحزاب السياسية ومساعيها إلى المناصب واجتماعاتها ومآدبها وحفلاتها تحييه لآعبات الأنوب والمزمار والشبابة، فلا يتمثل لهم ولا في الحلم أن يحضروها أو يشتركوا فيها^(١). وما جرى في الدولة من خير أو شرّ، وما ورثه أحد

d

e

(١) راجع في الغرغيس ٤٨٤ خطاب كلكتيس: لطول مزاولة الفلسفة، يمسي المرء غريباً عن أنظمة الدولة، جاهلاً ما يفرض إلقاؤه من خطب في الأندية العامة والخاصة، بعيداً عن المسرات ورغبات وأخلاق البشر.

عن أجداده من سوء، ابلغه من جهة الرجال أم من جهة النساء، فكل هذا يفوته أكثر مما تفوته على قول المثل سعة البحر من البيدونات. وهو لا يعرف ولا أنه لا يعرف تلك الأمور كلها. إذ أنه لا يبتعد عنها بغية التباهي والمفاخرة، بل لأن جسده وحده في الواقع مقيم في المدينة وقاطن فيها. أما ذهنه فيحسب تلك المشاغل كلها تفاهة وعدماً ويزدريها. وهو على حدّ قول بينذرس يطير إلى كل حذب وصوب، إلى "الجحيم وما تحت الأرض". وإلى ما فوق الأرض ليقيس مساحاتها، وما "فوق السماء" ليدرس نظام كواكبها ونجومها. فهو يستقصي كل طبيعة في كل مكان، طبيعة كل مجموعة من الكائنات ولا يتنازل إلى شيء من الأشياء الدانية القريبة.

ثئوذرس:

وماذا تعني بهذه الفكرة الأخيرة، يا سقراط؟

سقراط:

أعني بالضبط ما وقع لثالس في رصده الفلك، يا ثئوذرس إذ هوى في البئر بينما كانت عيناه شاخصتين إلى السماء. إذ يقال أن خادمة ثراقية ناعمة مهضومة قد داعبته بقولها أنه منهمك في معرفة شؤون السماء فيما يفوته ما يقابله وما ينبسط عند قدميه. وهذه السخرية الناعمة تنطبق على جميع من يقضون عمرهم في طلب الحكمة^(١). لأن شخصاً من هذا الطراز يفوته في الواقع

b

(١) "أنا أشكر تلك الغلامية المليتسية الفارهة. فإنها لما رأت الفيلسوف ثالس لا ينفك يتلهّى بتأمل قبة السماء، ولا يشيح ببصره عن ذرى الجبال، وضعت له في مسيره ما من شأنه أن يعثره. وقد ابتغت من ذلك أن تنبّه إلى أنه يستطيع أن يسرح فكره في أمور الفضاء بعد الفروغ من تدبير الأمور الدانية البسيطة... بيد أن معرفة ما في متناول أيدينا هي بعيدة عنا بُعد معرفة الكواكب وبُعد الحساب عن الأرض...". مونتينييه. Montaigne. Essais, II, XII.

أمر قريبه وجاره ولا يفوته منه فقط ما يصنعه، بل يكاد يخفاه هل هو إنسان أم دابة من الدواب الأخرى. ولكنه يبحث عما عسى أن يكون الإنسان، وعما يوافق طبيعة من نوع معين أن تصنعه أو تتأثر به، لتختلف عن الطبائع الأخرى. إنه يتشاغل بذلك ويتقصّاه. أنفهم قليلاً، يا ثؤودرس، ما أقول أم لا ؟

ثؤودرس: إنني لأفهم، وقولك صادق.

في الحقيقة يا خليلي، إن رجلاً كهذا عندما يخلو بأحد على انفراد أو يرتاد المجالس العامة، وهذا بالضبط ما ابتدأتُ به حديثي، وحين يُضطرّ في محكمة أو مكان آخر، أن يتكلم عن الأمور الدانية البادية للعيان، فهو يفسح مجال الضحك، ليس فقط للنسيّات التراقيّات بل لغيرهن أيضاً من الجماعات. إذ يرتطم في الأجباب ويتعثّر في المشاكل المستعصية لقلة خبرته. وارتبأكه الشنيع يوحى الاعتقاد ببلاهته. ففي السّباب والشتائم لم يحرز بضاعة خاصة يقذف بها شاتمته لأنه لا يعرف، لإعراضه عن المخالطة، شراً ما صادراً عن أحد. وفي حيرته عندئذ يمسي عرضة للضحك. وحين ينبري الآخرون ليتبادلوا المديح والثناء أو ليفاخروا ويتباهوا، يندفع هو بالضحك. ولا يتظاهر بذلك رثاء، فيبدو وكأنه ضائع يهذي لأنهم عندما يطرون طاغية أو ملكاً ويتغنون بثنائه، يتهيأ له أنه يسمعونهم يغبطون أحد الرعاة كراعي الخنازير أو الأغنام أو الثيران، لوفرة ما يحلب. ويحسب أن الملوك يرعون ويحلبون ضرباً من الحيوان أشرس وأكثر مكرّاً من الخنازير والثيران، وأن هذا الضرب من الحيوان لافتقاره

سقراط:

c

d

e

إلى التفرغ، لا بد له أن يمسي أجلف من الرعاة وأقل تهذيباً وتثقيفاً، لانعزالهم في رؤوس الجبال في زرائب تحديق بها الأسوار^(١).

وحين يطرق سمعه أن أحد المتمولين قد اقتنى مساحات شاسعة من الأراضي تداني عشرة آلاف اَبْلُثْرُن أي قصبة لا بل تتجاوزها، فكأنه يسمع رقماً ضئيلاً لاعتياده النظر إلى الأرض برمتها.

وإن فاخر الناس بأنسابهم وأشادوا بنبل في وسعه أن يتباهى بسبعة أجداد أثرياء، فإن فيلسوفنا يعدّ المديح واهياً زهيداً جداً، صادراً عن قوم حسيري البصر، لا يستطيعون لفقدانهم الثقافة أن يتأملوا في تعاقب الأجيال، ولا أن يفكروا أن كل فرد قد درج قبله عشرات ألوف لا تحصى من الأجداد والآباء الأولين، وفيهم الأغنياء والفقراء والملوك والأرقاء والبرابرة والهلّين. وقد تقلب منهم على أي امرئ أفواج وأفواج من عشرات الألوف. وحتى المفاخرة بلائحة خمسة وعشرين من الأجداد الأجلاء ممن يُنْمُون إلى هرّكليس بن أمفترين، يراها ضرباً مذهلاً من قصر التفكير والغضاضة، لأن الجد الخامس والعشرين قبل امفترين، والجد الخمسين الذي تقدم على هذا الأخير، قد كان كل منهما ما كان بسبب ما آتاه الحظ من قدر ومنزلة. فهو يسخر من أناس لا يستطيعون أن يفكروا هذا التفكير أو يحسبوا

a175

(١) إن التفرغ الذي ينشده أفلاطون لا بد أن يملأه الاختلاط بالناس والتحاور معهم. راجع في ذلك حوار فيذن b-d ٦٦ وحوار فيذر د d259.

هذا الحساب وأن يتخلصوا من عجرفة وبلاهة نفس طائشة. ففي هذه المواقف كلها، رجل من هذا النوع يهزأ به كثيرون، لاعتقادهم أنه شامخ بأنفه، أو لأنه يجهل الأمور السهلة الدانية ويحار ويرتبك في كل فرصة.

ثثوذرس: أنت تصف يا سقراط، الأحداث الجارية أدق وصف.

c سقراط: أما إذا استدريج هو بدوره أحداً يا عزيزي، وسما به عن

المشاكل التافهة، فطاوعه وخرج عن نطاق المشاحنات: "بم آذيتك أو بماذا ظلمتني" إلى بحث العدل والجور وماهية كل منهما واختلاف الواحد عن الآخر. واختلافهما عن المفاهيم الأخرى بجملتها. ثم إذا جرى الفيلسوف وعدل

عن التساؤل بشأن الملك^(١) هل هو سعيد بتكديس أكوام الذهب، إلى مناقشة النظام الملكي والنظر في الهناء والشقاء البشري على الإطلاق، وما هو كل منهما، وبأية طريقة يجدر بالطبيعة الإنسانية أن تحصل الواحد منهما وتتجنب الآخر. فإن وجب على صغير النفس ذاك الملتوي المشاحن أن يتحدث عن هذه القضايا كلها، عليه بدوره أن يؤدي ثمن

d

(١) كان الملك الأعظم في نظرهم ملك فارس. والسؤال عن أمر ملك الفرس هل هو سعيد، طرحه أحدهم على سقراط، في حوار حاكاه زين اخريسوستمس في خطابه الثالث حول الملكية. ومن جهة أخرى يروي خطاب زين الرابع (طبعة بوديه budé، م٤ ف٩٨ وما يلي) وتأبين بوليانس لكونستانس، عن غنى ذريس وبخله، شذرات لها في الأغلب أصل مشترك. (لوي فرانسوا محاولة لمعرفة زين اخريسوستمس ص١٨٩ وما يلي). ويُحتمل أن يكون زين قد اعتمد على حوار من النوع المسمى سقراطي. ولا يحاول السيد فرانسوا أن يؤكد بقوة أن أنتستينس هو مؤلف الحوار بل يعد الفكرة مجرد احتمال (صفحة ١٩٨). ومقطع التثيتنس هذا مُنطلق جيد لأحورة من هذا الطراز تناقش فيها "النظم الملكية وسعادة البشر وشقاوتهم".

e

تهكمه باهظاً، فيأخذه الدوار، وقد دُلِّي من هذا العلو الشاهق، وينظر من ذرى تلك المسائل وكأنه عالق في الجو، فيرتبك لعدم استئناسه بها ويحار في أمره ويتلعثم، ويفسح مجال الضحك والهزء لا للثراقيات فقط أو لشخص آخر من غير المثقفين، إذ لا يشعرون بحرج الموقف، وإنما لكل من تربوا تربية تناقض تربية الأرقاء. فهذا يا ثئودرس، موقف كل من الاثنين وهذه حالهما الواحد قد تربى في الواقع على الحربة والتمتع بالفراغ، وهو من لا يثير حقه أن يُحسب بسيطاً بلا قدر، عندما يساق إلى مهام العبيد، من لا يعرف مثلاً أن يطوي ويرتب اللحاف، ولا أن يصلح طعاماً ويبهّره، ولا أن ينمّق أقوال مدهانة. والآخر يستطيع أن يقوم بكل هذه الخدمات بحذق واندفاع دون أن يعرف ارتداء العباة من جهة اليمين على غرار الأحرار ودون أن يؤخذ بانسجام الكلام ليطري إطرأً قوياً الحياة الحقيقية، حياة الآلهة والبشر السعداء.

a ١٧٦

ثئودرس:

لو أتيح لك يا سقراط، أن تقنع الجميع كما أقنعتني، لعمّ السلام بين الناس وقلّت المساوئ.

سقراط:

ولكن يا ثئودرس، يستحيل القضاء على الشر، إذ تحتم الضرورة إن يستمرّ نقيض الخير في الوجود. كما يستحيل أن تستقرّ الشرور لدى الآلهة، وإنما تجول في دنيانا وتداول الطبيعة المائتة بحكم الضرورة. ومن ثمة تتوجب على هذه الطبيعة محاولة الهرب بأسرع ما يمكن من هذه الدانية إلى مقر الآلهة. والهرب هو التشبه بالله قدر المستطاع. والتشبه بالله هو أن يمسي المرء عادلاً قديساً يتصرف بفهم وفطنة. إلا أنه أيها المفضل، ليس

b

من السهل إقناع الناس بأن ما تضعه العامة من أهداف لاتباع الفضيلة وتجنب الرذيلة، والإعراض عن هذه والعناية بتلك، هو تفكير خاطئ، قوامه أن يبدو المرء فاضلاً لا شريعراً. فتلك الأهداف فيما يتبها لي، هي على حد قول المثل هذر عجائز. أما الحقيقة فلا بد من عرضها على وجهها الصحيح.

إن الله لا يظلم موجوداً على أي وجه ولا من أية ناحية. بل هو على الإطلاق في غاية العدالة. ولا أشبه به إلا من أضحى فينا أعدل ما يمكن. وفي هذا التشبه مهارة المرء الحقيقية وسطوته وفي نقيضه أيضاً تلاشي شخصيته وانهيار رجولته. ومعرفة ذلك هي الحكمة والفضيلة الحقيقية، وجهله هو الغرور والشر السافر. أما ضروب المهارة والسطوة والحكمة الوهمية الظاهرة فما دار منها حول الاقتدار والجبروت السياسي، فهو جلف بذيء، وما دار حول المهن والصناعات فهو مسفّ دنيء. فالأفضل إذن بكثير هو أن لا يُفسح المجال أمام الظالم والزنديق قولاً وعملاً لأن يكون ذا سطوة بسبب فجوره لأن أمثاله يتباهون بالعار، إذ يحسبون أنهم يسمعون الناس يقولون عنهم إنهم ليسوا خيال صحراء، ومن جهة أخرى، عبثاً ووقراً تنوء به الأرض، بل إنهم رجال كما ينبغي أن يكون الرجال الظافرون بالنجاة في الدولة. فلا بد إذن من التصريح لهم بالواقع، وهو أنهم ليسوا ما يحسبون بمقدار ما يظنون أنهم ما يحسبون أي أنهم خيالات وأحاديث خرافة ووقر يُثقل كاهل الأرض. إذ يجهلون عقوبة الظلم، وهذا ما يجب أن يجهلوه أقل الجهل. فهي

c

e

ليست ما يتصورون ويعتقدون من ضربات وصنوف الموت، مما يحتمله المرء وهو لم يرتكب جوراً. إنها ما يستحيل على الإنسان تجنبه.

أية عقوبة تعني؟

ثئودرس:

سقراط:

لقد انتصب أيها العزيز، في الوجود مثالان، الأول إلهي في غاية السعادة، والآخر خالٍ من الله في غاية الشقاوة. وإذا لا يرى الأشرار أن الوجود على الحال، بسبب غباوتهم وفراط حماقتهم، يفوتهم أنهم بالأعمال الجائرة يقتدون بالثاني ولا يقتدون بالأول. فينالون جزاء سلوكهم إذ يحيون حياة تحاكي المثال الذي به يقتدون. ولكن علينا أن نحذرهم من العاقبة، فإن قضوا نحبهم ولم يعدلوا عن فجورهم، فلن تتقبلهم تلك البقاع الطاهرة الصافية من الشرور. وسيلقون هنا على هذه الفانية معشراً يماثل مسلكهم، أشراراً يعاشرون أشراراً. أما تنبيهاتنا هذه فأولئك المتحذلقون الفجّار سوف يصغون إليها وكأنها صادرة عن أناس في غاية الغباء.

بكل تأكيد يا سقراط.

ثئودرس:

b سقراط:

وأنا أعرف هذا أيها الرفيق. بيد أن مساء واحدة تنالهم. إذ حين يترتب عليهم أن يناقشوا على انفراد ويأخذوا ويعطوا بصدد ما يلومون ويقبّحون، ويقبلون برجولة أن يمكثوا زمناً طويلاً دون أن يجبنوا ويهربوا من النقاش، عندئذ، أيها العبقري، يستأوون من ذواتهم في آخر المطاف، ويشمئزون من أحاديثهم. فيذوي فنههم الخطابى وتذبل بلاغتهم. ومن ثمة يبدو عليهم أنه لا فرق بينهم وبين الأطفال. وبما أننا قد عرضنا لهذه الاعتبارات،

c

وهي نظرات على هامش قصدنا، فلنتوقف منها عند هذا الحد. وإلا طُمت على موضوعنا الأساسي بغزارة فيضها الدائم. فلنخطُ به إذن إلى الأمام إن طاب لك المسير.

ثثوذرس:

مثل هذه الاعتبارات، لا يثقل عليّ كثيراً يا سقراط، سماعها. إذ يسهل عليّ تطبيقها، وأنا في هذا العمر، سهولة أوفى. ولكن فلنعد إلى موضوعنا من جديد إن طابت لك العودة.

البحث الثالث

عود إلى النقد: قضية "الإنسان معيار كل شيء" والقضايا بصدد

المستقبل

سقراط:

كنا إذن من حديثنا في موضع رحنا نقول فيه إن هناك دعاة وجود في حركة مستمرة وفي انتقال. وهم أنفسهم يزعمون أن ما يبدو دوماً لكل فرد هو الواقع أيضاً لمن يبدو له. وأن تلك الجماعة تبغي الإصرار والمكابرة في المسائل الأخرى، ولا تصرّ وتكابر مكابرة أقل في الشؤون الحقوقية. فتدعي أن ما ترتتيه دولة وتسنّه نظاماً أو شرعاً لها، هو أعدل نظام أو شرع للدولة التي سنّته ما دام لها نظاماً أو شرعاً.

أما بصدد الخير أو النفع، فلم يبقَ بعد من له من الشجاعة ما يجرؤ به على المخاصمة والتأكيد في حزم؛ أن ما اعتقدته دولة نفعاً وسنته لها شرعاً على أنه نافع،

يكون لها في الواقع نافعاً مادام لها ذلك الشرع^(١). إلا إذا
عنى المرء من النفع والنافع الاسم فقط. غير أن ذلك قد
يكون مهزلة في نقاشنا الحاضر. أليس كذلك؟
بكل تأكيد .

e ثؤذرس:

سقراط: فلا يتلفظ أحد بالاسم فقط، وإنما فليتأمل الأمر المسمى.

ثؤذرس: فعلاً، عليه أن لا يتلفظ.

سقراط: غير أن الدولة تهدف في شرعها إلى ما تسمي دونما

ريب. وهي في جميع شرائعها بمقدار ما يتهيأ لها
وبمقدار استطاعتها تضع لنفسها أجزل الشرائع فائدة
ونفعاً. أم هي تشترع وتسنّ القوانين ناظرة إلى شيء ما
آخر؟

ثؤذرس: كلاً على الإطلاق.

a ١٧٨ سقراط: وهل توفّق دوماً إلى ما تستهدف، أو كل دولة تخطئ

هدفها في أمور كثيرة؟

ثؤذرس: أنا أعتقد أن كل دولة تخطئ الهدف في سنن كثيرة^(٢).

سقراط: فبالضبط إذن قد يعترف كل امرئ أيضاً اعترافاً أتمّ

بصحة هذه الاعتبارات، إن تساءل عن كل جنس الخير
الذي يتحقق فيه النفع. وهذا الجنس يتناول من بعض
الوجوه الزمن المقبل^(٣). لأننا عندما نشترع، نضع السنن

(١) راجع أعلاه المقطع ١٧٢ a-c.

(٢) انظر من الجمهورية c٣٣٩.

(٣) كتب المنطق عندنا تميز هي نفسها بين امتداد حاضر وامتداد ممكن. وكلمة
صورة أو فكرة أو نوع تعني هنا أيضاً الجنس. وهذا الترادف وارد في مواضع
شتى من مؤلفات أفلاطون.

والنظم للزمان الآتي، على اعتبار أنها سوف تكون مفيدة. وهذا ما ندعوه بصواب مستقبلاً.

ثئوذرس: بكل صواب، ولا ريب.

b سقراط: هيا بنا إذن لنسأل ابروتغورس، أو أحد القائلين قوله

على النحو التالي: "إن الإنسان هو معيار كل شيء" على ما تزعم يا ابروتغورس، الأبيض والثقيل والخفيف وكل ما شاكل ذلك بلا استثناء، فالمرء إذ يحوي في ذاته محك هذه الأمور ومقياسها فهو يحسبها على ما يشعر بها. ويعتقد أنها صحيحة صادقة له وواقعية. أليس الأمر على هذا المنوال؟

ثئوذرس: على هذا المنوال.

c سقراط: وهل ندعي يا ابروتغورس أن الإنسان يحوي في ذاته أيضاً

مقياس الأمور المزمعة أن تصير، وأنها لا بد صائرة له على نحو ما يعتقد بصيرورتها، فتجري له تماماً كما تصوّرها؟ نظير السخونة مثلاً. فإن ظنّ رجل عامّي أن الحمى ستأخذه، وأن هذه السخونة لا بد أن تصير، وظنّ آخر وهو طبيب، ظناً مناقضاً، فطبق ظنّ أيّ من الاثنين، نزع من أن الشيء المقبل سيقع؟ أم نقول إن الأمر المتوقّع سيحدث حسب ظنّ الاثنين؟ فيكون العامّي في نظر الطبيب لا فاتراً ولا محموماً، وفي نظر نفسه هذا وذاك^(١)؟

(١) راجع لأرسطو ما وراء الطبيعة ١٠.١٠ b ١١ - ١٤ حيث يقول: "ومن جهة أخرى، كما يعلم أفلاطون، في ما يتعلق بالمستقبل، ليس لرأي الجاهل من راحة ما لرأي الطبيب، عندما يدور الأمر مثلاً على شخص العليل هل يتعافى أو لا.

ثؤذرس:

إلا أنه قد يحمل الناس عندئذ على أن يسخروا منه.

سقراط:

لكني أعتقد أن رأي الفلاح هو الصالح في عذوبة الخمرة
أو مزايتها المقبلة، لا رأي ضارب القيثار.

d

ثؤذرس:

ولم لا؟

سقراط:

وبصدد شذوذ الألحان أو انسجامها المتوقع، أعتقد أيضاً
أن معلّم الرياضة لن يبدي رأياً أفضل من رأي الموسيقي.
وإن بدا الإيقاع فيما بعد للمرؤوض نفسه رائعاً منسجماً.
كلا لن يبدي أبداً رأياً أفضل.

ثؤذرس:

سقراط:

إذن ومن يزعم أن يتمتع بوليمة، وليس من الطهارة، إبان
تحضير المأدبة لن يَصْلَح حكمه صلاحية حكم الطباّخ في
اللذة المتوقّعة. لأننا إلى الآن لم تناقش بعد ولم نخض
معركتنا الكلامية حول اللذة الحاضرة أو الغابرة لدى كل
فرد. وإنما تساؤلنا يتناول اللذة المقبلة ما سوف يرتئي
فيها كل فرد وما سوف يتحقق له منها، وهل يكون هو
لنفسه خير حَكَم في هذا كله، أم أنت يا ابروتغورس.
وبشأن الأقوال وما ينجم عنها من إقناع لكل واحد منا
في المحكمة، من يسبق ويرتأي فيها رأياً أفضل. أأنت أم
أي شخص من العوام؟

ثؤذرس:

يا سقراط، لقد كان يتشدّد جداً في تصريحاته وأيم
الحق، بأنه يفوق الجميع في هذا المضمار.

a ١٧٩ سقراط:

أجل بحق زفس، يا خليلي الناعم. وإلا فهل من أحد كان
ليتحدّث معه وينقده مبلغاً من الفضة طائلاً، لولا أنه
شرع يقنع مستمعيه بأن ما سيتحقق من المستقبل وما
سوف يرتئيّه فيه الناس، ليس من عرّاف ولا أي شخص
آخر يمكنه أن يحكم فيه خيراً منه.

ثئوذرس:

صائب جداً.

سقراط:

فالتشريعات إذن والنافع والمفيد، كل هذا يدور حول المستقبل. وقد يعترف كل امرئ أن الضرورة تقضي بأن تفشل الدولة المشتربة في نيل أجزل الخير نفعاً.

ثئوذرس:

دون أي تردد يعترف بذلك الجميع.

b سقراط:

فنقول باعتدال ولطف لأستاذك إن الضرورة تضطره إلى الاعتراف بأن الواحد أحكم من الآخر، وأن الأحكم هذا هو المعيار. أما أنا غير المثقف وغير المطلع فلا تكرهني الضرورة على أي وجه أن أصبح معياراً، كما اضطرني قول ذاك العبقري منذ فترة، شئت أم أبيت، أن أكون شيئاً من هذا.

ثئوذرس:

يبدو لي، يا سقراط، أن قضية صاحبنا قد أسرت وقضي عليها على الوجه المبين أعلاه. وهي قابلة لأن يقضى عليها على الوجه التالي، من حيث أنها تؤتي آراء الآخرين قوة وسداداً، في حين أن تلك الآراء لا تعتقد صراحة من أية ناحية بصحة مزاعم ذاك المفكر الكبير^(١).

c سقراط:

من نواحٍ أخرى كثيرة قد يُقضى، يا ثئوذرس، على مثل هذا الزعم بأن يعترف أن كل رأي صادر عن أي إنسان هو رأي صحيح واقعي. فبشأن انفعال كل فرد في

(١) راجع المقطع a١٧١ وما يلي، ثم ما وراء الطبيعة لأرسطو، b١٠١٢، ١٣ - ١٨ حيث نطالع: "إن هذه القضايا جملة تتعرض لملامة وجهت إليها مراراً، وهي أنها تهدم بعضها بعضاً. فمن يزعم أن كل شيء صحيح، يؤكد حقيقة بين حقائق أخرى، وهي صحة القول المناقض قوله. ومن ثمة فقله غير صحيح. لأن من ينادي بالقضية المناقضة يزعم عنه أنه ليس على حق وصواب". راجع أيضاً الافئذمس c٢٨٦.

الحاضر، وعنه تنجم الإحساسات وما ينشأ عنها من آراء، قد تكون المشقة أعظم في القبض على ذلك الزعم وإكراهه على الاعتراف بأن تلك الانفعالات وتلك الإحساسات وتلك الآراء ليست بحقيقية واقعية.

هذا ولعلي أقول قولاً هراء. لأن تلك المشاعر والآراء إن اتفق لها أن تكون غير قابلة القبض، والقضاء عليها، فهي في تلك الحال موجودة^(١). والزاعمون أنها جلية ناصعة وأنها ضروب العلم، قد يعبرون ربما عن وقائع لها وجودها. وصديقنا ثييتس هذا لم يتكلم عن غير قصد لما فرض أن الإحساس والعلم هما شيء واحد بالذات. فلا بد لنا إذن من أن نسير قُدماً وندنو من القضية دنواً أوفى، كما حضّنا على ذلك خطاب الذود عن ابروتغورس، ولا بد من تفحص هذا الوجود المندفع في حركة انتقال، وعلينا أن نقرعه لنرى أهو سليم أم متصدّع متهرئ حين يعبر عنه. والمعركة التي دارت حوله لم تك زرية ولم يخضها القلائل.

ثئوذرس: إنها لأبعد من أن تكون زرية. لا بل تزداد ضراوة على سواحل أيونيّا. لأن رفاق هراكلّيس يتغنون بهذه القضية ويبدلون في سبيلها بكل شهامة.

سقراط: ولذا، يا ثئوذرس الغالي، لا بد لنا من تقصّيها بنشاط أوفر منذ مبادئها، على نحو ما يبسطونها لنا هم أنفسهم.

(١) لقد سلم أعلاه تسليماً موقناً بصحة وصدق الشعور الشخصي الحاضر. راجع المقطع a١٦١ والمقطع c١٧٨.

المطلب الثالث

محاولة نقد ثالثة

البحث الأول: دحض الحركية الشاملة

تثؤذرس:

فعلاً لأبد من تقصّيها على كل وجه. إذ يستحيل يا سقراط، أن يتحدّث المرء مع آل إيفسُس الذين يتظاهرون بالخبرة والاطلاع، كما يستحيل التحدّث مع من تلسعهم القمّعة، عن أولئك الهركليتيين، أو كما تقول، الهومريين ومن سبقوهم عهداً. فهم على ما ورد في كتاباتهم، مهتاجون مندفعون اندفاعاً خارقاً. ويتعذّر عليهم كل التّعذر أن يستمروا في برهان أو مسألة، وأن يجيبوا ويسألوا في نوبتهم بتّودة. لا بل يغلب على أولئك الرجال أن لا يداخلهم شيء من الهدوء والتروي، وليس فقط أن لا يحرزوا منهما إلا نذراً زهيداً. وإن سألت أحدهم عن أي موضوع، فكأنهم يسحبون من جعبتهم أشباح كلمات لغزّية ويرشقونك بها. وإن حاولت استفسار ما قال، يرمونك بسهم آخر بدّل اسمه من جديد^(١). فلا يمكنك ولا مرة واحدة أن تتجزّ حديثاً مع أي فرد منهم. ولا هم أنفسهم يستطيعون ذلك فيما بينهم. بل يتحفظون كل التحفظ كي لا يتيحوا لأي شيء أن يكون راسخاً، لا في كلامهم ولا في أرواحهم معتقدين أن ذلك قد يكون ثابتاً مستقراً. وهم يَصِلون هذا الاستقرار حرباً عواناً، ويطاردونه من كل مكان قدر استطاعتهم.

a ١٨٠

b

(١) راجع من المقدمة الفصل الثالث م ٣ ب ٢ ف ٢. وبصدد تشبيه الألفاظ بالأسم، انظر حوار ابروتغورس c ٣٤٢.

سقراط:

لعلك يا ثئودرس، قد رأيت أولئك الرجال وهم يخوضون المعمعة، ولم تجالسهم في وقت السلم، لأنهم ليسوا زملاءك. بيد أنني أظن أنهم إبان الفراغ يشرحون هذه القضايا لطلابهم، وهم لا ريب يبغون أن يجعلوهم مماثلين لهم.

c ثئودرس:

وأي طلاب أيها العبقري؟ فأمثال هؤلاء لا يتلمذ الواحد منهم للآخر. وإنما ينمون ويتزعمون عفويةً. ويستوحي كل إلهامه من حيث يتفق له. ويحسب غيره خالياً من كل معرفة^(١). فهؤلاء إذن، وهذا بالضبط ما شرعت أقوله، لن تأخذ منهم كلاماً لا عن رضى ولا عن كره. وإنما علينا أن نعدّهم مشكلة من المشاكل، وننصرف إلى تفحص أمرهم^(٢).

سقراط:

قولك قول موزون، دونما ريب. ولكن بحقك هل أخذنا عن الأقدمين شيئاً غير هذه المشكلة؟ وقد واراها أغلبهم في قالب شعري، زاعمين أن الأقيانس وثيثيتس، مصدر الأشياء طرّاً، هما نهران لجبان، وأن الأشياء كلها لا قرار لها. وقد أخذناها أيضاً تلك المشكلة عمن جاؤوا بعدهم. وإذا كانوا أوفر حكمة، فقد أوضحوها وبرهنوا عنها صراحة، كي يعرف الجميع حكمتهم حتى الأساكفة. وبعد أن يسمعوها لكي يكفوا عن الاعتقاد ببلاهة أن من

d

(١) إن فلاسفة الدولة الأفلاطونية لم ينشؤوا بصورة عفوية. ولذا لا يحق لهم أن يتصرفوا تصرف الهاوي. الجمهورية b٥٢٠.

(٢) يقول أرسطو: "وإذ لا يضعون أي مبدأ، فهم يقضون على كل نقاش وكل برهان". "ما وراء الطبيعة" ١١ b١٠٦٣، رَ أيضاً ١٣ a١٠٠٦. والسفستي سوف يقول: "إننا لا نعبأ بأشخاصهم، وإنما نبحث عن الحقيقة" d٢٤٦.

الموجودات ما هو ثابت، ومنها ما هو في حركة، وإذا ما عرفوا أن الموجودات برمتها تتحرك، يحقّون أولئك الحكماء بالإكرام. ولكن يا ثئودرس، كدت أنسى أن مفكرين آخرين قد صرّحوا بتصريحات، تناقض تلك، نظير قولهم:

a ١٨١

"اسم الكل الشامل، وجود بلا حركة"^(١).

وهناك تصريحات أخرى كثيرة مما تفوه به ميلسُس وبرْمِنِيزس، أولئك الرجال العظام، وعارضوا بها في شدة كل أولئك الأقدمين، زاعمين أن الأشياء طراً هي موجود واحد، وأنه ثابت مستقر، لا يحوي في ذاته متسعاً يتحرك فيه. فما العمل إذن، يا صاحبي مع هؤلاء جميعاً؟

b

لأننا في تقدمنا ببطء فاتنا أننا وقعنا بين المعسكرين. وإن لم ندافع لننجو بأنفسنا من مفر ما، لحقتنا العقوبة، شأن من يلعبون في الحلبات على الخط الفاصل بين فريقين. وعندئذ إذا استولى عليهم الفريقان المتباريان سحبوهم كل من طرفه.

فيبدو لي إذن أنه يجب أولاً أن نتفحص أمر دعاة الجريان الذين اصطدمنا بهم. وإذا ظهر لنا أنهم يقولون شيئاً مقبولاً، انسحبنا معهم محاولين تجنب الفئة الثانية. وإن بدا لنا أن مرسّخي الكل يعرضون قضية أصدق وأصحّ، نلوذ بهم لنحتمي ممن يحركون ما لا

(١) حسب نص حاول بوتمن وكوبه رده إلى أصله، يقول برمنيزس: "اسم الكل الشامل يكون: وجود كامل بلا حركة" Ουλον ακινητον τ'εμεναι τω παντ' ονομι' εσται فأفلاطون يستشهد بنص معدل، ويحتمل أن يكون هو قد عدله في استشهاده به عن ظهر قلبه. ذلك أن من الصعب اقتطاعه والاستشهاد به.

حركة له. وإن تبين لنا أن الطرفين لا يقولون قولاً معقولاً، نتعرض، بحكمنا على أناس عريقين في القدم ذوي حكمة فائقة، لأن نكون أضحوكة، لزعمنا نحن الزعانف أننا نقول شيئاً. فتبصر إذن يا ثؤذرس، هل يفيدنا أن نزع أنفسنا في خطر باهظ كهذا.

ثؤذرس: يا سقراط، ما من شيء لا يُحتمل، إلا الإعراض عن تمحيص ما يقوله كلا الفريقين.

c سقراط: لا بد لنا إذن من تفحص أقوالهما، إن كنت متحمساً للأمر هذا التحمس. ومن ثمة يتهيأ لي أن بدء التحقيق في أمر الحركة هو التساؤل التالي: يا ترى ماذا يقصد الزاعمون بأن الكل يتحرك؟ وأنا بذلك أبغي التعبير عن هذه المسألة: هل يقولون إن للحركة نوعاً واحداً، أو لها على ما يتضح لي، نوعان؟ ولكن لا يبدو هذا الأمر لي وحدي، بل شاركني أنت أيضاً في الرأي، كي نشترك معاً في العقوبة إن فُرضت علينا. هيا قل لي: ألا تدعو تنقل المرء من بقعة إلى أخرى أو دورانه في مكان واحد تحركاً؟

d ثؤذرس: بلى.

سقراط: فليكن لنا هذا التنقل أو الدوران نوعاً أولاً. وعندما يلبث الشيء في عين المكان ويهرم، فيضحي أسود بعد بياض، أو صلباً بعد مرونة، أو يتبدل ويتغير تغيراً ما آخر، ألا يجدر بنا أن ندعو هذا التغير ضرباً آخر من الحركة؟

ثؤذرس: هذا ما يبدو لي.

سقراط: وهو فعلاً ضروري. فأقول إن هذين هما ضربان من الحركة: التبدل والتنقل.

ثئوذرس:

إنك ولا ريب مصيب في قولك^(١).

e سقراط:

بعد تفصيل هذه المسألة على هذا النحو، فلنتجاوز الآن مع الزاعمين أن الأشياء كلها تتحرك، ولنطرح عليهم هذا السؤال: أَدَّعون أن كل شيء يتحرك هاتين الحركتين، حركة التنقل وحركة التبدل، أم أن قسماً من الوجود يتحرك الحركتين وقسماً يتحرك حركة واحدة؟

ثئوذرس:

ألا بحق زفس، أنا من جهتي لا أستطيع أن أقول بماذا يجيبون. أعتقد أنهم ربما يقولون كل شيء يتحرك الحركتين.

سقراط:

فإن لم يقولوا هذا القول، فالموجودات تظهر لهم متحركة وثابتة ولن يصح القول بأنها جميعها متحركة، أكثر مما يصح القول بأنها جميعها ثابتة.

a ١٨٢

أقوالك في غاية الصدق.

ثئوذرس:

ومن ثمة إذا وجب أن تتحرك الموجودات، وأن لا توجد اللاحركة في أي منها، فهي جميعها تتحرك دوماً بكل حركة^(٢).

سقراط:

(١) نعر على عين التقسيم والترتيب في البرمينيذس ١٣٨ c-d. وإن كان سقراط يعلم ثئيتس هذا التقسيم كأمر مستحدث، فهذا لا يعني أن حوارنا الحاضر متقدم على البرمينيذس. فثئيتس لم يطالع البرمينيذس، ولم يسمع الفيلسوف الشيخ يخوض في شرح هذه القضايا.

(٢) لن تكون إحدى هذه العبارات صحيحة صحة مطلقة. فليس من الصحيح أن يكون كل شيء بلا حركة، إذا تحرك كل شيء على الأقل بإحدى الحركتين. وليس صحيحاً أيضاً صحة مطلقة أن يكون كل شيء في حركة، إذا استطعنا مثلاً أن نقول إن بعض الأشياء لا تتحرك حركة التبدل أو التغير.

ثثوذرس:

بحكم الضرورة.

سقراط:

فدقق لي إذن في هذه النقطة من تعاليمهم. أما طفقنا نقول إنهم يشرحون نشوء الحرارة أو البياض أو أي شيء آخر على النحو التالي، وهو أن كلاً من تلك الأشياء يُزجى مع الإحساس بين الفاعل والمنفعل، وأن المنفعل يضحى ذا إحساس لا إحساساً، والفاعل يغدو ذا صفة معينة لا صفة؟ ولعل هذه "الصفة" تبدو لك اسماً غريباً، لا تفهمه عندما يُستعمل مجملاً فأنصت إذن إليه مفصلاً. إذ إن الفاعل الموصوف لا يصير حرارة أو بياضاً، وإنما حاراً وأبيض. وهكذا القول عن الصفات الأخرى. فإنك تذكر قليلاً أن هذا ما شرعنا نفصله في شروحاتنا السابقة، وأن لا شيء هو واحد في ذاته وبفعل ذاته، حتى الفاعل أو المفعول، وأنهما على أثر لقاؤهما الواحد بالآخر يولدان أن الإحساسات والمحسوسات، ويغدوان الواحد ذا صفة معينة والآخر ذا إحساس.

b

ثثوذرس:

أذكر وكيف لا؟

ولكن فلندع النواحي الأخرى جانباً، غير مبالين أشرحوا هذه المسائل على هذا النحو أو على نحو آخر. ولنحتفظ بهذه النقطة فقط التي نقصدها في حديثنا الحاضر، ولنسأل: إن الكل يتحرك ويجري جريانا، على ما تزعمون أليس كذلك؟

c سقراط:

ثثوذرس:

أجل.

سقراط:

فهل ينتقل ويتغير إذن بدافع الحركتين اللتين ميّزنا؟

ثثوذرس:

وكيف لا، اللهم إن تحرك تحركاً كاملاً.

سقراط:

وبالضبط إن كان يتنقل فقط، ولا يتحوّل أو يتبدّل، ففي تلك الحال نتمكّن من أن نقول على أية صفة يجري الكل في حركة انتقاله. أم كيف نعبر عن هذا الأمر؟

d ثؤذرس:

كما عبّرت عنه!

سقراط:

فيما أنه لا يثبت ولا "أنّ السائل يسيل بلونه الأبيض"، بل يتحوّل ويتبدّل، بحيث يكون السيلان هذا بالذات، أي سيلان البياض، ويكون التحوّل إلى لون آخر، كي لا يؤخذ اللون الأبيض من هذه الناحية ثابتاً مستقراً، فهل يا ترى يمكن المرء أن يسمّي شيئاً ما لوناً ويصيب في تسميته؟

ثؤذرس:

وما الحيلة يا سقراط؟ أم كيف نسمّي شيئاً ما آخر من مثل ذلك، إذا ما مضى وتواری في حال النطق به، بما أنه ولا ريب سائل^(١) جار؟

سقراط:

وما عسانا نقول عن أي إحساس، كالإحساس بالرؤية أو بالسمع؟ فهل يدوم الإحساس ويستمرّ إبان الرؤية بالذات أو إبان السمع؟

e

ثؤذرس:

يجب ولاشك أن لا يستمر، إن كانت الأشياء كلها تتحرك.

سقراط:

ويجب إذن أيضاً أن لا يسمّى شيء ما رؤية أكثر مما يسمّى لا رؤية. ولا أن يسمّى إحساس ما إحساساً معيناً أو لا إحساساً، إذ الكل على الإطلاق يتحرك.

(١) "وهل يحق لنا أن نقول عما يمضي بلا انقطاع أولاً إنه هذا أو ذاك، ثم إنه شيء ما معين؟ في حين نتحدث عنه، ألا يهم بحكم الضرورة ليتبدل ويتواری فلا يلبث ما هو؟" حوار اكراتلس d.٤٥٩.

ثئوذرس: فعلاً يجب أن نعرض عن ذلك.

سقراط: مع أن العلم إحساس ولا ريب، على ما رحنا ندّعي أنا وثيتتس.

ثئوذرس: قد حصل هذا الادعاء.

a 183 سقراط: إذن عندما سئلنا ما هو العلم، لم نجب بشيء هو العلم أكثر مما هو اللاعلم.

ثئوذرس: يبدو أنكما لم تجيبا بأكثر من ذلك.

سقراط: وإذ نشطنا لنبرهن عن حركة جميع الموجودات، كي يظهر جوابنا ذلك صائباً، قد عثرنا في الحقيقة على تصحيح جميل لجوابنا! غير أن ما ظهر، على ما يبدو، إذا كان الكل يتحرك، هو أن كل جواب، على أي سؤال مهما كان موضوعه، هو جواب صائب على السواء. وسيان أن تقول عن الشيء إنه هكذا أم ليس هكذا. أو أن تقول إن شئت كي لا نوقف في كلامنا على الجريان دعاة الحركة، إن الشيء يصير كذا أو كذا.

b ثئوذرس: تتكلم بصواب.

سقراط: أجل، يا ثئوذرس، ولكن باستثناء أنني قلت "هكذا وليس هكذا". في حين يجب أن نتجنب حتى هذا "الهكذا". لأن الشيء لا يعود يتحرك، إذا قيل عنه "هو هكذا" أو يصير "هكذا". كما يجب تجنب الـ "ليس هكذا"، إذ هذا أيضاً ليس بحركة. وإنما يُفرض أن توضع لهجة أخرى خاصة لدعاة قضية الحركة هذه. فالآن وأيم الحق، ليس لديهم ألفاظ وكلمات يعبرون بها عن فرضيتهم. ما لم يعمدوا

إلى عبارة "ولا هكذا" إذ لعلها تلائمهم خير ملائمة لأنها

عبارة مبهمة غير محددة^(١).

ثئوذرس: فعلاً إنه تعبير لغوي يوافقهم.

c سقراط: لقد تخلصنا إذن من صاحبك، يا ثئوذرس، ولن نسلم

له من بعد أن كل رجل، ما لم يكن حصيماً مدركاً،

هو معيار جميع الأمور. ولن نسلم أيضاً أن الإحساس

هو العلم، على الأقل طبقاً لمنهج التعليم القائل

بالحركة الشاملة، ما لم يأتنا صاحبنا ثئيتس

باقترح آخر.

البحث الثاني

فاصل يدور حول برميندس

ثئوذرس: لقد تفوّهت يا سقراط، بأقوال ممتازة. وباختتام هذه

المسائل المتعلقة بالحركة وما إليها، يجب أن تطلقني

وتخلي سبيلي، بعد أن أجبتك طبقاً للعهود، بما أن

حديثنا عن قضية ابروتغورس قد انتهى.

ثئيتس: ولكن لن يخلي سبيلك، يا ثئوذرس، قبل أن تستعرضا

أنت وسقراط قضية الزاعمين أن الكل ساكن، كما

قصدتما منذ فترة.

(١) راجع لأرسطو ما وراء الطبيعة ١٠٠٨ ٣٠ - ٣٦ حيث يقول: "وفي آخر المطاف يعمدون إلى النفي المطلق: لا هكذا ولا ليس هكذا. وإلا فهناك شيء معين".

ثئوذرس:

لا تزال شاباً، يا ثثيتس، وتعلم الشيوخ أن يأثموا ويُخلفوا بمواثيقهم؟ ألا استعداد لتؤدي حساباً لسقراط عما تبقى من مواضيع وتتداول فيها معه.

ثثيتس:

إذا شاء ذلك فأنا مستعد. غير أنني كنت أود سماعكم بصدد ما ذكرته.

ثئوذرس:

إن دعوت سقراط إلى الحديث، فكأنك تستدعي "الخيالة إلى السهل". اسأله إذن فتسمع ما تود.

c سقراط:

ولكن يبدو لي، يا ثئوذرس، أنني لن أجاري ثثيتس وألبي طلبه.

ثئوذرس:

ولم لا تجاربه في ما يسأل؟

سقراط:

إني أخجل أن نباحث ملسُوس والفلاسفة الآخرين القائلين بوحداية الكل وسكونه مباحثة سمجة وقحة. مع أن خجلي معهم أقل مما يكون فيما لو دعيت لأناقش برمينيذس وحده. لأن برمينيذس قد تمثل لي، على حد قول هومرس "جليلاً ومهيباً" في آن واحد^(١). وقد خالطتُ الرجل وأنا في شرح الشباب، وهو طاعن في السن. وقد بدا لي ذا عمق وأصالة خارقين^(٢). ومن ثمة أخشى أن لا نفقه أقواله، وأن نقصر أكثر بكثير عن فكره في ما قال. ولكن أعظم ما أخشاه هو أن يهمل بحث موضوع ما اندفعنا فيه من نقاش، ألا وهو موضوع العلم وطبيعته، لتدفع الأبحاث علنيا إذا

(١) الإلياذة، النشيد الثالث، ش ١٧٢.

(٢) راجع مقدمتنا العامة، طبعة بودة ص ١٣، ومقدمة البرمينيذس ص ١٠.

استسلمنا لها. ومن جهة أخرى، فالببحث الذي أثرناه الآن، لوفرتة وتشعبه، إن نظر فيه المرء نظرة هامشية عابرة، حط من قدره. وإن وفّاه حقه من التدقيق، أطال النقاش ولاشئ موضوع العلم. والحال تفرض تجنب هذا وذلك. كما تفرض علينا محاولة تخليص ثنيتس بفن توليدنا، مما قد أثقل به فكره وحبل به من نظرات حول العلم.

ثؤذرس: ألا لابد من سلوك هذا المسلك، إذا ما طاب لك.

المطلب الرابع

محاولة نقد أخيرة

المعرفة بواسطة النفس

سقراط: فتفحص إذن يا ثنيتس، هذه النقطة الهامة أيضاً المتعلقة بما قلنا. فإنك قد سبقتَ وحكمت أن العلم هو الإحساس. أليس كذلك؟

ثنيتس: أجل.

سقراط: فإن سألك أحد إذن هذا السؤال: "بم يرى المرء الأشياء البيضاء والسوداء وبم يسمع الأنغام الحادة والمنخفضة؟" قد تجيب: "بالأعين والآذان".

c ثنيتس: هذا فعلاً ما أجيبه به.

سقراط:

لكن سهولة استخدام الأسماء والأفعال^(١)، والإعراض عن التمهيص بدقة، ليس في أغلب الأحيان قلة أصالة. لا بل عكس ذلك ينم عن صغار وعبودية. إلا أن التدقيق ضروري في بعض الأحوال. فالضرورة تحتم علينا الآن مثلاً أن ندهم جوابك، لنتفحص من أية ناحية لم يكن صائباً. فأنعم النظر في الأمر، وقل أي جواب هو أكثر صواباً، أقولنا: ما نرى به هو الأعين، أم قولنا: ما بواسطته نرى. وقولنا: ما به نسمع هو الآذان، أم قولنا ما بواسطته نسمع؟

ثييتس:

يبدو لي، يا سقراط، أن "ما بواسطته" نشعر بكل من إحساساتنا، هو خير من "ما به نشعر" بها.

d سقراط:

فعلاً يا بني، إنه لأمر رهيب لو أن حواس كثيرة تتمركز فينا تمركزها في خيول خشبية، دون أن تمتد وترتبط بصورة واحدة معينة، أنفساً فرض علينا تسميتها أم أي مبدأ آخر، بها نشعر عن طريق الحواس، وكأنها آلات، بكل إحساساتنا.

ثييتس:

أجل، يتهيأ لي أن وجه الشعور هذا الأخير خير من الأول. وأنا لهذه الغاية بالضبط أدقق معك مسألة الإحساسات والمشاعر. فهل نبلغ عن طريق الأعين، بمبدأ هو منا بالذات، وبمبدأ هو أبداً ذاته وعينه، إلى الأشياء البيضاء والسوداء وعن طريق حواس أخرى أيضاً إلى محسوسات

e

(١) إن كلمة Πημα لها معان عدة، ومن جملتها معنى الفعل أو المحمول أو الخبر. راجع في هذا كله السفستي، نص المقطعين ٢٥٢ - ٢٦٣ وحواشيها. ترجمة الأب فؤاد جرجي بربارة، طبعة وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٩. (المعرب).

معينة؟ وهل في وسعك، إذ سؤلت، أن تحمل مثل هذه الإحساسات إلى الجسد؟

ولعل الأفضل أن تعبّر أنت في جوابك عن هذه القضايا، بدل أن أعني نفسي في سبيلك. فقل لي: كل ما بواسطته تحس بالأشياء الحارة والصلبة والخفيفة والعذبة، ألا تنزله في الجسد، أم في شيء ما آخر؟

ثييتس: كلا لا أنزله في أي شيء آخر.

سقراط: وهل تبغي أن توافق معي أن ما تشعر به بواسطة قوة من القوى، يستحيل عليك أن تشعر به بواسطة أخرى، ما تشعر به مثلاً بواسطة السمع أن تشعر به بواسطة البصر، وما تشعر به بواسطة البصر أن تشعر به بواسطة السمع؟

a 185

ثييتس: وكيف لا أبغي ذلك.

سقراط: ولكن إن فكّرت بأمر يمتّ إلى إحساسين، فلن تستطيع أن تشعر به بواسطة هذا العضو أو ذاك العضو الآخر.

ثييتس: فعلاً لن أستطيع ذلك.

سقراط: بشأن الصوت وبشأن اللون، ألا تفكّر أولاً يا ترى بأمر هو للاثين شأن واحد، وهو هذا: أنهما موجودان.

ثييتس: إنني أفكر به دونما ريب.

b سقراط: وتفكّر إذن أيضاً أن كلاهما غير الآخر، وأنه هو عين ذاته؟

ثييتس: ولم لا؟

سقراط: وأن كليهما اثنان، وكلاً منهما واحد؟

ثييتس:

أفكر بهذا أيضاً.

سقراط:

فأنت قادر إذن أن تتفحص هل هما متماثلان أم متباينان؟

ثييتس:

ربما.

سقراط:

هذه الاعتبارات كلها تفكر بها عن هذا وذاك. وعن الاثنين معاً بواسطة أية حاسة؟ إذ لا يسع المرء أن يدرك الفكرة المشتركة عن الاثنين لا بواسطة السمع ولا بواسطة البصر. وإليك هذه الدلالة أيضاً على ما نقول: لو كان يستطيع أن يفحصا كلاهما هل هما مالحان أم لا، فأنت تعرف أنك تملك ما تفحص به، وهذه القوة ليست البصر ولا السمع، على ما يظهر، بل شيء آخر.

ثييتس:

ولم لا تكون تلك القوة العاملة بواسطة اللسان؟

سقراط:

قولك جميل. ولكن قوة أي أداة أو حاسة تبدي لك ما هو مشترك في المحسوسات جملة وفي المحسوسين المشار إليهما؟ وما هو مشترك تدل أنت عليه بكلمة "يوجد" أو "لا يوجد"، وبالكلمات التي سألنا عنها منذ لحظة. فآية أداة أو حاسة تمنحها لهذه الصفات المشتركة، يستطيع "ما يشعر" فينا بواسطتها، أن يدرك كلاً من تلك الصفات؟

d ثييتس:

تعني بتلك الصفات الوجود واللاوجود والتشابه والتنافر والهوية والفارق، ثم الوحدة وكل عدد^(١) آخر يطبق على تلك الصفات. وواضح أيضاً أنك تسأل عن

(١) راجع المقدمة والجمهورية (a٥٢٦، b٥٢٢) التي تصف نشوء فكرة العدد.

المزدوج والمنفرد وعن كل ما يتبع ذلك. وتستفهم ربما
بأية حاسة من حواس الجسد تشعر روحنا بهذه
الصفات المشتركة كلها.

سقراط: ممتاز جداً، يا ثييتس، تتبّعك لي. وهذه بالضبط هي
الأمر التي أسأل عنها.

ثييتس: بيد أنني بحق زَفَس، يا سقراط، لا أحيّر جواباً. ومع ذلك،
يبدو لي أصلاً أنه ليس لهذه الصفات المشتركة كما لتلك
أداة أو عضو خاص، بل يظهر لي أن النفس هي ذاتها
بواسطة ذاتها تستقصي الصفات المشتركة بصدد جميع
المحسوسات.

سقراط: في الواقع أنت جميل، يا ثييتس، ولست شنيعاً، كما
شرع ثئودرس يقول. لأن من يَجْمَلُ كلامه هو أيضاً
جميل وصالح. وفضلاً عن جمالك، فقد أحسنت إليّ
وأعفيتني من عرض مبسط جداً، إذ بدت لك النفس
متفحّصة هي ذاتها بواسطة ذاتها بعض الأمور،
ومتبينة بعضها الآخر بواسطة قوى الجسد^(١). وهذا
ما كان يبدو لي أنا بذاتي. إلا أنني كنت أبغي أن يبدو
لك أيضاً.

١٨٦ a ثييتس: إنه ولا ريب يظهر لي في جلاء.

(١) إن كلمتي حاسة وعضو متعادلان. راجع سوييه، دراسة حول كلمة "قدرة"
(Dinamis) في محاضرات أفلاطون ص ١٦٤ - ١٦٥.

سقراط:

فإلى أي منهما تفرض أن الوجود ينتمي (إلى الجسد وقواه أم إلى النفس)؟ لأن الوجود خصوصاً يتسم بكمال الشمول^(١).

ثييتس:

أنا أفرض أنه ينتمي إلى الأمور التي تسعى إليها النفس ذاتها بذاتها وتبتغي بلوغها دون وساطة.

سقراط:

وهل ينتمي إليها المتشابه والمتماثل والهوية والفارق.

ثييتس:

أجل.

سقراط:

وما رأيك؟ الجميل أيضاً والقبيح والصالح؟

b ثييتس:

يبدو لي أن النفس تبحث، فيما تنظر إليه خصوصاً، عن وجود هذه الصفات، وتقابلها بعضها ببعض، مفكرة في ذاتها بالمشاعر الماضية والحاضرة وعارضة إياها على المستقبل.

سقراط:

ألا حسبك هذا. ولكن هل تشعر النفس بواسطة اللمس، من الصلب بشيء ما آخر سوى الصلابة، وكذلك من الرخو بشيء ما آخر سوى الرخاوة.

ثييتس:

كلا.

سقراط:

أما وجودهما وأنهما هما اثنان، ومعارضة الواحد منهما للآخر ثم وجود تلك المعارضة، فالنفس بعودتها هي ذاتها إلى تلك الأمور ومقارنتها الواحد بالآخر، تحاول أن تبدي لنا حكماً فيها.

(١) سوف يقول حوار السفستي، في الفقرة d٢٤٣ إن الوجود "هو الأعظم والزعيم الركن" وإنه "يتخلل جميع الأجناس" a٢٥٩. ترجمة الأب فؤاد جرجي بربارة، طبعة وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٩.

c ثييتس:

هذا بالضبط ما يحصل في الواقع.

سقراط:

إذن يتاح للبشر والبهاائم حال ولادتهم، أن يشعروا من طبعهم بكل الانفعالات التي تمتد وتبلغ إلى النفس عن طريق الجسد. أما ما يدور حول هذه الانفعالات من خواطر تُقلِّبُ أمر وجودها ومنفعتها، فلا يكاد يتحقق للبعض منهم إلا بعد زمن طويل، وجهود ومتاعب جسام وتهذيب حفيف، إذا ما تحقق بعد هذا كله^(١).

ثييتس:

إن قولك لصحيح من كل الوجوه.

سقراط:

فهل يستطيع مثلاً أن يلقي الحقيقة من لا يعثر حتى على الوجود؟

ثييتس:

يستحيل.

سقراط:

وعندما لا يحظى المرء بالحقيقة، أياكون آنذا متعلماً؟

ثييتس:

وكيف يمكن ذلك، يا سقراط؟

d سقراط:

فليس العلم إذن في الانفعالات، وإنما في تناجي الروح بشأنها. إذ يمكن أن نلامس الوجود والحقيقة ههنا في تناجي الروح، وليس هناك في الانفعالات^(٢).

(١) راجع التيمس a٥٢ ترجمة الأب فؤاد جرجي بربارة، طبعة وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٨. وفي نظر أرسطو ستكون معرفة الكل امتيازاً شبه الهي. ما وراء الطبيعة ٩٩٢ a-d.

(٢) راجع من حوار فيذن المقطع d٦٥ ومايلي حيث يقول: ليس لإحساسات الجسد من دقة أو وضوح. وإن رامت النفس بلوغ قدر من الحقيقة والوجود، فلن تستطيع ذلك إلا بالاستدلال. وفي جدوى هذا الحل، راجع المقدمة ف٣ م ١ ب٢. وقابل بما جاء في "محادثات مالبرانش حول ما وراء الطبيعة" ٥، ٢: "ليست حواسنا هي التي تنورنا وتطلعنا على الحقيقة، بل هو العقل في ارتباطه بالحواس".

ثبّيتتس:

هذا ما يظهر.

سقراط:

وهل تسمّي (عمل الجسم) ذاك، و(عمل الروح) هذا باسم واحد، مع أنهما ينطويان على كل هذه الفوارق؟

ثبّيتتس:

كلا لا يحق لنا هذا، وفي هذه الحال.

سقراط:

فأي اسم إذن تطلق على الواحد ذاك، بصرّاً كان أم سمعاً أم شماً أم شعوراً بالبرد والحر؟

ثبّيتتس:

أنا من جهتي أدعو كل هذا بفعل الإحساس. إذ بأي شيء آخر أسميه؟

e سقراط:

وجملة هذه الأفعال أَدْعُوها إحساساً؟

ثبّيتتس:

بحكم الضرورة.

سقراط:

ونحن نصرّح أن الإحساس لا نصيب له في ملامسة الحقيقة، لأنه لا يلامس الوجود أيضاً.

ثبّيتتس:

كلا فإنه لا نصيب له منهما في الواقع.

سقراط:

وبالتالي ولا من العلم؟

ثبّيتتس:

فعلاً ولا منه.

سقراط:

ومن ثمة، لن يكون الإحساس والعلم يوماً من الأيام، يا ثبّيتتس أمراً واحداً.

١٨٧ a ثبّيتتس:

يظهر يا سقراط، أنهما لن يكونا ذلك. لاسيما وقد اتضح الآن أوفى اتضاح أن العلم يغيّر الإحساس.

سقراط:

ولكن في الحقيقة، لم يكن قصدنا في بدء تحاورنا، أن نجد ما قد لا يكونه العلم، وإنما ما قد يكونه. إلا أننا قد

بلغنا حقاً نقطة هامة في بحثنا، وهي أن نعرض نهائياً
عن طلب العلم في الإحساس، لنتمسكه في ذاك الاسم، أياً
كان، الذي أحرزته النفس في انهماكها الذاتي وتشاغلها
من تلقاء ذاتها بالموجودات^(١)؟

ثييتس: ألا يا سقراط، إن اسم هذا الفعل، في ما أعتقد، هو
الحكم.

b سقراط: اعتقادك صائب، يا عزيزي. فعدّ الآن من جديد وانظر
من الأساس بعد أن شطبت كل ما سبق، إن كنت ترى رأياً
أفضل، بما أنك تقدّمت وبلغت هذه المرحلة. فقل لي مرة
أخرى ما هو العلم يا ترى.

(١) هذا الفعل ينطوي على مرحلتين: الفكر التحليلي البرهاني، ثم الحدس. وثييتس
لا يعالج إلا المرحلة الأولى.

الفصل الثالث

تحديد ثان للعلم

العلم هو الرأي الصحيح

ثييتس:

يستحيل القول، يا سقراط، بأن العلم هو كل رأي، بما أن الرأي هو أيضاً رأي كاذب، (أي قد يكون كاذباً خاطئاً). إلا أن الرأي الصادق يكاد يكون هو العلم. فليُحسَب هذا جوابي. وإن بدا غير ذلك عندما نتقدّم في درس القضية، كما حصل لنا الآن، فعندئذ سنحاول أن نقول قولاً آخر.

c سقراط:

ومع ذلك فهكذا ينبغي، يا ثييتس، أن تتكلم بجرأة، بدلاً من أن تتردد في الجواب، كما فعلت في البدء. فإن انتهجنا هذه الخطة، فما نلقاه هو أحد أمرين: إما أن نجد ما نسعى إليه، وإما أن يقلّ توهمنا أننا نعرف ما لا نعرفه من أية ناحية. بيد أن مكافأة من هذا النوع ليست لتُزدرى.

والآن ما قولك يا ترى؟ لما كان للظن أو الرأي نوعان، الأول الرأي الصادق الصحيح، والثاني الرأي الكاذب، فأنت تحدد العلم بأنه رأي صحيح؟

أجل أنا أحدهم بذلك. لأن هذا ما يتبدّى لي الآن.

ثييتس:

سقراط:

ولكن هل يبقى بعد، بصدد الظن، ما يستحق أن يعاد

النظر فيه من جديد؟

ثييتنس:

وأي أمر تعني؟

d سقراط:

إن ما يُقلق راحتي بعض الإقلاق، الآن ومراراً أخرى

كثيرة، بحيث أفضي إلى ارتباك جزيل تجاه نفسي وتجاه

الآخرين، هو أنني لا أستطيع أن أستفسر ما هو ذاك

الأمر الذي تعاني منه وبأية صورة ينشأ فينا .

ثييتنس:

ولكن أي أمر.

المطلب الأول

مشكلة الخطأ

البحث الأول : الحرج بين العلم واللاعلم وبين الوجود واللاوجود

سقراط:

إن المرء يرتئي آراء باطلة. إنني أتفحص الأمر الآن أيضاً

وأتردد فيه. وأتساءل هل ندعه جانباً، أم نسبره على

طريقة تخالف الطريقة المتبعة قبل هذا بقليل.

ثييتنس:

ولم لا، يا سقراط، إذا ما ظهر لك من أية جهة كانت، وجوب

تفحصه؟ لأنك منذ فترة قصيرة، لم تسئ أنت وتؤذرس

عندما تحدثت عن التمتع بالفراغ، إذ رحمتا تقولان أن لا

شيء يستحقنا ويضايقنا في مثل هذه المباحثات^(١).

(١) هذه التلاميخ إلى الفراغ موزعة هذا التوزيع عمداً (e١٥٤، c١٧٢، e١٨٧) لتربط ببقية الحوار الاستطراد العريض الذي توسطه.

سقراط:

لقد أصبت في تذكيرك، إذ ليست الفرصة ربما غير مؤاتية لنستعيد البحث وكأننا نتتبع أثره. لأن الأفضل من بعض الوجوه هو أن ينجز المرء قسطاً زهيداً من العمل إنجازاً حسناً، لا أن ينجز قسطاً أوفى دون أن يوفيه حقه من الإتيان.

ثييتس:

لا ريب في ذلك.

سقراط:

فكيف نعمل إذن؟ وماذا نقول أيضاً؟ كل مرة نصرّح أن رأياً هو خاطئ وأن أحدنا يرتئي رأياً خاطئاً، وهذا أو ذاك رأياً صادقاً واقعياً، فهل نزع عندئذ أن هذه الأمور هي بالطبع كما هي؟

ثييتس:

فعلاً نزع ذلك بدون ريب.

a ١٨٨

سقراط:

إذن ألا يمكن، في جميع الأشياء وفي كل منها بمفرده، أن يقع لنا هذا الأمر وهو أن نعرفها أو لا نعرفها. وأدع في الوقت الحاضر جانباً أمر التعلم والنسيان وأمر وقوعهما بين العلم واللاعلم. لأن هذا الموضوع لا يجدينا فتيلاً في بحثنا الحالي.

ثييتس:

إذن يا سقراط، لم يبق بصدد كل من الأشياء، وهذا أكيد، سوى العلم أو اللاعلم.

سقراط:

وبالتالي ألا تحتم الضرورة من الآن، أن يرتئي المرتأي شيئاً مما يعرف أو لا يعرف.

ثييتس:

بلى تحتم الضرورة ذلك.

b سقراط:

وأكيد أنه يستحيل أن لا يعرف العارف ما يعرفه بالذات، وأن يعرف غير العارف ما يجهل بالذات.

ثييتس:

وكيف لا؟

سقراط:

فمن يرتئي إذن آراء خاطئة، أيعتقد أن الأشياء التي يعرف ليست ما يعرف، بل أشياء أخرى مما يعرف؟ وفي حال معرفته لهذه وتلك، أيجهل هذه وتلك؟

ثيثيتس:

ألا إن هذا الأمر لمستحيل، يا سقراط.

سقراط:

وهل يعتقد يا ترى أن ما لا يعرف هو غير ما يعرف، أي أن من لا يعرف مثلاً لا ثيثيتس ولا سقراط، يتبادر إلى ذهنه أن سقراط هو ثيثيتس أو أن ثيثيتس هو سقراط؟

c ثيثيتس:

وكيف يمكنه أن يعتقد ذلك؟

سقراط:

وبصورة أكيدة، لن يعتقد أحد أن ما يعرف هو من بعض الوجوه ما لا يعرف، كما لن يعتقد أيضاً أن ما لا يعرف هو ما يعرف.

ثيثيتس:

طبعاً إذ يكون هذا الاعتقاد هولة من الهول.

سقراط:

فكيف إذن يستطيع المرء بعد ذلك، أن يظن ظنوناً كاذبة، لأنه يستحيل عليه إذا استثنى هذه الافتراضات السابقة، مجرد الظن، من حيث أننا نعرف كل شيء أو لا نعرفه. وفي كلتا الحالتين يظهر أبداً ودائماً أنه لا يقدر أن يظن ظنوناً خاطئة.

ثيثيتس:

أقوالك في غاية الصحة.

d سقراط:

إذن، ألا يفرض علينا أن نمضي في البحث عما نلتمسه، لا من جهة العلم واللاعلم، وإنما من جهة الوجود واللاوجود؟

ثيثيتس:

ماذا تعني بهذا الكلام؟

سقراط:

ألا يكون بسيطاً تأكيدنا أن من يرتئي أشياء غير موجودة حول أي موضوع، لا يمكنه أن يرتئي إلا آراء كاذبة، مهما كانت خواطر ذهنه من نواح أخرى؟

ثييتس:

هذا أيضاً محتمل يا سقراط.

سقراط:

فما حيلتنا في هذه الحال؟ ماذا نقول، يا ثييتس، لمن يعارضنا متسائلاً: "أما يُقال مستطاع لدى أي كان؟ وأي إنسان يسعه أن يرتئي ما لا يوجد، سواء أن يرتئي حول موجود من الموجودات، أم أن يرتئي هذا اللاموجود في حد ذاته^(١)؟" ونحن على ما يبدو، نجيب دون تردد على هذه التساؤلات: "يسعه ذلك حينما يعتقد، معتقداً أشياء غير صحيحة ولا واقعية". أم كيف نعبر عن فكرنا؟

ثييتس:

كما عبرت.

سقراط:

وهل يوجد مثل هذا الوهم في حالات أخرى يا ترى؟

ثييتس:

أي وهم؟

سقراط:

أن يرى أحداً شيئاً ما، وهو لا يرى شيئاً.

ثييتس:

وكيف ذلك؟

سقراط:

من المؤكد أن من يرى شيئاً ما، يرى شيئاً من الموجودات. أم ربما تعتقد أنت أن الشيء هو من جملة غير الموجودات.

ثييتس:

كلا أنا لا أعتقد ذلك.

سقراط:

فمن يرى إذن شيئاً ما، يرى موجوداً ما.

a ١٨٩ ثييتس:

الأمر واضح.

سقراط:

والسامع إذن شيئاً ما، يسمع ولا بد شيئاً واحداً ما، ويسمع موجوداً ما.

ثييتس:

أجل.

(١) إن أدعاء الحكمة كانوا يرفضون إمكان توهم اللاموجود. راجع في ذلك من المقدمة الفصل الثالث ٢ ب ١ ح ٣، وحوار أفنيذمس a ٢٨٤ - ٢٨٧. وأفلاطون نفسه قد رفضها في جمهوريته، c ٤٧٨ - b.

سقراط:

ومن يلمس أيضاً شيئاً واحداً، يلمس شيئاً ما، وشيئاً موجوداً، من حيث هو واحد.

ثييتس:

وهذا أيضاً واضح.

سقراط:

ومن يحكم، ألا يحكم في الواقع على شيء ما؟

ثييتس:

ضرورة.

سقراط:

والذي يحكم على شيء ما، ألا يحكم على شيء ما هو موجود؟

ثييتس:

أسلم لك بهذا.

سقراط:

إذن من لا يحكم على شيء موجود، لا يحكم على شيء؟

ثييتس:

يظهر أنه لا يحكم على شيء.

b سقراط:

فمؤكد إذن أن من لا يحكم على شيء، لا يحكم على الإطلاق^(١).

ثييتس:

الأمر جليّ فيما يبدو.

سقراط:

إذن لا سبيل للمرء أن يبدي حكماً على اللاموجود، لا بصدد الموجودات ولا بصدد اللاموجود ذاته في حد ذاته.

ثييتس:

يظهر أنه لا سبيل إلى ذلك.

سقراط:

إذن الحكم الخاطئ هو شيء آخر يفاير الحكم في الأشياء غير الموجودة.

ثييتس:

يبدو أنه شيء آخر.

سقراط:

إذن لا يوجد الرأي الخاطئ فينا، لا على هذا النحو ولا على النحو الذي رحنا نبحثه قبل هذا بقليل.

(١) سوف يقول مالبرانش في كتابه البحث عن الحقيقة: "أكيد أن العدم أو الخطأ لا يقبل أن يرى أو يدرك فمن لا يرى شيئاً، لا يرى على الإطلاق. ومن يفكر بلا شيء، لا يفكر على الإطلاق ولكن إن كانت العلاقة غير الموجودة، المنشأة خطأ، لا تقبل أن تظهر، "فالعلاقة هذه غير الموجودة قابلة لأن تُصدّق".

Recherche de la Vérité. Livre IV, éd, Jules Simon, II, 98. cf ibid. p. 298.

ثيتتس:

في الواقع لا على هذا النحو ولا على ذلك.

سقراط:

ولكن أ يحدث على الوجه التالي فنطلق عليه اسم رأي خاطئ؟

c ثيتتس:

على أي وجه؟

البحث الثاني

خطأ الإبدال

ثيتتس:

نقول عن الرأي أنه خاطئ وكاذب، باعتباره رأي غير الواقع، عندما يبدل أحدا في ذهنه شيئاً من الموجودات بشيء آخر موجود أيضاً، ثم يزعم أن هذا الأخير هو الأول. فعلى هذا النحو إنه يرتئي دوماً شيئاً موجوداً. وإنما يبدل موجوداً بموجود، إذ يخطئ ما يبحث عنه، فيقال عنه بحق أنه يحكم حكماً خاطئاً.

ثيتتس:

يبدو لي أنك أصبت الآن شاكلة الصواب. لأن المرء عندما يرى أن الجميل قبيح وأن القبيح جميل، فعندئذ يبدي حكماً خاطئاً في الحقيقة.

سقراط:

لقد أظهرت يا ثيتتس، أنك تحتقرنني ولا تهابني.

d ثيتتس:

بأي شيء خصوصاً؟

سقراط:

أعتقد أنني لا أبدو لك قادراً على أن أعارضك في قولك "خاطئاً في الحقيقة"، وأن أسألك هل يمكن أن يحدث السريع ببطء، والخفيف بتثاقل، أو يمكن الشيء المضاد المناقض أن لا يجاري طبيعته، بل طبيعة ضده ونقيضه، وأن يعاكس نفسه. بيد أنني أعرض عن هذا الموضوع، كي

لا يكون تحمّسك باطلاً. ولكن على ما تقول وتدّعي، هل يحسن لديك أن يكون الحكم الخاطئ حكماً على غير الواقع؟

ثييتس:

يحسن لدي.

سقراط:

يمكن إذن في رأيك، أن يفترض المرء بذهنه أن الشيء هو آخر، لا أنه ذاك الشيء.

e ثييتس:

يمكن دون ريب.

سقراط:

إذن حين يأتي ذهن امرئ هذا العمل، ألا تَفرض الضرورة أن يفكر ذهنه إما بكلا الشيئين وإما بأحدهما؟

ثييتس:

هذا ما تفرضه الضرورة في الواقع: فإما أن يفكر بالاثنين معاً، وإما أن يفكر بكل منهما في دوره.

سقراط:

أقوالك جميلة جداً. ولكن هل تدعو التفكير بالضبط ما أدعوه أنا؟

ثييتس:

وما تدعوه؟

سقراط:

قولاً تستعرض النفس ذاتها بذاتها تفاصيله بشأن ما تبحث عنه من أمور. ولكنني أبدي لك نظريتي كإنسان غير مطلع. لأن النفس في تفكيرها بما أشرنا إليه، تبدو لي وكأنها لا تأتي عملاً آخر سوى التحوار. فهي ذاتها تسائل ذاتها وتجبب، وتؤكد وتنفي. وحينما تحدد موقفها، أبلغته بشيء من البطء أم بشيء من السرعة، فهي آنذاك تعبر عنه ولا تتردد. وهذا ما نسميه رأيها. ومن ثمة فأنا أدعو فعل الحكم فعل القول، وأدعو الرأي قولاً قد نُطق به، ولكن لا لآخر

a190

ولا بالصوت، وإنما قاله المرء في صمتٍ لنفسه^(١).

وأنت ماذا تدعوه؟

ثئيتس: وأنا أيضاً أدعوه مثلك.

سقراط: فعندما يظن المرء إذن الشيء آخر، فهو يقول لنفسه، كما

يبدو، إن الشيء آخر.

b ثئيتس: ولم لا؟

سقراط: فهل تذكر بتأكيد أنك قلت لنفسك ذات مرة، إن الجميل

هو جميل أكثر من أي شيء قبيح، أو أن الظلم عادل. أو

ابحث أيضاً، وهذا رأس جميع مسائلنا الحاضرة، هل

حاولت في يوم من الأيام، أن تقنع ذاتك إن الشيء هو آخر

أكثر من أي شيء، أو على عكس ذلك تماماً، لم تتجراً

مرة واحدة ولا في المنام أن تقول لنفسك مثلاً إن الأعداد

المزدوجة هي فرادی من كل الأوجه، أو أن تقول شيئاً آخر

ممثالاً.

ثئيتس: أقوالك صادقة.

c سقراط: وهل تحسب أن رجلاً في صحته العقلية أو في حال

الجنون قد يجرؤ ويقول لذاته جاداً، وهو يقنع نفسه، أن

الثور حتماً هو حصان أو أن الاثنين هما واحد^(٢)؟

(١) راجع من السفسطي المقطع e٢٦٣ ومايلي، ثم من الفيلسوف المقطع e٣٨-c فتجد فيهما وصفاً حياً لهذا الحوار الباطني. والاتان ترجمة الأب فؤاد جرجي بربارة، طبعة وزارة الثقافة، ١٩٦٩ و ١٩٧٠، دمشق.

(٢) سوف يقول مالبرانش في مصنفه البحث عن الحقيقة، حتى لو فرض أن هنالك إلها خذاً "أنا أشعر... أنني لن أستطيع الشك بوجودي، أو أن اثنين واثنين يعادلان أربعة، لأنني أدرك هذه الأمور بنظرة روحية مجردة، دون اللجوء إلى

الذاكرة. Malebranche, Recherche de la vérité, livre VI edition J. Simon. II p, 387.

ثييتس:

بحق زفس أنا لا أحسب ذلك.

سقراط:

فإن كان إذن تَحَدُّثُ المرء إلى ذاته هو حكم، فلا أحد في حديثه الباطني عن شيئين وإبداء رأيه فيهما، وملامسته إياهما بالنفس، قد يقول عنهما ويرتأي فيهما أن الواحد هو الآخر. فلا بد لك أيضاً أن تدع كلمتك (المضادة ر ١٨٩ ٨d) بشأن الآخر. وأنا أقول هذا بمعنى أن المرء لا يحسب أبداً أن الجميل قبيح أو يحسب شيئاً آخر من مثل هذا على عكسه.

ثييتس:

ألا يا سقراط، إنني أدعها جانباً وأرى رأيك في ما تقول.

سقراط:

يستحيل إذن على من يبدي رأيه في شيئين، أن بحكم بأن الواحد هو الآخر.

ثييتس:

هذا ما يبدو.

سقراط:

وإذا كان يبدي رأيه في أحدهما فقط، ولا يبديه في الآخر قطعاً، فلن يحكم أبداً أن الواحد هو الآخر.

ثييتس:

إنك تتكلم عن أمر صحيح واقعي. إذ يضطرّ في تلك الحالة أن يلامس بنفسه ما لا يبدي رأيه فيه^(١).

e سقراط:

إذن لا يُفسح المجال أمام من يبدي رأيه في شيئين معاً أو في أحدهما، ليظن ظناً يغير واقعه هذا. وبالتالي، إن حدّد أحد الرأي الخاطئ، وادعى أنه ظنّ شيء آخر، غير ما يبدي فيه رأيه. فهو يدّعي ادعاء باطلاً. إذ يظهر أن الرأي الخاطئ لا ينشأ فينا لا على هذا الوجه الأخير، ولا على الأوجه السابقة.

ثييتس:

يبدو أنه لا ينشأ هكذا.

(١) وقد يقال: "بما يغيب عن التصوّر" أو "عن الشعور".

سقراط:

ولكن يا ثييتس، إن لم يتبدّل لنا الرأي الباطل موجوداً، فنحن نضطر إلى الاعتراف بأمور كثيرة غير مأنوسة ولا مقبولة.

ثييتس:

وما هي يا ترى؟

سقراط:

لن أقولها لك قبل أن أنجز التدقيق فيها من كل النواحي. إذ قد أخجل مني ومنكم، في هذه المشكلة المغلقة التي وقعنا فيها، إن اضطررنا أن نعترف بأمور غير معقولة من طراز ما أعني. ولكن إن وجدنا حلاً للمشكلة وغدونا أحراراً، فحينئذ سوف نقول تلك الأمور عن الآخرين، لأنهم يعانون من مشكلتنا، ونحن غير معرضين للسخرية. وأما إن أخذت علينا مذاهبنا من كل صوب، فأعتقد أننا نوحى للعقل أن يذلنا كمن أصابهم غثيان البحر، وأن يطانا ويتصرّف بنا كما يشاء. ولكن اسمع من أين وجدت مرة أخرى مخرجاً لبحثنا. تكلم فقط.

ثييتس:

سقراط:

أصرّح أننا لم نصب في إقرارنا، لما اعترفنا أنه يستحيل على المرء أن يرتئي أن ما يعرف هو ما لا يعرف. وأن يخطئ من هذا القبيل. غير أن ذلك ممكن من بعض الوجوه.

b

ثييتس:

لعلك تعني ما خمنت أنا في ذاك الحين، عندما شرعنا نقول عن هذا الأمر إنه شيء يماثل الحادث التالي، وهو أنني مع معرفتي سقراط، أرى أحياناً عن بعد شخصاً آخر لا أعرفه فأظنّ أنه سقراط الذي أعرف. فيقع إذن في مثل هذه الحال ما تشير إليه.

سقراط:

ولكن ألم نعدل عن هذا التفسير، لأنه يجعلنا لا نعرف ما نعرف في حين معرفتنا؟

ثييتس:

فعلاً وبكل تأكيد.

c سقراط: فمن ثمة لا نفرض وقوع الخطأ في الرأي، على الوجه السابق، وإنما على الوجه الآتي. فلعل الأمر ينفسح أمامنا، وعله أيضاً يقاومنا. ونحن في وضع يضطرنا إلى تقليب كل قول وبرهان وإلى تمحيصها. فتحرّ إذن هل من معنى لقولي. أيتاح يا ترى لمن لا يعرف شيئاً ما من قبل، أن يتعلّمه في ما بعد؟

ثييتس: أكيد أنه يتاح له ذلك.

سقراط: ألا يتاح له أيضاً أن يتعلّم غيره وغيره؟

ثييتس: ولم لا؟

d سقراط: فافترض معي إذن، لحاجة التبيان أن في نفوسنا مادة شمعية لينة، وأنها في أحدنا أغزر وفي الآخر أزهد، وفي هذا من شمع عسلي أنقى، وفي ذاك أكثر قذارة. وفي الواحد أصلب وفي الآخر أرطب. وفي البعض منّا أوفر اعتدالاً.

ثييتس: لقد افترضت ذلك.

سقراط: ولنصرّح أنها ولا ريب، هبة أم ربات الفنون امنمسيّني، وأن غايتها أن نطبع فيها ما نبتغي حفظه مما نراه أو نسمعه أو نفكر نحن به في ذواتنا، مقتبسين إياه من مشاعرنا وخواطرنا، فتحفر فيها سماته، وكأنها سمات الخواتم. فما يختم منه (في تلك المادة الطرية)، نذكره ونعلّمه ما لبثت صورته فيها وأما ما ينمحي منه، أو ما لم يتيسّر ختمها به، فمصييره النسيان وامتناع المعرفة.

e

ثييتس:

لنحسب أن الأمر يجري على هذا النحو.

سقراط:

فأنعم النظر إذن في من يعرف مشاعره وخواطره، ويدقق في شيء مما يرى أو يسمع، وتساءل هل يمكنه يا ترى أن يرتئي آراء خاطئة على هذه الطريقة.

ثييتس:

وأية طريقة بالضبط.

سقراط:

أن يعتقد أن ما يعرفه هو تارة ما يعرفه وتارة ما لا يعرفه. لأننا في ما سبق قد اعترفنا، ولم نحسن في اعترافنا، بأن مثل هذه الأمور مستحيلة.

ثييتس:

وأما الآن فكيف ترى؟

a 192 سقراط:

يجب أن يُعبر عنها وأن تُحدد وتُضبط من أساسها على الوجه التالي. إنه ليستحيل على من يعرف شيئاً ويحفظ ذكره في نفسه وهو لا يشعر به، أن يظن أن ذاك الشيء هو شيء آخر مما يعرف ومما يحتفظ برسمه دون أن يشعر به. كما يستحيل عليه أيضاً أن يعتقد أن ما يعرف هو ما لا يعرف وما لا يحفظ ختمه في نفسه. وأن ما لا يعرف هو ما لا يعرف. وأن ما لا يعرف هو ما يعرف. وأن يعتقد بأولى حجة أن ما يحس به هو شيء ما آخر مما يحس به. وأن ما يحس به هو شيء مما لا يحس به، وأن ما لا يحس به هو شيء مما لا يحس به. وأن ما لا يحس به هو شيء مما يحس به.

b

ثم أضف إلى هذا إن أمكن، أنه أكثر استحالة مما سبق أن يعتقد من يعرف شيئاً ويحس به ويمتلك دلالة طبقاً

(١) يطيب لسقراط أن يذعر ثييتس. راجع المقدمة، ف ٣ م ٢ ب ٢.

لإحساسه، أن ذاك الشيء هو شيء ما آخر مما يعرف
ويحس به ويمتلك أيضاً دلالة طبقاً لإحساسه.

ويستحيل أيضاً أن يحسب أن ما يعرفه ويشعر به حافظاً
ذكره حفظاً قوياً، هو شيء (آخر) يعرفه. كما يستحيل
عليه أن يظن أن ما يعرفه ويشعر به حافظاً إياه بعين
الدقة، هو شيء آخر يشعر به. ثم إن ما لا يعرفه ولا
يشعر به، هو ما لا يعرف وما لا يشعر به. وإن ما لا
يعرفه ولا يشعر به هو ما لا يشعر به. ففي هذه الحالات
كلها يستحيل كل الاستحالة على المرء أن يبدي حكماً
خاطئاً.

c

فيبقى إذن أن الحكم الكاذب الخاطئ يحدث في أحوال
تماثل الأحوال الآتية، إذا ما تمّ لمثل هذا أن يحدث في
حالة ما.

في أية أحوال بالضبط؟ فلعلي أفهم منها شيئاً فهماً أوفى
لأنني الآن لا أتبع.

ثيتيتس:

في أحوال يعتقد فيها أن ما يعرف هو بذاته شيء ما آخر
مما يعرف ويشعر به، أو شيء مما لا يعرف وإنما يشعر
به، أو أن ما يعرف ويشعر به هو مما يعرفه أيضاً ويشعر
به.

d

سقراط:

لقد قصرت الآن عن اللحاق أكثر بكثير من ذي قبل.

ثيتيتس:

أنصت إلي مرة أخرى واستمع لكلامي هذا: أنا عندما
أعرف ثئودرس وأذكر في ذاتي كيف هو، وأعرف على
النحو عينه ثيتيتس، فأراكم أحياناً، وأحياناً لا، وألامسكم
مرة، وأخرى لا، وأسمعكم أو أشعر بكم شعوراً آخر،

سقراط:

وأحياناً لا أشعر بكم أي شعور، هل يمنع هذا كله تذكري
إياكم، أو يقلل في شيء من معرفتي لكم في باطني؟

e ثييتس: في الواقع كلا.

سقراط: فاعلم إذن هذه النقطة الأولى مما أبغي تبينه. وهي أن
في إمكان المرء أن لا يشعر بما يعرف. كما في إمكانه أن
يشعر به.

ثييتس: هذا صحيح.

سقراط: ألا يمكن أيضاً مراراً أن لا يشعر المرء بما لا يعرف، وأن
يشعر به فقط مراراً؟

ثييتس: هذا ممكن أيضاً.

سقراط: فتأمل إذن هل تتابع الحديث الآن متابعة أوفى. إن كان
سقراط يعرف ثئودرس وثييتس، ولكنه لا يرى لا هذا
ولا ذاك، ولا يداخله بشأنهما أي شعور، فمع هذا لن
يحكم في ذاته مرة من المرات أن ثييتس هو ثئودرس فهل
من معنى لكلامي أو لا؟

ثييتس: بلى، وهو فعلاً كلام صحيح.

سقراط: فهذه إذن كانت النقطة الأولى مما رحْتُ أبسطه.

ثييتس: وهي كذلك في الواقع.

سقراط: والنقطة الثانية هي أنني إن كنت أعرف أحدهما ولا
أعرف الآخر، ولا أشعر بأي منكما، فلن أعتقد أيضاً
 يوماً من الأيام أن من أعرف هو من لا أعرف.

ثييتس: قول سديد.

سقراط:

والنقطة الثالثة هي أنني إن كنت لا أعرف أيّاً منكما ولا أشعر به، فلن أعتقد أن من لا أعرف هو شخص ما آخر ممن لا أعرف. والحالات الأخرى الواردة في الطبيعة، إحسب أنك سمعتها مجدداً على التوالي. ففيها لن أبدي أبداً حكماً خاطئاً لا بشأنك ولا بشأن ثئودرس، سواء عرفتكما أم جهلتكما، أم عرفت الواحد وجهلت الآخر. وإن كنت تتبع بدقة، فاعتقد في الإحساسات عين الاعتقاد.

ثييتس:

إنني أتبع.

سقراط:

يبقى إذن أنني قد أبدي حكماً باطلاً في الحال التالية: عندما أعرفك أنت وثنودرس، واحتفظ في تلك المادة الشمعية بما يشبه رموزكما أنتما الاثنين، وكأنها رموز خاتميكما، وأسعى عن بعد ودون أن أراكما رؤية كافية، أن أهب سمة كل منكما إلى الرؤية الخاصة التي أراه بها، دافعاً هذه السمة لتتطبق على أثر هذه الرؤية في كي يحدث التعارف. وبعد ذلك إن فشلت ولم أبلغ الهدف، وفعلت كمن يحتذون أحذيتهم ويخالفون في احتذائها، فبدلت أنا أيضاً ودفعت رؤية كل منكما إلى سمة انطباع الآخر فيّ، أو عانيت مما يحدث للبصر في المرايا، عندما تسري الرؤى من اليمين إلى الشمال أو على عكس ذلك، وأخطأت المرمى، فعدتدني يقع لي أن أبدي حكماً خاطئاً وأن أزعم زعماً يخالف الواقع.

(١) انظر وصف هذه الظاهرة في التيمس c٤٦ - a. طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ترجمة الأب فؤاد جرجي بربارة، دمشق ١٩٦٩.

ثييتس:

فعلاً هذا ما يبدو، يا سقراط. وكم تصف وصفاً بديعاً
ما يعاني منه الرأي.

سقراط:

وهناك أيضاً حالة أخرى. عندما أعرفكما أنتما الاثنين،
وفضلاً عن معرفتي للواحد منكما أحس به أيضاً. وأما
الآخر فلا أحس به. ومعرفة هذا الآخر أحرزها، ولكن
غير ناجمة عن الإحساس (الحاضر). وهذا ما رحت
أبسطه على هذا النحو في النظرات السابقة، ولم تفهمني
عندئذ.

e ثييتس:

فعلاً لم أفهمك.

سقراط:

فهذا ما رحت أعرضه. وهو أن المرء عندما يعرف أحداً
ويحس به، فيمتلك معرفته مطابقة ومبنية على
الإحساس به، لن يحسب أبداً أنه آخر وواحداً ممن
يعرفهم ويحس بهم، ويحوي معرفته لذاك الآخر أيضاً
مطابقة لإحساسه. فهل هذا ما كنت أفصله؟

ثييتس:

أجل

سقراط:

فقد تبقى لدينا إذن احتمال نحن الآن نتكلم عنه، وفيه
يحدث الرأي الباطل، على ما نزع. وهو أن يعرف المرء
شيئين ويراهما أو يشعر بهما شعوراً ما آخر دون أن يملك
عن كل منهما سمة تطابق إحساسه بهما. بل يمضي بهذه
السمة كرامٍ فاشل بالقوس، فينحرف عن الهدف
ويخطئه. وهذا بالضبط ما سُمي خطأً.

ثييتس:

هذا معقول ولا ريب.

سقراط:

فعندما يقتزن الإحساس بإحدى السمات (المنطبعة في

b

(النفس) ولا يقترن بأخرى، وسمّة الإحساس الغائب تنطبق على الإحساس الحاضر، ففي هذه الحال يخطئ الفكر على كل وجه. وبكلمة واحدة، بصدد ما لم يعرفه المرء من أشياء، وما لم يشعر به قط، لا يمكن المرء، فيما يتهيأ لي، لا أن يخطئ ولا أن يبدي رأياً فاسداً أو خاطئاً. هذا إن كنا نعبر الآن عن فكر سليم. أما بصدد ما نعرف من أشياء وما نحسّ به، ففي هذه بالضبط يدور الرأي الكاذب الخاطئ ويتقلب، ويحدث الرأي الصحيح الصادق. فإن مضت الصور المماثلة في النفس مستقيمة إلى انطباعات (الإحساس) القائمة بإزائها والخاصة بها، كان الرأي سديداً صادقاً، وإن عرّجت والتوت في انطلاقها، كان الرأي الخاطئ.

c ثييتس: ألم تعبر يا سقراط، تعبيراً جميلاً (عن قضية سداد الرأي وخطأه)؟

سقراط: أنصت أيضاً إلى ما يلي فتزداد حقاً في إعجابك. لأن إبداء الحقيقة في الحكم جميل، وإبداء الكذب والباطل هو قبيح.

ثييتس: وكيف لا؟

سقراط: يقال إذن إن هذا وذاك يصدران عن المصدر التالي. حين يكون الشمع في نفس امرئ عميقاً وافراً ليناً ومعجوناً

(١) يميز سقراط في هذا المقام بين السمات أو الصور النافرة $\alpha\pi\omicron\tau\upsilon\pi\omega\mu\alpha\tau\alpha$ imago expressa والصور المنطبعة $\tau\upsilon\pi\omicron\upsilon\varsigma$ forma impressa، أو القالب المحفور. فعندما تعود الصورة المنطبعة وتحضر بشكل إحساس أو انطباع حالي، فالتعارف يكون كاملاً، إذا انطبقت السمعة أو الأثر -الذكرى انطباقاً تاماً على انطباع الإحساس.

عجناً وافياً، فما يسري عن طريق الإحساسات، يأتي وينطبع في قلب النفس هذا، وقد دعاه هومرس بهذا الاسم، وأورى بذلك إلى مشابهته الشمع. وعندئذ تُدخل أمثال هذا المرء سمات أو صور صافية رائقة نقية، لها كفايتها من العمق، تلبث طويلة الأمد. ويكون أصحابها أولاً سريعي التعلم ثم طويلي الحفظ. وعلاوة على ذلك فهم لا يبدلون رموز الإحساسات ويخلطون بعضها ببعض، بل يرتوون آراء صائبة. وإذا تكون السمات صافية، نازلة على الرب والسعة، فهم يوزعونها بسرعة على ما ترك كل منها فيهم من أثر. وهي تدعى عندئذ حقائق واقعية وأصحابها يُدعون ولا ريب حكماء. أليست من هذا الرأي؟

هذا رأيي إلى منتهى الحد.

e ثييتس:
سقراط:

والقلب الذي امتدحه الشاعر الجزيل الحكمة، قد يكون عند بعضهم مغلقاً، أو قد يكون أحياناً قدراً شمع غير نقي، أو مفرط الرطوبة أو الصلابة. فمن كان قلبهم رطباً أجادوا التعلم ومالوا إلى النسيان. ومن جف قلبهم ويبس كانوا على عكس ذلك. أما أصحاب القلوب المغلفة القاسية المتحجرة، المليئة بما خالطها من تراب أو عكر وقذارة، فهم يحتفظون بانطباعات وآثار غير صافية. وأصحاب القلوب اليابسة انطباعاتهم غير صافية، إذ ليس لها عمق. وغير صافية أيضاً انطباعات أصحاب القلوب الرطبة، إذ تغدو غامضة لسرعة ذوبانها وانصهارها. وبالإضافة إلى ما تقدم، إن أحرز أحدهم نفساً ضئيلة صغيرة ووقعت صورها لضيق المكان بعضها

a190

على بعض، فعندئذ تقصر هذه الصور عن الانطباعات السابقة جلاءً وصفاءً. ومن ثمة يتعرض جميع هؤلاء لأن يبدو آراء خاطئة. لأنهم حين يرون شيئاً أو يسمعونهُ أو يفكرون به، لا يستطيعون أن يوزعوا في سرعة كلا من انطباعاتهم على كل من آثارها في نفوسهم، إذ إنهم بطيئون يخالفون في التطبيق، فيرون أكثر الأمور خطأً، ويسمعونها خطأً ويفكرون بها خطأً لانحرافهم عن واقعها. فيدعى هؤلاء أيضاً فاشلين أميين لا يصيبون الوقائع والموجودات.

b تثيتس: إنك يا سقراط، تبدّ الناس طرّاً بصواب كلامك.

سقراط: أنصرّح إذن أن فينا آراء كاذبة؟

ثثيتس: بكل تأكيد.

سقراط: وآراء صحيحة صائبة؟

ثثيتس: وآراء صائبة.

سقراط: في اعتقادي إذن أننا اتفقنا الآن اتفاقاً وافياً على وجود

هذين الرأيين، وأن هذا الوجود أثبت من أي شيء آخر؟

ثثيتس: أجل قد اتفقنا إلى منتهى الحد.

c سقراط: ويكاد الرجل المهدار في الحقيقة، يا ثثيتس، أن يكون

فظليعاً وقحاً.

(١) سوف تعثر على تصنيف ضروب الذاكرة، في كتاب الذاكرة لأرسطو ف١، ولدى

مالبرانش في كتابه بحث عن الحقيقة، ب٢ ف٦. ولكن أقدم عرض لهذا النوع من

الدراسات هو الفصل الخامس والثلاثون من الباب الأول من كتاب نظام المعيشة.

راجع من المقدمة ف٤ م٢ ب٢.

ثييتس:

ماذا طراً عليك؟ ولم قلت هذا القول؟

سقراط:

لاستيائي من بطء فهمي ومن ثرثرتي الحقيقية. إذ أي لقب يطلق المرء على من يجذب أطراف الحديث ويقلبها على كل وجه، ولا يقدر لبلاهته أن يقتنع بها، ويصعب عليه أن ينفك عنها؟

ثييتس:

وأما أنت فما هو موضوع استيائك بالضبط.

سقراط:

لا يشق علي الأمر فحسب، بل أتهيب أيضاً إجابتي على من يسألني: "يا سقراط، لقد وجدت ولاشك أن الرأي الفاسد لا يقوم على علاقة الإحساسات بعضها ببعض ولا على علاقة الأفكار والخواطر، وإنما على انطباق الإحساس والفكر وانسجامها؟" فأعلنُ بفخر، فيما أعتقد، أننا قد وجدنا حقيقة بهية.

ثييتس:

وهذا رأيي أنا أيضاً، يا سقراط، إن تبياننا إلى الآن ليس بقبيح.

سقراط:

فيردف: "تقول إذن أن الرجل الذي نفكر به فقط ولا نراه، لن نقدر أبداً أن نحسبه حصاناً، لا نراه أيضاً ولا نلامسه، بل نفكر به فقط، دون أن نحس أي إحساس بشأنه!". فأجيبه، فيما أظن، أن هذا ما أقوله فعلاً.

ثييتس:

وتصيب دون ريب.

سقراط:

فيضيف: "وما بالك إذن، الأحد عشر التي لا يدركها المرء إلا بالفكر، ألن يستطيع أحد، بناء على هذا البرهان، أن يظنّها اثني عشر، إذا أدرك هذا أيضاً بالفكر فقط؟" هيا أجبه أنت.

ثييتس:

أنا أجييه أن من يرى الأحد عشر أو يلامسها، قد يظنها اثني عشر أما من يحويها في ذهنه، فلن يعتقد فيها أبداً هذا الاعتقاد .

١٩٦ a سقراط: فما بالك إذن؟ إن نوى أحد أن يتفحص في ذاته الخمسة

والسبعة، ولا أقول سبعة رجال وخمسة رجال أو شيئاً آخر مماثلاً، بل الخمسة والسبعة في ذاتها وبصورة مجردة، تلك التي نزعم أنها قائمة في شبه المادة الشمعية من النفس بمثابة ذكريات: ولا يمكن المرء أن يرتئي بشأنها آراء باطلة. هذه الأعداد بالذات إن تفحصها إنسان، وخاطب ذاته متسائلاً كم هي، فهل الجميع يقولون ويظنون أنها اثنا عشر؟ أو هذا يقول ويعتقد أنها أحد عشر، وذاك إنها اثنا عشر؟

ثييتس:

لا بحق زفس لا يقول الجميع إنها اثنا عشر، بل كثيرون أيضاً يحسبونها أحد عشر. وإن أجرى المرء تدقيقه في عدد أكبر، فهو يزلق ويزل زللاً أخطر. وأنا أيضاً أظن أنك تبغي الكلام عن كل عدد .

b

سقراط: وظنك صائب في الواقع. ففكر بانتباه إن كان يحدث

شيء آخر سوى اعتقاد الإثني عشر المنطبعة في المادة الشمعية أحد عشر.

ثييتس:

هذا ما يبدو فعلاً.

(١) يقول مالبرانش في كتابه البحث عن الحقيقة ٢، ٣٦٥ - ٣٦٦، بصدد العمليات

الفكرية: "عندما يُفرض جمع أو طرح عدة أعداد، أو لنفرض أمراً آخر مماثلاً، عندما تكون تلك الأعداد كبيرة، ولا يمكن جمعها إلا تدريجياً، فقد ينسى المرء

بعضها بصورة شبه مستمرة". Malebranche, Recherche de la Vérité.

سقراط:

ولكن ألم نعد هكذا من جديد إلى أبحاثنا وتساؤلاتنا الأولى. لأن من يعاني من مثل هذا الخطأ، يعتقد ما يعرف، شيئاً آخر مما يعرف أيضاً. وهذا ما رحنا نقول عنه أنه مستحيل. وبناء على هذا القول بالذات اضطررنا إلى الاعتراف بأن الرأي الكاذب لا وجود له، كي لا يُكره العارف بالذات على أن لا يعرف في آن واحد ما يعرف بالذات.

c

ثييتس:

كلامك في غاية الصحة.

سقراط:

إذن يجب علينا أن نُظهر ونبيّن أن الحكم الخاطئ هو شيء ما آخر غير انحراف الفكر عن الإحساس. لأن الحكم الخاطئ لو كان قوامه هذا الانحراف، لما أخطأنا قط في أفكارنا وخواطرنا. والآن فإما أن لا يوجد رأي خاطئ، وإما أن يكون المرء قابلاً لأن لا يعرف ما يعرف. فأيا من هذين الاحتمالين تختار؟

ثييتس:

تطرح علي، يا سقراط اختياراً عويصاً مغلق السبل.

d سقراط:

غير أن برهاننا يكاد لا يسمح لا بهذا الاحتمال ولا بذاك. ومع ذلك ما رأيك إن حاولنا التوافق، إذ ينبغي أن نتجاسر على كل شيء؟

ثييتس:

وكيف ذلك؟

سقراط:

بعزمنا على تبيان ما عسى العلم أن يكون.

ثييتس:

ولماذا يكون هذا العزم ضرباً من القحة؟

سقراط:

يبدو عليك أنك لم تفكر أن كلامنا منذ مطلعته ما برج بحثاً عن العلم، على اعتبار أننا لا نعرف ما عساه أن يكون.

ثييتس:

في الواقع إنني أفكر بذلك.

e سقراط:

ومع هذا، ألا يبدو لك تصرفنا ضرباً من الوقاحة، لأننا ونحن لا نعرف العلم، نبغي أن نبين ما هي المعرفة. إذ إننا يا ثييتس، مكتظون منذ عهد بعيد بعُكْر التَحاوِر. لأننا رددنا عشرة آلاف مرة عبارة "نعرف ولا نعرف" و"نعلم ولا نعلم"، كأننا قد تفاهمنا، في حين أننا لا نزال نجهل العلم، وإن رمت إثباتاً لما أقول، فالآن أيضاً في هذه اللحظة، قد عدنا واستخدمنا عبارة "نجهل ونفهم"، كأنه يليق بنا استخدامها إذا ما حُرِّمنا من العلم.

ثييتس:

ألا يا سقراط، على أي وجه تخاطب وتحاوِر إن امتنعت عن هذه العبارات؟

a 197 سقراط:

لا سبيل إلى ذلك وأنا ما أنا، ما لم أكن معارضاً ومشاحناً. فلو حضر رجل من هذا الطراز في الوقت الحاضر، لصرَّح أنه يمتنع عنها ويتحاشاها، وضرب أمامنا في عنف بما أقول عرض الحائط. ولكن إذ لا شأن لنا في الواقع ولا قدر، أتريد أن أتجرأ وأقول ما هو العلم؟ إذ يظهر لي أن حدوث شيء من هذا هو أمر ذو بال.

ثييتس:

ألا أقدم على هذا الأمر، بحق زُفْس. وإن لم تُعرض عن تلك التعابير، فلك عندنا سماح عريض.

المطلب الثاني

امتلاك العلم أو اقتناؤه

البحث الأول: مثل برج الحمام

- سقراط: هل سمعت يا ترى بما يحددون العلم في الوقت الحاضر؟
- ثييتس: ربما، بيد أنني لا أذكر ذلك على كل حال في هذه الساعة.
- b سقراط: يزعمون أنه شيء مثل امتلاك المعرفة.
- ثييتس: هذا صحيح.
- سقراط: ونحن فلنعدّل تعريفهم قليلاً ولنقل: اقتناء المعرفة.
- ثييتس: ولكن في زعمك، بَمَ يختلف هذا التعريف عن ذاك؟
- سقراط: لعله لا يختلف بشيء. وإنما أنصت إلى رأيي في الموضوع ومحّصه بعد ذلك معي.
- ثييتس: إذا ما تمكنت من ذلك.
- سقراط: إذن يظهر لي أن الاقتناء والامتلاك ليسا شيئاً واحداً. كأن بيتاع أحدنا رداء فلا يلبسه لقناعته، مع أنه قد أحرزه. ففي تلك الحال، لن ندعي أنه يملكه بل إنه قد اقتناه.
- ثييتس: لقد أصبت في الواقع.

(١) راجع حوار افثيذيمس، b.2٧٧. ثم المقدمة ف ٣ م ٢ ب ٢.

c سقراط:

فانظر إذن إن كان يمكن أن يقتني المرء العلم دون أن يملكه. كرجل يقتنص طيوراً بريّة، من صنف الحمام أم من صنف آخر، ويُعدّها لها في منزله برجاً ويقوتها. ففي وسعنا أن نزعّم أنه يملكها دوماً على وجه ما من الوجوه، لأنه اقتناها أليس هكذا؟

ثييتس:

بلى.

سقراط:

ويمكننا أن نقول من وجه آخر، إنه لا يملك أيّا من تلك الطيور، بل إنه قد حصل على قدرة أخذها وامتلاكها، لأنه جعلها في متناول يده بوضعها في مدجنته الخاصة، فيقتنص منها دائماً ما يشاء، ويعود ويطلق سراحها. ويستطيع إتيان هذا العمل ما طاب له.

d

ثييتس:

هذه أمور واقعية.

سقراط:

فلنعاود إذن عمليتنا السابقة، وكما هيأنا وأقمنا في النفوس جهازاً من شمع، لا أدري بأية حيلة وعلى أي شكل، لنُبَيِّن الآن هذه المرة في كل نفس، برج حمام يضم ألواناً من الطير، يتجمع بعضها أسراباً كبيرة تحايد الأخرى، وبعضها أسراباً قليلة العدد، وبعض منه يعيش فرادى، ويرفرف أنى تأتّى له، خلال أسراب الطير كلها.

(١) إن الأفكار - الذكريات لا تلقى في روحنا جزافاً، لا هي ولا مشاعرنا. وما يمثله لنا أفلاطون في هذا المقام عن أوجه توزيعها، يماثل أوجه العلاقات الوجودية الأنطولوجية بين الصور: فمنها ما يؤلف فئات واسعة الانتشار، ومنها ما يكون مجموعات منعزلة، ومنها ما "يتخلل كل الفئات والمجموعات" كناصر ارتباط أو انفلات. انظر السفستي ٢٥٣ e-c، طبعة وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٩.

e ثييتس:

فليصنع كما تقول ولكن ماذا ينجم عن هذه العملية الجديدة؟

سقراط:

علينا أن نصرح أن هذا الوعاء (النفساني، أي برج الحمام)، يكون فارغاً خالياً في طفولتنا. وعلينا أن نستبدل في فكرنا المعارف بالطيور. وأما المعرفة التي يقتنيها المرء ويحشرها في حظيرته الباطنية، فلنزعم أن ذاك المرء قد تعلم أو استتبط موضوعها، وأن تعلّمه أو استتباطه ذاك هو العلم.

ثييتس:

لنفرض ذلك.

سقراط:

فابحث أنت في نوبتك بأية أسماء يجب أن يسمى المرء العلوم التي يبغى اقتناصها، وأخذها وامتلاكها ثم إطلاقها. أيطلق عليها عين الأسماء التي أطلقها أثناء اقتنائه إياها، أم أسماء غير هذه؟ بعد لحظة ستدرك في جلاء أوفى ماذا أعني. إنك ولاشك تدعو علم الحساب فناً؟

ثييتس:

أجل.

سقراط:

تصور إذن أنه اصطلياد معارف المزدوج والمفرد برمته.

ثييتس:

أتصور ذلك.

سقراط:

وإني لا أعتقد أن الشخص ذاته بهذا الفن، يملك في متناول اليد علوم الأعداد، ويلقّن شخصاً آخر إياها، إن لقّنه إياها.

b ثييتس:

نعم.

سقراط: ونسمي عمل الملقّن تعليمًا، وعمل الملقّن تعلّمًا، وعمل من يحرز تلك المعارف باقتنائها وحشرها في ذاك البرج علماً.

ثييتس: في الواقع هذا دقيق جداً.

سقراط: والآن أعر انتباهك لما ينجم بالضبط عن ذلك. من أتقن علم الحساب، هل يمكنه أن لا يعرف جميع الأعداد: لأن معارف جميع الأعداد قائمة في نفسه.

ثييتس: ولم لا يعرفها؟

c سقراط: ونظير هذا العالم يمكنه ولا ريب، أن يعدد أحياناً شيئاً من تلك الأعداد، في ذاته ولذاته، أو شيئاً آخر من الأشياء الخارجية القابلة العدّ؟

ثييتس: وكيف لا؟

سقراط: ولن نفرض، وهذا أكيد، أن التعداد شيء ما، يختلف عن تفحص الكمية التي يتّفق لعدد ما أن يكونها.

ثييتس: هذا الواقع.

سقراط: فما يعرفه هذا العالم، يظهر أنه يبحث عنه كأنه لا يعرفه. مع أننا قد وافقنا أنه يعرف كل عدد. وأنت دون شك تسمع بمثل هذه الاعتراضات^١.

ثييتس: فعلاً أسمع بها.

d سقراط: فنحن إذن نعتمد على تورية اقتناء الحمام وصيده، ونقول إن الصيد كان مزدوجاً، أحده وقع قبل الاقتناء

(١) إن هذه الاعتراضات قد أثارها طبعاً في حوار الإفثيذمس أدعياء الحكمة واستخدموا لذلك مثال الأحرف، كما سيفعل هنا أفلاطون: من يعرف الأحرف، إن حفظ صفحة عن ظهر قلبه، ألا يتعلم ما يعرف: e٢٧٦ - b٢٧٧ - a،

بغية الاقتناء، والآخر يَعمَدُ إليه المقتني ليستولي على ما اقتناه قديماً ويمتلكه بين يديه. وعلى هذا النحو، ما كان لذاك العارف من معارف قديمة تعلمها، يتمكن الآن من أن يقبض عليها ثانية ويجدد تعلمها ويحتفظ بما اقتنى قديماً من معرفة لكل شيء بمفرده، ولم يكن قد حفظه في فكره سهل المتناول.

e ثييتس: قولك صادق.

سقراط: هذا بالضبط ما رحت أسألك عنه منذ لحظة. كيف يتكلم المرء عن عالم الحساب وعالم الصرف، وأي اسم يستخدم لتسميتها، عندما يشرع الواحد في التعداد، وينبري الآخر لقراءة نص ما. فهل ينطلق كل منهما يا ترى في تلك الحال، وهو متعلم، ليتعلم ثانية من ذاته ما تعلمه قديماً!

ثييتس: إلا أن ذلك مستهجن، يا سقراط:

سقراط: فهل نزعِم أنه يهب ليقراً ويَحسُب ما لا يعلم، مع أننا قد حَبَوْنَا الواحد بمعرفة كل الأحرف، والآخر بمعرفة كل عدد؟

ثييتس: لكن هذا الاحتمال أيضاً في غير محله!

سقراط: أتريد إذن أن نصرح أن أمر الأسماء لا يهمنا البتة، في أي

(١) يذيب أفلاطون ويدمج ههنا في رمز ناصع وضاح، التفسير المنطقي والصورة، وقد عمد إليهما في الإفثيدمس كل على حدة. وقد راح سقراط يثبت هنالك في الواقع التمييز بين معنيين لفعل تعلم، هما معنى اكتشاف ومعنى استعاد ما سبق للمرء أن اكتشف. وقد شبه أكلينيس المهندسين وعلماء الفلك والحساب بصيادين (b- ٢٢٠٩). غير أن الصورة اختلفت هناك اختلافاً كبيراً عن ههنا باختلاف هدفها.

اتجاه سر المرء أن يتجاذب العلم وفعل التعلم، بما أننا قد حددنا أن اقتناء العلم شيء، وإحرازه أو امتلاكه شيء آخر؟ فنعلن أنه يستحيل على من اقتنى العلم أن لا يكون قد اقتناه. ومن ثمة لن يتفق لأحد أبداً أن لا يعرف ما يعرف. مع أنه من الممكن أن يأخذ هذا المرء عما يعرف فكرة خاطئة ويبدى فيه رأياً فاسداً. إذ يمكنه أن لا يملك معرفة ذاك الشيء، بل معرفة أخرى بدل تلك. ويحدث له هذا الأمر عندما يهب ذات مرة لیتصيد معرفة ما بين المعارف المتطايرة، فيخطئها وينال بدلها أخرى. وعندئذ يعتقد أن الأحد عشر اثنا عشر، وقد التقط معرفة الأحد عشر بدلاً من معرفة الاثني عشر. وكأنه قد أمسك في ذاته بيمامة بدل الحمامة.

b

ثييتس:

هذا الخطأ إذن له تعليله.

سقراط:

ولكن عندما يلتقط المعرفة التي يحاول التقاطها، فعندئذ لا يكذب أو يخطئ في رأيه، بل يعبر فيه عن الوقائع، ويوجد هكذا الرأي الصحيح والباطل، وتلاشى أماننا الصعاب التي جعلنا في ما سبق نتأفف منها ونتعثر فيها. ولعلك الآن تقول قولتي. أم كيف تعمل؟

c

ثييتس:

أعمل عملك وأقول قولك.

سقراط:

لأننا في الواقع قد أعتقنا من مشكلة لا معرفة المرء لما يعرف. إذ لن يقع لنا أبداً من بعد الآن أن لا نكون قد اقتنينا ما اقتيناه، لا إن غلطنا وأخطأنا في شيء، ولا إن لم نغلط. لكن يبدو لي أن صعوبة كأداء أخرى تبرز على هامش الصعاب الباقية قد نعاني منها.

ثييتس:

وأية صعوبة؟

d سقراط:

إن كان استبدال معرفة بمعرفة يغدو أحياناً رأياً كاذباً.

ثييتس:

وكيف يمكن ذلك؟

سقراط:

أولاً بأن يجهل من يحرز علم شيء ذاك الشيء بالذات، وأن يجهل ذلك لا يجهله، ولكن بما لديه من علم. ثم أن يظن ذاك الشيء آخر، وذاك الآخر الشيء بالذات، كيف لا يكون ذلك غباوة كبيرة؟ لاسيما وأن العلم حاضر في النفس، والنفس لا تعلم شيئاً، في حين أنها تجهل كل شيء. وبناء على هذا المنطق لا شيء يمنع من أن يؤدي الجهل بحضوره إلى معرفة ما، وأن يؤدي العمى إلى الرؤية، إن كان العلم بالضبط من شأنه أن يحمل على الجهل.

e ثييتس:

لعلنا يا سقراط، لم نفترض افتراضاً حسناً عندما فرضنا أن الطيور هي علوم فحسب. بل كان يتوجب علينا أيضاً أن نفترض أن اللامعارف ترفرف في النفس مع المعارف وفي آن واحد، وأن القانص يلتقط مرة معرفة، وأخرى لا معرفة بصدد الشيء عينه، وأنه يبدي الآراء الكاذبة باللامعرفة، والآراء الصحيحة بالمعرفة.

سقراط:

ليس بسهل أن نمتنع عن إطرائك، يا ثييتس. ولكن تفحص ثانية ما قلت. وليكن الأمر على ما اقترحت. فأنت تزعم إذن أن من يلتقط اللامعرفة يبدي آراء فاسدة كاذبة، أليس هكذا؟

٢٠٠ a ثييتس: بلى.

سقراط:

وأكد أنه لن يعتقد أنه يرتئي آراء كاذبة.

ثييتس:

وكيف يعتقد ذلك؟

سقراط:

بل يعتقد أنه يبدي آراء صائبة صادقة، ويقف موقف العارف بصدد ما أخطأ فيه.

ثييتس:

ولم لا؟

سقراط:

فيحسب إذن أنه اقتتص معرفة وليس لا معرفة؟

b ثييتس:

الأمر واضح.

سقراط:

بعد أن درنا إذن دورانا طويلا، إذا بنا من جديد أمام مشكلتنا الأولى المغلقة. لأن داحضنا الشهير سوف يضحك ويسألنا: "أيها الأماثل، من يعرف الأمرين، المعرفة واللامعرفة، أيحسب المعرفة التي يعرف معرفة أخرى مما يعرف؟ أو من لا يعرف لا المعرفة ولا اللامعرفة، أيعتقد أن المعرفة واللامعرفة التي لا يعرف هي معرفة ولا معرفة مما لا يعرف؟ أو من يعرف الواحدة ولا يعرف الأخرى، أيلظن أن التي يعرف هي التي لا يعرف؟ أو يعتقد أن التي لا يعرف هي التي يعرف؟ أم تعودون وتقولون لي: إن للمعارف أيضاً وللأعارف علوما، إذا اقتناها المرء وحشرها في أبراج ما أخرى مضحكة أو في إطارات أخرى شمعية، لا يبرح عالما ما حافظ على قنيتها، وإن لم يحتفظ بها في نفسه سهلة

c

(١) لقد علم حوار خرميدس أن الرجل القادر أن يحرز علم معارفه ولا معارفه والمطلع على ما يعلم وعلى ما لا يعلم من الأشياء، ذاك الرجل لا يقبل الخطأ مطلقاً، d1٧١. وراجع أيضاً c1٦٦ - a1٧٢.

المتناول؟ وعلى هذا المنوال تُضطرون عشرات ألوف
المرات أن تدوروا وتعودوا إلى عين المنطلق دون أية جدوى.
"فبما نجيب، يا ثييتس، على هذه الاعتراضات؟

ثييتس: ألا بحق زفس، يا سقراط، أنا من جهتي لا أملك ما
يُفرض أن نجيب به.

سقراط: ففي هذه الحال إذن، يا بني، ألا يَجْمُل بالمنطق أن
يقرّعنا، وأن يبين لنا أننا لم نصب في إهمالنا العلم
والبحث عن الرأي الكاذب قبل البحث عن المعرفة؟ مع
أنه يستحيل أن يعرف المرء ما هو الرأي الكاذب، قبل أن
يفقه فقهاً وافياً ما عسى العلم أن يكون. d

ثييتس: تقضي الضرورة، يا سقراط، بأن يأخذ المرء في الوقت
الحاضر بما تقول:

البحث الثاني: الأمر الفاصل هو البرهان القضائي

سقراط: كيف إذن نستعيد المسألة من أولها فنحدد العلم؟ إننا لم
نعدل بعدُ إلى الآن.

ثييتس: لم نعدل البتة، إذا أنت لم تقصر ولم تخر عزائمك.
سقراط: هيا إذن تكلم. بأي شيء خصوصاً نحدد العلم، كي
نناقض أنفسنا أقل وأزهد مناقضة؟

e ثييتس: بما حاولنا يا سقراط، أن نحدده به فيما سبق. لأنني من
جهتي لا أمتلك شيئاً آخر.

(١) مبدأ هذا البرهان هو عين مبدأ البرهان الشهير المعروف "ببرهان الرجل الثالث".
راجع مقدمة البرمينيذس ص ٢٢.

سقراط:

وبأي شيء؟

ثييتس:

بأن العلم هو الرأي الصادق. لأن إبداء الحقيقة في الرأي هو من بعض الوجوه عصمة عن الخطأ. وما ينجم عنه، هو بجملته بهاء وخير.

سقراط:

إن دليل الأنهر، يا ثييتس، يقول: ربما الغيضة تبدي ذاتها. المسألة التي نبحت عنها إن مضينا في التقيب، فمن المحتمل أن نعرثر عليها، فتظهر لنا مطلبنا. ولكن إن لبثنا في مكاننا فلا يتضح لنا شيء.

a201

ثييتس:

قولك صائب. ألا فلنمض في البحث.

سقراط:

فهذه المسألة إذن تقتضي بحثاً وجيزاً، لأن فناً برمته يدلك على أن العلم ليس الرأي الصحيح الصادق.

ثييتس:

وكيف يدلني بالضبط؟ وما هو هذا الفن؟

سقراط:

فن أعظم الناس حكمة، ومن يدعونهم خطباء ومحامين. فهؤلاء على وجه من الوجوه، يقنعون الغير بفنهم دون أن يعلموا. وإنما يحملون المرء على إبداء ما يشاؤون من رأي. فهل تعتقد أنت أن هناك معلمين لهم من المهارة ما يستطيعون به، إبان انسياب قليل من الماء، أن يعلموا تعليماً وافياً أناساً لم يحضر أمامهم المحرومون من أموالهم أو اللاحق بهم جور أو عنف آخر، وأن يطلعوا أولئك الناس على حقيقة الوقائع.

ثييتس:

أنا أعتقد أنهم لا يستطيعون البتة أن يعلموا، وإنما أن يقنعوا.

سقراط:

ولكن ألا تعني بالإقناع الحمل على إبداء الرأي؟

ثييتس:

ولم لا؟

سقراط:

إذن عندما يقتنع القضاة بعدالة قضايا لا يستطيع أن يعرفها إلا من رآها، ولا أحد سواه، فغندئذ إذا ما أصدروا حكمهم فيها عن السماع، بعد أن استمدوا رأياً صحيحاً، فهم يحكمون بدون علم، وقد اقتنعوا بأمور صوابية، اللهم إن قضاة قضاء جيداً.

ثييتس:

هذا في الواقع أكيد ومن كل الوجوه.

سقراط:

فلو كان الرأي الصحيح، يا عزيزي، بالنظر إلى المحاكم، هو والعلم أمراً واحداً، لما ارتأى أسمى القضاة مرة واحدة بدون علم رأياً صحيحاً صائباً. والحال أن كلاً من العلم والرأي الصحيح على ما يبدو، شيء مختلف.

الفصل الرابع

تحديد ثالث للعلم

المطلب الأول

العلم هو الرأي الصحيح يؤيده البرهان

ثببتس:

ألا يا سقراط، لقد سمعت حكيماً يقول بهذا الصدد قولاً نسيته، ثم استعدته الآن بفكري. لقد صرح أن العلم هو الرأي الصحيح يؤيده البرهان، وأن الرأي غير المعلن، (الذي لا يؤيده البرهان) هو خارج نطاق العلم. وأن القضايا التي لا برهان ولا تعليل لها ليست بعلمية، على حد تعبيره، والقضايا المشفوعة بالبرهان والتعليل علمية.

سقراط:

كم قولك جميل! ولكن هذه القضايا العلمية وغير العلمية، على أية طريقة كان يميّز بينها؟ أفدني، لأرى هل سمعنا أنا وأنت بهذا القول على وجه واحد.

ثببتس:

لا أدري إن كان في وسعي أن أجِد تلك الطريقة. بيد أنه يُحتمل فيما أعتقد، أن أتابع قول غيري إن عبّر عنها.

e

فاصْغِ إذن إلى حلم يقابل حلمك. فأنا أيضاً قد بدا لي في الواقع أنني أسمع بعض العلماء يقولون: إن المبادئ الأولى نظير العناصر، ومنها نتركب نحن وسائر الأشياء، لا تعليل لها^١. إذ يمكن المرء أن يسمى فقط كلا من تلك المبادئ في حد ذاته، لا غير. ويستحيل عليه أن ينعت به أي نعت، وأن يقول عن ذلك المبدأ إنه موجود أو لا موجود. لأنه حينئذ يضيف إليه الوجود أو اللاوجود. في حين يتوجب على المرء أن لا يحمل على المبدأ شيئاً، إن رام في دقة أن يعبر عنه فقط.

ومن ثمة يُفرض عليه أيضاً أن لا يحمل على المبدأ لا لفظة "ذاته" ولا لفظة "ذاك"، ولا لفظة "كل بمفرده" ولا "فقط" ولا "هذا" ولا "غير ذلك" من الألفاظ أو الكلمات الكثيرة المماثلة. إذ أن هذه الألفاظ تتراكض وتترامى على جميع (المبادئ والعناصر وما ينشأ عنها). وهي مغايرة لما تضاف إليه من أشياء. في حين يتوجب، لو كان ذلك مستطاعاً، أن يُعبر عن المبدأ بالذات دون تلك الألفاظ، وإن حوى تعليلاً، أن يعبر أيضاً عنه دونها. والحال أنه يستحيل أن يعبر عن أي من المبادئ الأولى بتعليله. لأنه لا يملك إلا أن يسمى فقط. إذ لا يحوي إلا الاسم فقط. وأما الأشياء المركبة من تلك المبادئ، فكما أنها احتبكت وتشابكت، فكذلك تضحى أسماؤها المحبوك المتشابكة تعليلاً. لأن تحابك الأسماء هو وجود التعليل وجوهره.

(١) راجع من المقدمة الفصل الرابع ٢م ب٢. ثم لأرسطو ما وراء الطبيعة ١٠٤٣ ب١٠٢٣ و٢٣ وما

يلي. ثم منطق أنتستينيس لجلسبي G. M. Gillespi, The Logic of Antisthenes in

.Archiv. F. Gesch. D. phi., t.26, 4, p. 478- 500, et t. 27, I, p. 17- 38.

c

فالعناصر إذن هي من ثمة بلا تعليل وغير معلومة، وإنما يُشعر بها. وأما مقاطع الكلم فهي معلومة، يُنطق بها ويبدى فيها رأي صائب. فعندما يتخذ أحدنا إذن عن شيء رأياً صادقاً دون تعليل، فنفسه تصدق وتقول الحقيقة بشأن ذلك الشيء، ولكنها لا تعلم. لأن من لا يقدر أن يعلل شيئاً ولا يقدر أن ينال تعليلاً عنه، فهو بلا علم بصدد ذلك الشيء. وأما أن أدرك التعليل بالإضافة إلى الرأي الصائب، ففي وسعه أن يغدو متحلياً بجميع الصفات التي أشرنا إليها (من علم وصدق وإبداء آراء تعبر عن الحقيقة والواقع)، وأن يكون كاملاً في العلم. فهل سمعت المنام على هذا النحو أو على نحو آخر؟

ثييتس: فعلا سمعته ومن كل الأوجه على هذا النحو.

d سقراط: فهل تستحسن إذن وتفرض أن العلم هو الرأي الصحيح يؤيده التعليل أو البرهان؟

ثييتس: أستحسن ذلك في الواقع وأفرضه بكل اندفاع وحمية. لعلنا الآن، يا ثييتس، وفي هذا اليوم الحاضر قد عثرنا على ما بحث عنه من قديم كثير من الحكماء وشاخوا قبل أن يجدوه.

ثييتس: يبدو جميلاً على الأقل في نظري، يا سقراط، القول الذي قيل الآن.

سقراط: ويحتمل فعلاً أن تكون هذه حاله. إذ ما يمكن العلم أن يكون من بعد، إذا استثنينا التعليل والرأي الصائب؟ بيد أن مسألة واحدة من المسائل التي طرقتها لا ترضيني.

ثييتس: أية مسألة يا ترى؟

e سقراط: مسألة يبدو لنا أنها تتقال على أكيس وأظرف وجه، وهي أن العناصر غير معلومة، في حين أن جنس المقاطع، أي مقاطع الكلم، هو معلوم.

ثيثيتس: ألم نصب إذن في قولنا؟

سقراط: لا بد لنا ولا ريب من أن نعرف ذلك. فلدينا عن هذا القول بمثابة رهائن، النماذج التي استخدمها هو ليعبر عن هذه القضايا كلها.

ثيثيتس: وأية نماذج يا ترى؟

سقراط: نماذج الأحرف من حيث هي عناصر ومقاطع. أم تعتقد أن من قال ما قلنا، قد نظر إلى نماذج أخرى ليقول قوله؟

ثيثيتس: كلا، بل نظر إلى هذه النماذج.

المطلب الثاني

أتؤلف عناصر مجهولة كلا معلوماً

a203 سقراط: فلنعاودها إذن ولنقبض عليها ونختبرها. أو بالأحرى فلنمتحن أنفسنا لنرى هل تعلمنا الأحرف على هذا النحو، أو لا. فهي أجب أولاً على هذا السؤال: أتتطوي المقاطع على تعليل، وتلبث العناصر بلا تعليل؟

ثيثيتس: ربما.

سقراط: جيد جداً. وأنا أيضاً يظهر لي ما يظهر لك. فإن سألك أحد عن المقطع الأول من اسم سقراط، وطلب منك

الطلب التالي: "قل يا ثييتس، ما هو: $\Sigma \omega$ " فبماذا تجيب؟

ثييتس: إنه السيفُما والأميغا، (أي السين والضمة).

سقراط: أهذا ما تملك من تعليل للمقطع؟

b ثييتس: هذا ما أملك.

سقراط: تابع سيرك إذن وأنبئني على النحو عينه عن تعليل

السيفُما أو السين.

ثييتس: وكيف يستطيع المرء أن ينبئ عن عناصر العناصر. لأن

السيفُما، يا سقراط، هي من الأحرف اللاصوتية، ولها جَرَسٌ فقط يماثل صفير اللسان، أما البيتا وأكثر العناصر فلا صوت لها ولا جَرَسٌ. وبالتالي يحسن جداً أن تدعى بلا تعليل. لأن أوفرها جلاء ونصاعة لا يملك سوى الصوت، ولم يحرز أي تعليل.

سقراط: لعل هذه نقطة، قد نجحنا وصححناها، في بحثنا عن

العلم، يا صاح.

c ثييتس: نظهر هذا المظهر.

سقراط: فما بالك؟ هل برهنا برهاناً صائباً أن العنصر هو غير

المعلوم لا المقطع؟

ثييتس: يحتمل ذلك على الأقل.

(١) يعثر المرء على شذرات نظرية حول العناصر، تبعثرت في حوار اكراتلس: أسماء تلك

العناصر ٥٢٩٣، تقسيم العناصر بناء على ما أحرزت من صوت وجرس أو افتقرت

إليه منهما ٥٤٢٤، قدرتها على الدلالة والتبيان ٥٤٢٦ - d٤٢٧. والبيتا تلفظ عندهم

لا بالباء ولكن بالحرف اللاتيني v، فيكون اللفظ vita.

سقراط:

هلم أجيني إذن، أنقول إن المقطع هو العنصران، وإن كان أكثر من عنصرين، إنه جملة العناصر، أم نقول إنه صورة واحدة ما، قد تولدت من تركيب العناصر؟

ثييتس:

يبدو لنا، على الأقل في نظري، أنه جملة العناصر.

سقراط:

تأمل إذن اثنين منها السيفما والأميغا. فالاثنتان هما أول مقطع من اسمي. فمن عرف هذا المقطع، هل يعرف شيئاً ما آخر سواهما؟

ثييتس:

أي شيء يا ترى!

d سقراط:

إنه يعرف ربما السيفما والأميغا.

ثييتس:

أجل.

سقراط:

فماذا ترى؟ إنه يجهل إذن كلا من العنصرين، ومع أنه لا يعرف لا هذا ولا ذاك، فهو يعلم الاثنين!

ثييتس:

ولكن هذا الواقع مذهل غير معقول، يا سقراط.

سقراط:

ومع ذلك، إن فرضت الضرورة على من يبغي معرفة الاثنين معاً أن يعرف كلا منهما، تحتم على من نوى أن يعرف المقطع يوماً ما، أن يسبق ويعرف العناصر. وهكذا يرتحل تعليلنا الجميل ويتوارى عنا.

ثييتس:

وبصورة فجائية جداً.

e سقراط:

لأننا لم نحافظ عليه ولم نحرسه حراسة حسنة. إذ توجب علينا ربما أن نفرض أن المقطع ليس العناصر، بل جنساً ما واحداً متولداً عنها، حاوياً مثاله وصورته الفريدة الشخصية، ومغايراً العناصر.

(١) سوف يقول أرسطو في ما وراء الطبيعة ١٠٤١b ١٦ - ١٩ إن المقطع هو أكثر من الأحرف الصوتية وغيرها. فاللحم هو أكثر من النار والثرث والحرار والبارد. وهذا الأكثر في نظر أرسطو هو السبب والماهية والصورة، ع. م. ١٠٤١b، ٢٠ ومايلي. راجع من هذا الحوار أدناه d٢٠٥.

ثييتس: تماماً في الواقع. ويحتمل أن تكون هذه حاله أكثر من تلك.

سقراط: يجب أن نتفحص هذا التعليل العظيم الجليل، وأن لا نتخلى عنه ونسلمه للعدو بدون شهامة ورجولة.

ثييتس: فعلاً يجب أن لا نسلمه.

a204 سقراط: لنفرض إذن على حد قولنا الحاضر، أن المقطع في

الكلمة هو مثال فرد، متولد عن انسجام العناصر، تشبه حاله في الأحرف حاله في سائر الأشياء الأخرى.

ثييتس: أتمّ الشبه فعلاً.

سقراط: إذن يجب أن لا ينطوي على أقسام وأجزاء.

ثييتس: ولماذا بالضبط؟

البحث الأول: برهان جدلي

سقراط: لأن ما له أقسام، مجموعه هو بحكم الضرورة الأقسام

جمعاء. أم أنت تقول إن المجموع الناجم عن الأقسام، بعد أن يغدو نوعاً ما واحداً، يضحى مغايراً تلك الأقسام جمعاء؟

ثييتس: أقول ذلك إن عاد لي الأمر.

b سقراط: فهل تدعو الكل والمجموع أي الجملة أمراً واحداً يا ترى،

أم تدعو كلا منهما شيئاً مختلفاً؟

(١) في تحديد المجموع أو الجملة كمثال فريد متميز راجع برميندس e107، وما وراء الطبيعة لأرسطو ١٦ a10 و ٢٣ b10. وفي المقارنة بين المصطلحات مجموع وجملة وكل، راجع أرسطو في ما وراء الطبيعة مقطع ٢٣ b10 و ٢٤ a10.

ثييتس:

ليس لدي فكرة جلية صافية، ولكن بما أنك تحرضني على الجواب بهمة ورباطة جأش، أخاطر وأقول إن كلا منهما يغير الآخر.

سقراط:

أما رباطة الجأش فهي سديدة قويمة. وأما الجواب فلا بد من مناقشته.

ثييتس:

فعلا لا بد من مناقشته.

سقراط:

إذن على ما تقول الآن، قد يختلف الكل عن حاصل الجمع؟

ثييتس:

نعم.

سقراط:

فما بالك إذن، من المحتمل أن يختلف الكل عن حاصر الجمع. فعندما نقول مثلاً: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة، وإن قلنا: اثنان في ثلاثة أو ثلاثة في اثنين، أو أربعة واثنان؛ أو ثلاثة واثنان وواحد، ففي هذه الحالات كلها هل نقول شيئاً واحداً بالذات أم أشياء مختلفة متباينة؟

ثييتس:

شيئاً واحداً بالذات.

سقراط:

أنقول شيئاً ما سوى الستة؟

ثييتس:

لا شيء سواها.

سقراط:

ففي كل من أقوالنا السابقة عبّرنا عن الستة كحاصل جمع؟

ثييتس:

أجل.

سقراط:

أنا أسألك مرة أخرى: عندما نعبر عن جميع الأقسام، نحن لا نعبر عن شيء سواها، أليس هكذا؟
حتماً.

ثييتس:

- سقراط: وهل نعبر عن شيء ما آخر سوى الستة؟
- d ثييتس: لا شيء سواها .
- سقراط: ففي الأمور المؤلفة من العدد إذن الناشئة عنه، لا ريب أننا نعبر عن أمر واحد بالذات عندما نتلفظ بكلمة كل وحاصل الجمع؟
- ثييتس: هذا ما يظهر.
- سقراط: إذن ليكن هذا قولنا بشأنها . (سؤال آخر): عدد البليثرون (أو القصبه) والبليثرون هما شيء واحد بالذات. أليس كذلك؟
- ثييتس: بلى.
- سقراط: وكذلك إذن عدد الستاذين (٦٠، ١٧٧ متراً) والستاذين.
- ثييتس: أجل.
- سقراط: وكذلك أيضاً ولا ريب، عدد المعسكر والمعسكر، وعدد الأشياء المماثلة بالنظر إلى تلك الأشياء. لأن العدد برمته هو كل من تلك الأشياء، وكلها الحقيقي.
- ثييتس: نعم إنه لذلك.
- e سقراط: وعدد كل من تلك الأشياء. أهو شيء ما آخر سوى أقسامها وأجزائها؟
- ثييتس: لا شيء سوى تلك الأقسام؟
- سقراط: فكل الأشياء إذن المحرزة أقساماً، تنشأ عن الأقسام؟
- ثييتس: هذا ما يظهر.

سقراط:

ومن ثمة نعترف أن جميع الأقسام هي الكل، إذا ما كان عدد الشيء (المعدود) برمته هو الكل.

ثييتس:

وهو كذلك.

سقراط:

أما جملة الشيء (غير المؤلف من أعداد، كالمقطع مثلاً والجسم) فلا تنشأ عن الأقسام. وإلا يكون في تلك الحال كلاً هو جميع الأقسام.

ثييتس:

يبدو أن جملة الشيء لا تنشأ عن الأقسام.

سقراط:

وهل يمكن أن يكون القسم ما هو، أي قسم شيء ما آخر سوى جملة الشيء؟

ثييتس:

يمكنه أن يكون على الأقل قسماً من الكل.

٢٠٥ سقراط: تحارب، يا ثييتس، ولا ريب، برجولة. ولكن الكل أليس

كلاً في حد ذاته، عندما لا يعوزه شيء؟

ثييتس:

حتماً.

سقراط:

وجملة الشيء ألا تكون هذا الشيء بالذات، أي شيئاً لا ينقصه أي جزء من أية ناحية؟ وما ينقصه جزء ما ليس جمعاً ولا كلاً، لأن هذا وذاك يكونان شيئاً واحداً (أي شيئاً ناقصاً). بسبب عين النقص.

ثييتس:

يتهيأ لي الآن أن جملة الشيء وكلّه لا يختلفان أي اختلاف.

سقراط:

أما شرعنا نقول إنه حيث توجد أقسام فحاصل الجمع والكل هما كامل هذه الأقسام؟

(١) نعثر على عين التحديد في طبيعة أرسطو ٢٠٧ا وفي مواضع أخرى. ويصدد هذا النقاش الجدلي راجع حوار برميندس ص ٨٤ وص ١٠٢، الحواشي.

- ثييتس: بكل تأكيد .
- سقراط: فمن جديد إذن، هذا بالضبط ما شرعت منذ برهة
b أسألك عنه إن لم يكن المقطع عناصره، أليس من
الضرورة أن لا يمتلك عناصره بمثابة أقسام؟ وإلا، إن
كان وإياها شيئاً واحداً بالذات، فمن الضرورة أن يكون
الأمر على هذا النحو.
- ثييتس: من الضرورة أن يكون الأمر على هذا النحو.
- سقراط: ولئلا يحدث هذا الأمر المشار إليه، ألم نفرض والحال
هذه، أن المقطع غير العناصر؟
- ثييتس: بلى.
- سقراط: وما بالك إذن؟ إن لم تكن العناصر أجزاء المقطع، فهل لك
أن تقول لنا أية أشياء هي أجزاءه، دون أن تكون مع ذلك
عناصره؟
- ثييتس: كلا، ولا بشكل من الأشكال. لأنني يا سقراط، إن
أفسحت فيها المجال لأية أجزاء، أتعرض للسخرية إن
أعرضت عن العناصر لأمضي في البحث عن غيرها .
- c سقراط: فمن كل وجه إذن يا ثييتس، يُفرض أن يكون المقطع بناء
على البرهان الحاضر، صورة ما واحدة غير متجزئة ولا
قابلة للتقسيم.
- ثييتس: هذا ما يبدو.
- سقراط: أتذكر إذن يا محبوب، إننا قبل هذه اللحظة بقليل، قد

ملنا إلى القبول بقول حسبناه قولاً طيباً، وهو أن المبادئ الأولى التي تتركب منها الأشياء الأخرى، لا تملك تعليلاً، لأن كلاً منها في حد ذاته غير مركب؛ ولذا لا يستقيم القول إذا حمل إلى المبدأ الأول لفظة يوجد، أو لفظة هذا، على أن هذه الألفاظ تقال لأشياء مغايرة للمبدأ وغريبة عنه. وهذا، ولا ريب، هو السبب الذي يجعل المبدأ الأول خلواً من التعليل وغير قابل لأن يُعرف.

d ثبیتتس: أذكر ذلك.

سقراط: أهنالك إذن سبب آخر، أم هذا هو سبب كون المبدأ الأول ذا صورة فريدة غير قابل أي تقسيم؟ فأنا من جهتي لا أرى سبباً آخر.

ثبیتتس: فعلاً ليس هناك من سبب آخر، فيما يظهر.

سقراط: ألا يعود المقطع إلى عين الجنس الذي يعود إليه المبدأ الأول، بما أن هذا المقطع لا ينطوي على أقسام وبما أنه صورة فريدة؟

ثبیتتس: يعود إليه في الواقع على أتم الأوجه.

سقراط: e فإن كان المقطع من جهة إذن عناصر كثيرة وجملة ما، وكانت هذه العناصر أقسامه، فالمقاطع والعناصر قابلة لأن تعرف ويعبر عنها على حد سواء، بما أن جميع الأجزاء قد ظهرت شيئاً واحداً بالذات.

ثبیتتس: بكل تأكيد .

سقراط: وإن كان المقطع من جهة أخرى في الواقع وحدة وغير قابل التجزئة، فشأنه شأن العنصر، وهو نظيره بلا تعليل لا يعرف. لأن عين السبب ينتج عين النتائج.

ثبّيتتس:

لا أقدر أن أتكلّم بكلام آخر.

سقراط:

إذن لا نقبلن قول من قد يدّعي أن المقطع معلوم يُبرهن عنه، وإن العنصر نقيضه في ذلك.

ثبّيتتس:

فعلا فلنرذل قولاً مماثلاً، إذا ما قنعنا بالبرهان.

البحث الثاني: برهان اختباري الأحرف الأبجدية والموسيقى

a206 سقراط:

فما بالك مرة أخرى؟ ألا تتقبل تقبلاً أفضل، قولاً مناقضاً لقول المدّعي هذا، مما تعيه وتشعر به أنت نفسك في تعلّم الأحرف؟

ثبّيتتس:

أي قول؟

سقراط:

إنك ما فتئت لا تتعلم سوى العناصر، محاولاً أن تتبين كل عنصر في حد ذاته وتتعرف عليه بالبصر والسمع، كي لا يحملك وضعه بين العناصر الأخرى المنطوق بها والمكتوبة، على القلق والاضطراب.

ثبّيتتس:

تعبّر عن أصدق الأمور وأكثرها واقعية.

سقراط:

وفيّ تعلم عازف القيثارة تعليماً كاملاً، هل وُجد عمل ما آخر سوى قدرته على تتبع كل نغم، ومعرفته عن أي وتر يصدر. وكل امرئ قد يعترف أن هذه الأنغام هي عناصر الموسيقى.

b

ثبّيتتس:

لم يقدم على أي عمل آخر.

(١) إن حوار اكراتلس ٥٤٢٤، يعتمد إلى مئّل من يتعلمون الإيقاع والأوزان، فهم ينطلقون من قيمة كل عنصر، ثم من قيمة كل مقطع.

سقراط:

بناءً على العناصر إذن والمقاطع هذه، ونحن بها خبيرون،
إن وجب أن نستدل على الأمور الأخرى، ففي وسعنا أن
نصرح أن جنس العناصر قد أحرز قدرة تبين أوضح
من المقطع بكثير وأرسخ وأوفر أصالة، لاقتناء كل فرع
من المعرفة اقتناء تاماً. وإن ادعى أحد أن المقطع معلوم
بالطبع، وأن العنصر من طبعه غير معلوم، ففي إمكاننا
الاعتقاد أنه يمزح طائفاً أو مكرهاً.

ثييتس:

كلامك دقيق متقن في الواقع.

المطلب الثالث

معاني كلمة "لُوغُس" المحتملة

c سقراط:

بيد أن هنالك استدلالات أخرى يمكنها أن تُظهر هذه
القضية وتستجليها، على ما أعتقد. ولكن بسبب تلك
الاستدلالات، لنحذر أن نتغافل عن النظر في موضوع
بحثنا، وهو ما معنى قولهم أن التعليل إذا ما تطرّق إلى
الرأي الصحيح يغدو علماً هو أكمل العلم.

ثييتس:

إذن يجب أن ننظر فيه.

سقراط:

هيا أجب إذن. ما هي الدلالة التي يبغى اللُوغُس أن يدلنا
عليها؟ ففي رأبي أنه يعني واحداً من معانٍ ثلاثة.

(١) قابل بما ورد في حوار اكراتلس a٤٢٦، لا يسع المرء أن يشرح خصائص الكلمات المشتقة، إلا بخصائص الكلمات الأصلية. ومن جهل هذه الكلمات وانبرى لبسط معاني تلك "فلن يتلفظ إلا ببلاهاة".

ثييتس:

وما هي يا ترى؟

d سقراط:

أولها هو حمل المرء على الإفصاح عن فكره، خلال الصوت وبواسطة الأفعال والأسماء، كأنه ينظر إلى مرآة أو ماء، ويشاهد رأيه مطبوعاً في الجدول المتدفق من فيه. أم ترى أن مثل هذا الغدير ليس بلوغس أو نطق؟

ثييتس:

أرى هذا الرأي بلا ريب. ونحن نصرح فعلاً أن من يأتي هذا العمل ينطق ويتكلم.

سقراط:

فهذا إذن عمل يقدر عليه كل إنسان دون ريب، وقد يبدو فيه غيره سرعة أو تباطؤاً، ويُفصح به عما يعتقد بشأن كل من الأشياء، ما لم يك أحرص أو أطرش منذ البداية. وعلى هذا النحو، كل الذين يرتؤون رأياً صائباً، يظهرون بمظهر من أحرزوه مشفوعاً بتعليله. ولا يمكن أبداً من بعد، أن يحدث رأي صائب بدون علم.

e

ثييتس:

كلامك صحيح.

البحث الأول: تحديد اللوغس كتعداد عناصر

سقراط:

ومع ذلك، لا نقض بسهولة على من حدد العلم التحديد الذي نبخته الآن، بأنه لم يقل شيئاً صالحاً. فلعل قائله لم يقصد سوى أن يتمكن من إجابة كل سائل عن أمر، ومن تفصيله له بواسطة العناصر.

ثييتس:

مثل أي شيء تعني، يا سقراط؟

a207 سقراط:

مثل قول هسيُدُس عن المركبة، عندما يتكلم عن "مئة قطعة فيها"، لا أستطيع أنا أن أعددها، ولا أنت على ما

أظن. ولكن قد نجدل عندما نُسأل ما هي العربية، بأن
نتمكن من الإجابة بأنها الدواليب والعريش والمتن
والكرسي والنير وما إلى ذلك.

في الواقع جيد جداً.

ثييتس:

ولكن صاحبنا مستببط التحديد الذي يشغلنا الآن، قد
يسخر ربما منا، إذا ما سؤلنا مثلاً عن اسمك وأجبنا
عنه مقطوعاً مقطوعاً مع أننا نرى في هذا الاسم رأياً
صائباً ونقول فيه قولاً سديداً، حاسبين أننا علماء في
الصرف، ومتصرفين كعلماء ومعللين من هذا القبيل
اسم ثييتس. إلا أن الواقع هو أننا لسنا بعلماء ولا نعبر
عن حقيقة علمية، قبل أن نستعرض كل شيء بمفرده
بواسطة عناصره، ونشفع عملنا بالرأي الصحيح، وهذا
ما قيل تقريباً في مناقشاتنا السابقة.

b

فعلاً لقد قيل.

ثييتس:

فعلى هذا النحو إذن، نحن نملك رأياً سديداً بشأن
العربية. ولكن القادر فينا بواسطة قطعها المئة، على أن
يشرح ماهيتها ويستوعب هذه الماهية، مردفاً رأيه
الصحيح فيها بالتعليل، هذا الرجل المثقف يغدو خبيراً
فنياً وعالماً بماهية العربية، مستوعباً جملة جوهرها
باستعراض عناصرها.

سقراط:

c

(١) قابل بما ورد لدى كوندياك في كلامه عن مثل الساعة. ولكن كوندياك قد يسلم مع
أفلاطون أن العلم ليس مجرد تعداد وإن كان كاملاً. فتحليله الذي يفكك ويركب،
يبحث هو أيضاً عن الماهية أو الوحدة الصورية. وهو لا يفكك ساعته دون أن يراقب
"كيف أن الحركة المنطلقة من نابض أول، تمر من دولاب إلى دولاب، حتى تبلغ
السيابة المشيرة إلى الساعات". Condillac, Cours d'études I, 8, p.69- 71

ثييتس:

ألا يطيب لك هذا الشرح يا سقراط؟

سقراط:

إن طاب لك أنت، يا رفيق، وقبلت أن يكون التعليل استعراض كل شيء بواسطة عناصره، وأن يكون لا تعليلًا استعراضه مقطوعاً مقطوعاً أو شيئاً من هذا أقل تفصيلاً بعد . فقل لي أتقبل بهذا كي ندقق فيه بحثنا؟

d ثييتس:

ألا إني أتقبله بكل ارتياح.

سقراط:

وفي تقبلك له، هل تحسب أحداً عالماً في أمر ما، عندما يبدو له أن نفس الشيء يعود تارة إلى شيء معين وطوراً إلى شيء آخر، أو عندما يظن أن شيئاً ما يعود تارة إلى شيء معين، وإن شيئاً ما آخر يعود إليه تارة أخرى؟

ثييتس:

بحق زفس أنا لا أحسبه في تلك الحال عالماً .

سقراط:

ثم ألا تذكر أنك أنت بالذات كنت ترتكب هذه الأخطاء وأن الآخرين في البدء كانوا يرتكبونها أيضاً هي نفسها؟

ثييتس:

هل تعني أننا كنا نرتكبها هي بذاتها، متوهمين أن حرفاً يعود تارة إلى مقطع معين وتارة أن حرفاً آخر يعود إليه، وواضعين عين الحرف مرة في المقطع الملائم ومرة في مقطع آخر.

سقراط:

هذا بالضبط ما أعني.

ثييتس:

فأنا إذن، بحق زفس، لا أنسى . كما أنني لا أعتقد بأن يكون من هذه حاله قد تعلم.

سقراط:

فما رأيك إذن؟ في مثل تلك الحال، إن عزم أحد على كتابة ثييتس، وظن أنه يجيب كتابة ثاء وكتبها فعلاً، ثم

إن شرع في كتابة ثئوذرس، وحسب أنه يُفرض كتابة تاء
ورسمها فعلاً، فهل ندعي أنه يعرف أول مقطع من
اسميكما؟

ثئيتس:

لقد اعترفنا منذ لحظة أن من هذا وضعه لا يعرف
بعد .

سقراط:

إذن هل يمنع شيء عين الشخص أن يكون موقفه من
المقطع الثاني والثالث والرابع عين الموقف؟

ثئيتس:

لا شيء في الواقع.

سقراط:

فعندما يكتب إذن ثئيتس حالاً دونما تردد، أكتبه
حينئذ لأنه يملك مع الرأي القويم مخرجاً بواسطة
العناصر؟

ثئيتس:

الأمر ولا ريب جلي.

b سقراط:

فهو لا يزال بعد غير عالم، وإنما يرتئي حسبما نقول،
رأياً سديداً؟

ثئيتس:

أجل.

سقراط:

ومع ذلك، فهو يملك بالإضافة إلى الرأي السديد
تعليلاً. إذ قد راح يخط ويرسم الأحرف، محرراً
بواسطة العناصر منهجاً وافقنا دون شك على تسميته
تعليلاً.

ثئيتس:

صدقت.

سقراط:

فهناك إذن أيها الرفيق، رأي قويم مشفوع بتعليل، يجب
أن لا ندعوه بعد معرفة وعلماً.

ثييتس:

يكاد الأمر أن يكون كذلك.

سقراط:

فعلى ما يبدو، لقد أثرينا في الحلم ولاريب، لما اعتقدنا أننا نملك أصدق تعليل للعلم! أم علينا أن نترث بعد لإبرام حكمنا والقضاء على أنفسنا؟ إذ يُحتمل أن يكون صاحب التحديد لم يحدد اللوغس هذا التحديد السابق، بل بالنوع الباقي من المعاني الثلاثة. وقد قلنا أن من يحدد العلم ويعرفه بأنه الرأي القويم مشفوع باللوغس، يفرض أن اللوغس هو أحد تلك المعاني.

c

ثييتس:

لقد أصبت في تذكيرك. إذ يبقى بعد نوع من المعاني. فالواحد كان شبه تصوير للفكر ورسم له في الصوت. والآخر هو الذي دعونه منذ لحظة منهجاً وسبيلاً إلى جُمع الشيء وجملة جوهره بواسطة عناصره. أما النوع الثالث فماذا تعني به يا ترى؟

البحث الثاني: تعريف اللوغس بأنه فارق مميز

سقراط:

أعني به ما قد يقصده الحكماء إجمالاً، أي امتلاك علامة بها يقول المرء في أي شيء يتميز موضوع التساؤل عما سواه.

ثييتس:

أية صفة من الشيء تستطيع مثلاً أن تدعوها لي لوغساً؟
يكفيك مثلاً بشأن الشمس، على ما أظن، أن تقبل كفارق أو لوغس، بأنها ألمع النجوم المنطلقة في عرض السماء والدائرة حول الأرض.

d سقراط:

ثييتس:

في الواقع مثلك طيب جداً.

سقراط:

تفهم إذن قصدي من ضربه لك. إنه بالضبط ما شرعنا نقوله منذ لحظة، وهو أنك تدرك معقولية كل شيء، كما يقول بعضهم إن أدركت الفارق الذي به يختلف عن الأمور الأخرى طراً. ولكن إن لامستَ صفةً مشتركةً ولازمتها، فما فتئت ملازماً لتلك الصفة، تكون لديك فقط معقولية الأشياء التي يعود إليها ذاك التشارك.

e ثييتس:

فهمتُ قصدك. وأعتقد أن تسمية مثل هذا الفارق معقولية، هي تسمية جميلة.

سقراط:

فمن أدرك إذن بالإضافة إلى رأيه القويم في شيء، فارقهِ عن الموجودات الأخرى، يغدو به عليمًا، بعد أن كان بشأنه من قبل، صاحبَ ظنٍ فقط.

ثييتس:

نقول بكل تأكيد هذا القول.

سقراط:

والآن يا ثييتس، ولا يخامرني ريب في الأمر، لا أفهم من قضيتنا ولا قسطاً زهيداً على أي وجه من الوجوه، لأنني

(١) من هم هؤلاء الذين يشير إليهم أفلاطون في هذا المقام؟ يرى كامبل أنهم ولا ريب من اتباع سقراط، ويحتمل في نظره أن يكونوا مغارين (ثييتس أفلاطون، المقدمة س٣٦، وتعليقه على هذا المقطع). لكننا لا نعرف في الواقع، ولا نستطيع من خلال مثل هذه المقاطع، إلا أن نستشف كم من مناقشات سابقة عهد أفلاطون، أو معاصرة له، هيأت نظرية أرسطو في التحديد ومهدت لها. وفي هذه النظرية راجع ما وراء الطبيعة ٧: ١٢، ٣٧ b ٣٥. ويمكن أن يترجم المقطع ٢٨ b ١٠٣٨ بما يلي: "إن التحديد هو المعقولية الناجمة عن الفوارق (λογος ο εκ των διαφορών) وبالضبط من الفارق الأخير". وكان أفلاطون نفسه يحدد النوع بالجنس والفارق (رَ ما وراء الطبيعة ١٠٣٩ a ٢٥).

قد دنوت منها دنوي من ظل رسم. ففي إقامتي على بعد
منها، كانت توحى إلي أنها تعني في نظري شيئاً.

ثييتس: وكيف ذلك؟ ولماذا؟

٢٠٩ a سقراط: سأشرحه لك إن أمكن. فأنا عندما أملك بشأنك رأياً
سديداً، وأردفه بمعقوليتك، فعندئذ أعرفك ولا ريب.
والا فأنا أظن فقط.

ثييتس: أجل.

سقراط: فالمعقولة كانت إذن في الواقع شرح اختلافك عما
سواك.

ثييتس: وإنها لكذلك.

سقراط: وعندما كنت إذن أظن بشأنك فقط، فهل كنت الأمس
بالفكر شيئاً من تلك الصفات التي تختلف بها عن
الآخرين؟

b ثييتس: لا يبدو ذلك.

سقراط: فكنت إذن أفكر بشيء من العموميات المشتركة، وأنت لا
تملك منها شيئاً أكثر مما يملك غيرك.

ثييتس: حتماً.

سقراط: فهيا أجبني بحق زفس، في مثل هذه الحال، ما السبيل
لأن أستهدفك بحكمي أكثر من أي شخص آخر. فهب
أنني أفكر أن ثييتس هو هذا الفرد، الذي يُحتمل أن
يكون إنساناً، وأن يحرز أنفاً وعينين وفماً، وأن يملك
أيضاً ولا ريب كلاً من الأعضاء الأخرى. فهل هذا الفكر

يمكّنني من أن أتصور ثنيتتس وثئوذرس، أكثر من آخر
فرد ممن يسمونهم ميسيّين؟

ثنيتتس: فعلاً ما السبيل لأن تستهدفني أكثر من غيري.

c سقراط: وإن تصورت ليس فقط من أحرز أنفاً وعينين بل من
أحرز أيضاً أنفاً أفطس وعينين جاحظتين، فهل
استهدفك بحكمي أكثر مما أستهدف ذاتي أو أيا ممن
شاكلونا بأنوفهم الفطس وعيونهم الجاحظة؟

ثنيتتس: كلا. لا يجديك هذا كله فتيلًا.

سقراط: فأعتقد أن ثنيتتس لن يسبق ويستهدف لحكمي في
الواقع ويكون موضوعه، قبل أن يستقر فطسُه في ويودع
لدي، بمثابة علامة (فارقة) أو دلالة، ذكرى معينة،
يختلف بها عن سائر ضروب الفطس التي شاهدها.
وأقول القول عينه عن كل عضو تتألف أنت منه يذكّرني
بك يوم غد، ويجعلني أبدي بشأنك أحكاماً وآراء صائبة.

ثنيتتس: قولك أصحّ ما يقال.

d سقراط: فالرأي الصائب إذن يحوم في كل شيء حول فارقته
واختلافه عن غيره.

ثنيتتس: هذا ما يظهر.

سقراط: فإدراك المعقولية إذن وإردافها بالرأي القويم ما عله
يكون؟ لأنه إذا كان إضافة رأي يعبر عما يختلف به شيء
عن سائر الأشياء، فالأمر بهذه الإضافة يضحي غاية
السخرية.

ثنيتتس: وكيف ذلك؟

سقراط:

لأنه يحضنا على إرداف ما لدينا من رأي قويم نفرق ونميز به شيئاً عن سائر الأشياء، برأي قويم به نفرق شيئاً ونميزه عن سائر الأشياء. ومن هذا القبيل وبناء على هذا الأمر، ما يسمى تلويحاً بالهراوة أو بمדقة الهاون أو بأي أداة أخرى لا يعني، ولا ريب، شيئاً. لا بل قد يحق بالأحرى أن يدعى ذاك الأمر تحريض أعمى. إذ يحضنا على أن نردف ما لدينا بما لدينا بالذات، لنعرف ما نرتئي من آراء. وهذا يشبه تحريض متأصل جداً في عماء.

ثييتس:

فقل إذن ما رحت تستفهم عنه في سؤالك منذ فترة.

سقراط:

إن كان إدراك العقولية وإردافها بالرأي القويم، يأمر بالمعرفة وليس باستهداف الفارق المميز في الظن والرأي، فهذا الأمر قد يكون وجهاً لذيذاً مستطاباً في أجمل وأبهى قول في العلم! لأن المعرفة هي أن يستمد المرء العلم. أليس كذلك؟

٢١٠ a ثييتس: بلى.

سقراط:

فإن سئل المرء إذن، فيما يبدو، ما هو العلم، فهو يجيب: إنه الرأي القويم مشفوعاً بعلم الفارق المميز لأن إرداف العقولية بالرأي القويم هو هذا، حسب الأمر الذي أشرنا إليه.

ثييتس:

هذا ما يبدو!

سقراط:

ومن السذاجة المفرطة، أن نبحث عن العلم، وأن يدعي أحد أن العلم هو الرأي الصائب القويم مشفوعاً بعلم

الفارق أو أي شيء آخر. فلا يمكن العلم أن يكون إذن لا
الإحساس، يا ثييتس، ولا الرأي الصحيح، ولا اللوغس
أي التعليل أو المعقولية، يحدثان ويضافان إليه.
كلا، يبدو أنه ليس كل هذا.

ثييتس:

الخاتمة

فضل فن التوليد

- b سقراط: فهل نحن حاملون بعد ونعاني ألم المخاض، يا وديّ، بشأن العلم، أو وضعنا وولدنا كل أوقارنا؟
- ثييتس: أجل ولدناها كلها بحق زفس. ولقد أعربتُ بواسطتك عن أكثر مما حملت في باطني.
- سقراط: والآن ألا يعلن فن توليدنا أن تلك الأوقار كلها كانت رياحاً فارغة عقيمة لا تستحق الغداء والتربية؟
- ثييتس: في الواقع من كل وجه.
- سقراط: ومع ذلك فإن رمت أن تحبل بعد هذه الأفكار بأفكار أخرى، يا ثييتس، وحملت فعلاً، فوقرُك يتكوّن من أفكار تفضّل السابقة، بسبب هذا التمحيص الدقيق الحاضر. وإن وُجدت فارغاً خاوياً، فسوف تكون أقل ثقلًا على مجالسيك، لأن فني لا يوفر من المعرفة سوى هذا القدر الزهيد وليس إلا. وأنا لا أعرف شيئاً مما يعرفه الآخرون، أولئك الرجال العظام المدهشون، ممن يعيشون بعد أو ممن عاشوا في غابر الزمن.

أما فن التوليد هذا فقد أحفظنا به الله أنا وأمي. فهي للنساء وأنا للشبان النبلاء منهم وكلّ ذي بهاء.

والآن إذن، لا بد لي من مواجهة ميلتس في الرواق الملكي، لأردّ دعواه التي داعاني بها. وغدا عند الفجر، نعود ونلتقي ههنا، يا تُؤذُرُس.

d

الفهرس العام

الصفحة

- منابع الفكر..... وزيرة الثقافة د. لبانة مشوّح ٥
- مقدمة الهيئة العامة السورية للكتاب..... ٩

المقدمة

- الفصل الأول: المطلع والتواريخ ١١
- المطلب الأول: المطلع..... ١١
- المطلب الثاني: التواريخ ١٢
- الفصل الثاني: المدخل إلى النقاش حول العلم..... ١٧
- المطلب الأول : حوار تثبتتس وحوار خرميذس ١٧
- المطلب الثاني : صورة تثبتتس ١٨
- المطلب الثالث : شخصية تثبتتس التاريخية ١٩
- المطلب الرابع : القبالة أي فن التوليد ٢٣

٢٥	الفصل الثالث: النقاش حَوْلِ العِلْمِ
٢٥	المطلب الأول : تحديد أول للعلم
٢٥	البحث الأول: عرض التحديد
٢٩	البحث الثاني: مناقشة التحديد
٣٧	المطلب الثاني : تحديد ثان للعلم
٣٧	البحث الأول: عرض التحديد
٣٩	البحث الثاني: مناقشة التحديد
٤١	المطلب الثالث : تحديد ثالث للعلم
٤١	البحث الأول: عرض التحديد
٤٢	البحث الثاني: مناقشة التحديد
٤٧	الفصل الرابع : مَشَاكِلِ التَّيْتَسِ التَّارِيخِيَةِ
٤٧	المطلب الأول : تأليف الحوار
٤٧	البحث الأول: التواريخ
٤٨	البحث الثاني: طريقة التأليف

- المطلب الثاني : خلفية الثبیتس التاريخية ٥٠
- البحث الأول: التحديد الأول ٥٠
- البحث الثاني: التحديد الثاني ٥٣
- البحث الثالث: التحديد الثالث ٥٤
- الفصل الخامس: نص الثبیتس ٥٧

حوار ثبیتس

- أ - التوطئة ٦٣
- ١ - ظروف الحوار وملابساته ٦٣
- ٢ - أسلوب تدوين الحوار ٦٥
- ب - مطلع الحوار بين سقراط وثيودورس وثبیتس ٦٥
- ١ - صورة ثبیتس خلقاً وخلقاً ٦٥
- ٢ - التطرق إلى موضوع الحوار ٦٨
- الفصل الأول: كيف نحدّد العلم ٧١
- المطلب الأول: مثال الأعداد الصماء ٧٥

- ٧٨ المطلب الثاني: التوليد أو فن القبالة
- ٨٥ الفصل الثاني: تحديد أول للعلم: العلم هو الإحساس
- ٨٧ القسم الأول: العرض
- المطلب الأول: مقارنة أولى: في نظر ابروتغورس
- ٨٧ الإنسان معيار كل شيء
- ٨٩ المطلب الثاني: مقارنة ثانية: الحركية الشاملة
- ٩٧ المطلب الثالث: مقارنة ثالثة: نسبية المرفقين المطلقة ...
- ١٠٩ القسم الثاني: النقد
- ١٠٩ المطلب الأول: محاول نقد أولى
- ١٠٩ البحث الأول: الناس أجمعون سواسية
- ١١٤ البحث الثاني: العلم يدوم دوام الإحساس
- ١٢٠ البحث الثالث: ابروتغورس يدافع عن نفسه
- ١٢٨ المطلب الثاني: محاولة نقد ثانية
- البحث الأول: أبرتغورس يعترف بصحة الرأي
- ١٢٨ الذي يعصف برأيه

البحث الثاني: الفيلسوف وحكام هذا العالم ١٣٤

البحث الثالث: عود إلى النقد: قضية "الإنسان

معيّار كل شيء" والقضايا بصدد المستقبل ١٤٤

المطلب الثالث: محاولة نقد ثالثة ١٥٠

البحث الأول: دحض الحركية الشاملة ١٥٠

البحث الثاني: فاصل يدور حول برميندس ١٨٥

المطلب الرابع: محاولة نقد أخيرة

المعرفة بواسطة النفس ١٦٠

الفصل الثالث: تحديد ثاب للعلم: العلم هو الرأي الصحيح ١٦٩

المطلب الأول: مشكلة الخطأ ١٧٠

البحث الأول : الحرج بين العلم واللاعلم

وبين الوجود واللاوجود ١٧٠

البحث الثاني: خطأ الإبدال ١٧٥

البحث الثالث: إبدال الذكريات

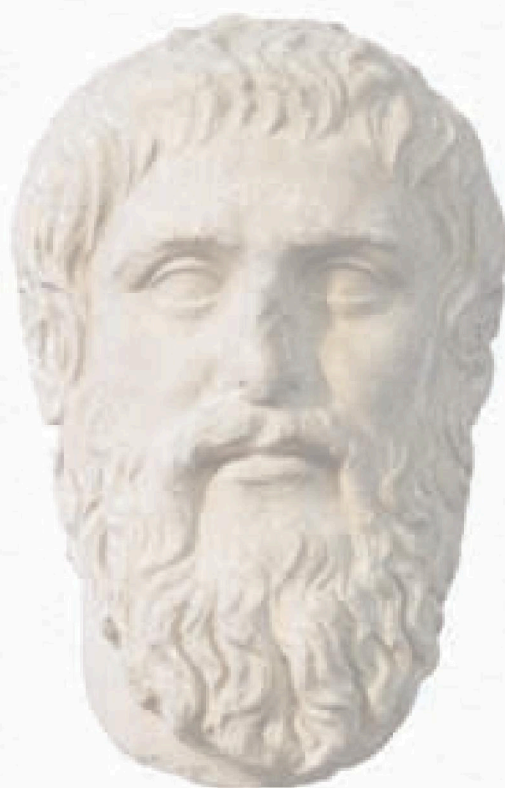
واستعارة الانطباع على الشمع ١٨٠

المطلب الثاني: امتلاك العلم أو اقتناؤه ١٩٣

- البحث الأول: مثل برج الحمام ١٩٣
- البحث الثاني: الأمر الفاصل هو البرهان القضائي ٢٠١
- الفصل الرابع: تحديد ثالث للعلم ٢٠٥
- المطلب الأول: العلم هو الرأي الصحيح يؤيده البرهان .. ٢٠٥
- المطلب الثاني: أتولف عناصر مجهولة كلا معلوماً ٢٠٨
- البحث الأول: برهان جدلي ٢١١
- البحث الثاني: برهان اختباري.
- الأحرف الأبجدية والموسيقى ٢١٧
- المطلب الثالث: معاني كلمة "لُوغُس" المحتملة ٢١٨
- البحث الأول: تحديد اللوغس كتعداد عناصر ... ٢١٩
- البحث الثاني: تعريف اللوغس بأنه فارق مميز . ٢٢٣
- الخاتمة: فضل فنّ التوليد ٢٢٩

الطبعة الثانية / ٢٠١٣ م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com

هاتف: ٢٢٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٣م

سعر النسخة ٣٧٠ ل.س أو ما يعادلها